

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

علوم اللغة

دراسات علمية محكمة تصدر أربع مرات في السنة

كتاب دورى

مج ٩، ٢٤، ٢٠٠٦

© حقوق الطبع والنشر محفوظة ، ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أى قسم من أقسامه ، بأي شكل من أشكال النشر أو الاستنساخ أو ترجمته ، أو اختراجه في أى شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات ، إلا بإذن كتابي من الناشر .
قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصرياً (داخلى جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولاراً أمريكياً (خارج جمهورية مصر العربية شاملاً البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصرياً (داخلى جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولاراً أمريكياً (خارج جمهورية مصر العربية شاملاً البريد)

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٢٢٤

المحتويات

الصفحة	البحوث
٩	المدة الزمنية للوقف بالسكت في قراءة حمزة د. يحيى بن على المباركى
٤٩	الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة د. سمير بن يحيى المعير
١٠٩	حكايات نشأة النحو د. محمد سعيد صالح الغامدى
١٣٥	التقابل الدلالى د. نوال بنت إبراهيم بن محمد الحلوة
٢١١	إعراب الاسم المرفوع بعد (إن) و(لو) د. نهلة حسين إمام
٢٤٩	الأمر عند النحاة. الأمر فى الفصحى. دراسة لغوية د. على محمد هنداوى
٢٨٥	علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق د. نادية رمضان النجار

"بسم الله الرحمن الرحيم"

تقديم

يصدر بحمد الله وتوفيقه عدد جديد من سلسلة علوم اللغة بإشراف ٠٥٠١ / سعيد حسن بحيرى ، أستاذ علوم اللغة ، ووكيل كلية الألسن لشؤون التعليم والطلاب ، يضم عدة بحوث لغوية فى مجالات مختلفة بعضها فى علم اللغة الوصفى وتعلم اللغة ونشأة النحو وعلم اللغة الدلالى وعلم اللغة المقارن وعلم اللغة النصى .
ولعل القارئ الكريم يدرك محاولة أسرة التحرير أن تعمل على أن تصدر فى مواعيدها دون تأخير وأن تستمر فى دعمها البحث العلمى الجاد فى مصر والعالم العربى . ومن ثم فإنها تكرر دعوتها إلى جميع الدارسين المهتمين بالبحث العلمى فى أرجاء العالم الراغبين فى نشر بحوثهم باللغة العربية بأن يرسلوا بحوثهم إلى المشرف على إصدار المجلة فقط مع الحرص على ألا يزيد عدد صفحات البحث عن (٥٠) صفحة .
ويسعد أسرة تحرير المجلة أيمًا سعادة أن تهدى هذا العدد أيضا إلى أستاذنا العالم الفاضل /

٠٥٠١ محمود فهمى حجازى

اعترافا بفضلته وعونه الذى لا ينقطع لجميع تلاميذه بلا تمييز . أطال الله فى عمره وستعه بكل صحة وعافية .

والله الموفق الهادى إلى سواء السبيل

أسرة التحرير

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقارير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأى كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأى المحرر أو الناشر .
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل .

المدة الزمنية للوقف بالسكت فى قراءة حمزة

- رحمه الله - ومن تابعه من القراء فى قراءة القرآن الكريم

د. يحيى بن على المباركى
قسم اللغة العربية - كلية الآداب
جامعة الملك عبد العزيز

المقدمة:

١. التعريف بالوقف بالسكت:

عرف ابن الجزرى هذا الوقف بقوله: هو عبارة عن قطع الصوت
زماً هو دون زمن الوقف من غير تنفس^(١).

وعرفه بعضهم بقوله: السكت: لغة المنع... يقال سكت الرجل عن
الكلام أى امتنع عنه.

واصطلاحاً: قطع الصوت على الكلمة القرآنية زماً يسيراً من غير
تنفس مقداره حركتان، وهو مقيد بالسماع والنقل كما قال الإمام ابن
الجزرى فلا يجوز إلا فيما صحت الرواية^(٢).

(١) ابن الجزرى. النشر فى القراءات العشر ١/٢٤٠، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت -
لبنان، وانظر: أسنى المعارج إلى معرفة صفات المخارج لعبد الرقيب بن حامد
الشميرى ص: ٣٨، دار الروائع - تعز - اليمن سنة ١٤٠٧هـ.
(٢) نصر عطية قابل، غاية المرید فى علم التحويد. ص: ٢٣٤ ط ٣، دار الحرمين
للطباعة - القاهرة، سنة ١٤١٣هـ.

وعرفه آخرون بقولهم: السكت: هو قطع الصوت على الساكن قبل الهمز زمنياً دون زمن الوقف عادة من غير تنفس^(٣).

وفرق بعضهم بين القطع والسكت^(٤) حيث عرف القطع بقوله: معناه في اللغة الإبانة والإزالة تقول قطعت الشجرة إذا أبنتها وأزلتها، وفي الاصطلاح: قطع القراءة رأساً (أى الانتهاء منها)، والقارىء به - أى بالقطع - كالمعرض عن القراءة والمنتقل منها إلى حالة أخرى غيرها؛ كالذى يقطع على حزب أو ورد أو فى ركعة ثم يركع وما إلى ذلك مما يؤذن بانتهاء القراءة والانتقال منها إلى حالة أخرى، ولا يكون إلا على رؤوس الآي فى نفسها مقاطع بخلاف الوقف فقد يكون على رؤوس الآي وعلى أثنائها... وإذا عاد القارىء إلى القراءة بعد أن قطعها فيستحب له الإتيان بالاستعاذة ثم بالبسملة إن كان العود من أول السورة وإن كان من أثنائها فله التخيير فى الإتيان بالبسملة بعد التعوذ أو عدم الإتيان بها.

وأما السكت: فهو فى اللغة المنع، وفى الاصطلاح قطع الصوت زمنياً دون زمن الوقف من غير تنفس بنية العود إلى القراءة فى الحال^(٥).

نستنتج مما سبق أن حرف الهمزة حرف بعيد المخرج، جلد صعب على اللفظ به، ويحدث نتيجة انغلاق الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين (المزمار) وذلك بانطباق الوترين الصوتيين انطباقاً تاماً، فلا

(٣) ابن غلبون، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم. التذكرة فى القراءات الثمان. تح. أمين رشدى سويد ١/١٤٥، ط ١ سنو ١٤١٢هـ.

(٤) محمد صادق قمحاوى. البرهان فى تجويد القرآن. دار التراث الإسلامى - ط ٣. سنة ١٤٠٥هـ. ص: ٧٤.

(٥) عبد الفتاح السيد العجمى، هداية القارىء إلى تجويد كلام البارئ. ط ١، سنة ١٤٠٢هـ. دار النصر للطباعة الإسلامية. شبرا - مصر. ص: ٤٠٩.

يسمح للنفس الصاعد بالمرور من الحنجرة، وهنا ينضغط النفس من الخلف فينقطع زمناً يتكون معه هذا الحرف، ثم ينفرج الوتر فيخرج فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً، ولهذا فإن حرف الهمزة يخرج من أقصى الحلق أو أسفله^(٦)، ولصعوبة النطق بحرف الهمزة فقد تصرفت العرب في النطق به تصرفاً لم يكن في غيره من الحروف، فقد استعملوا في الهمزة التحقيق والتخفيف وإلقاء حركتها على ما قبلها، وإبدالها بغيرها من الحروف، وحذفها، والوقف عليها مخففة زمناً حتى يسهل عليه التكلف في تحقيقها^(٧).

٢ - المواضع التي يوقف عليها بالسكت ومذاهب القراء في ذلك: -

قال أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبرى^(٨): وكان حمزة يسكت على كل ساكن بعده همزة في كلمتين نحو قوله تعالى «فإن آمنوا» و«جديد * أفترى» و«عذاب أليم» ولام التعريف نحو قوله «الأرض» وفي كلمة واحدة في «شيء» كيفما تصرفت فقط. زاد الأدمى طرد الباب نحو قوله «يسئل» و«ويسلم» و«القرآن» و«الظمان»، والمد يجزىء عن السكت بخلاف عنه في الجمع بينهما. وعلة الوقف على المعرفة إذا كان بعدها همزة في نحو «الأولى والآخرة..» أن الهمزة حرف ثقيل بعيد المخرج، وحكمه في هذه الأشياء الابتداء لأن لام المعرفة زائدة فوقف على لام المعرفة - كما يقول مكى بن أبى طالب فى كتابه الكشف - ليستفرغ القوة

(٦) يحيى المباركى، صوت الهمزة فى اللغة العربية بين القدماء والمحدثين. مجلة جامعة

أم القرى. السنة التاسعة ع ١٢ ص: ١٢٩.

(٧) أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها

وحججها. تح. محى الدين رمضان. ج ٢. ط ٢. عام ١٤٠١هـ. ٧٢/١.

(٨) أبو المعشر عبد الكريم الطبرى، التلخيص فى القراءات الثمان. تح. محمد حسن عقيل

موسى. ط ١. ١٤١٢هـ. ص ١٦٩.

فى النطق بالهمزة مبتدئاً، وليشعر أن الهمزة حقها الابتداء بها وما قبلها زائد داخل عليها فكأن لام المعرفة كلمة وما فيه الهمزة كلمة، وعلّة من وقف على غيرها إذا أتى بعدها حرف الهمزة هى جلادة حرف الهمزة وصعوبة النطق به محققاً وليتمكن اللافظ من القوة والتكلف فى النطق بحرفه. وقال مكى بن أبى طالب القيسى فى كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها^(٩): كان خلف عن حمزة يقف على لام المعرفة إذا كان بعدها همزة وقفة خفيفة نحو «الأولى والآخرة» وشبهه حيث وقع ولم يفعل الباقيون... وقرأ حمزة بوقفة خفيفة على الياء من «شئ» حيث وقع على أى حال كان الإعراب. يقف ثم يهمز. وقرأ الباقيون بغير وقف غير أن ورشاً يمد الياء على ما ذكرنا عنه فى أبواب المد. وقال الضباع فى شرحه على الشاطبية^(١٠): روى خلف عن حمزة أنه كان يسكت على الساكن فى نحو عليكم أنفسكم، ذلكم إصرى وكذا شئ كيف جاء وشيئاً سكتة يسيرة من غير تنفس ليستريح فيتمكن من النطق بالهمز على حقه، وروى خلاد عنه ترك السكت فى ذلك وهذا مذهب أبى الفتح فارس عنهما. وروى أبو الحسن بن غلبون عن حمزة من روايتيه السكت على لام التعريف وشئ كيف وقع دون عداهما وكلا المذهبين صحيح معمول به عن حمزة ونظمهما العلامة المتولى فقال:

روى أبو الفتح كل السكت عن خلف وعند خلاد ترك السكت قد أثرا
وطاهر نجل غلبون روى لهما بالسكت فى أل وشئ خذه مبتدرا

(٩) الكشف. ٢٣٣/١ وما بعدها.

(١٠) على محمد الضباع، شرح الشاطبية (إرشاد المرید إلى مقصود القصيد). مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده. ص: ٦٨ وما بعدها. وانظر غيث النفع فى القراءات السبع للضباع أيضاً. المكتبة الثقافية، ط ١ سنة ١٤١٢ هـ. ص ٤٨ وما بعدها.

ويحصل منهما لخلف وجهان أحدهما: السكت على الجميع.
وثانيهما: ترك السكت على المفصول. ولخلاف وجهان أيضاً أحدهما ترك
السكت على الجميع، والثاني السكت على أل وشيئاً كيف وقع فقط، ونظم
ذلك بعضهم فقال:

وشىء وأل بالسكت عن خلف بلا خلاد وفي المفصول خلف تقبلا

وخلادهم بالخلف فى أل وشيئيه ولا سكت فى المفصول عن فصلا

ومن أخذ بالسكت عن أل وشىء وصلأ يجوز له فى الوقف على
نحو (الآخرة والأرض) النقل والسكت، ومن أخذ بتركة فيهما وصلأ فليس
له فى ذلك وقفاً غير النقل، وإلى ذلك أشار صاحب إتحاف البرية بقول:

وفي أل بنقل قف وسكت لساكت عليها وعند التاركين له انفلا

وأما الساكن المفصول فمن أخذ فيه بالسكت وصلأ له فيه وقفاً النقل
والسكت، ومن أخذ فيه بتركة وصلأ له فيه وقفاً النقل والتحقيق، فيكون
فيه لخلف ثلاثة أوجه: النقل والسكت وتركهما، ولخلاف وجهان: النقل
وتركة بلا سكت، وإلى ذلك أشار العلامة المتولى بقوله:

وفي ذي انفصال فانقل اسكت لساكت وعند غيره نقل وتحقيق اعملا

وقال عبد الفتاح القاضى فى الوافى^(١١): روى خلف عن حمزة عند
الساكن فى حال وصل الكلمة التى آخرها ذلك الساكن بالكلمة التى أولها
الهمز سكتا تليلا على هذا الساكن بأن يسكت عليه قبل النطق بالهمزة
سكتة قصيرة بدون تنفس سواء وقف على الكلمة التى أولها الهمز أو
وصلها بما بعدها، فليس المراد بالوصل وصل الكلمة التى أولها الهمز، كما

(١١) عبد الفتاح القاضى، الوافى فى شرح الشاطبية فى القراءات السبع. ط٤. سنة

١٤١٢ هـ. مكتبة السوادى للتوزيع. ص ١٠٥ وما بعدها.

تقدم سواء أكان ذا الساكن منفصلاً عن الكلمة التي فيها الهمز رسماً نحو (من آمن، عذاب أليم) ... أم متصلاً بها رسماً مثل (الأولى، الآخرة، الإنسان) ... وكذلك روى خلف عن حمزة السكت على ما لم ينقل فيه ورش، وهو لفظ (شيء) سواء كان مرفوعاً أم مجروراً، ولفظ (شيئاً) المنصوب في حالا وصل هذين اللفظين بما بعدهما، وهذا مذهب أبي الفتح فارس عن خلف، وعلى هذا المذهب لا سكت لخلاص في موضع مما ذكر، وقوله: وبعضهم ... إلخ معناه أن بعض أهل الأداء وهو طاهر بن غلبون قرأ عن حمزة من روايتي خلف وخلاص عنه بالسكت على (لام التعريف وعلى شيء) المرفوع والمجرود (وشيئاً) المنصوب عند وصل شيء وشيئاً بما بعدهما، لم يزد ذلك على ذلك، فلا يسكت على الساكن المفصول نحو: من آمن، عذاب أليم... لخلف ولا لخلاص ويؤخذ من هذا أن خلفاً يسكت على (أل وشيء وشيئاً) على المذهبين، ويسكت على المفصول على المذهب الأول فقط، ولا سكت له فيه على المذهب الثاني، فحينئذ يكون له في الساكن المفصول وجهها: السكت على المذهب الأول وتركه على المذهب الثاني، ويكون له في أل وشيء وشيئاً السكت على المذهبين.

وقال عبد الفتاح السيد العجمي المرصفي^(١٢): ويكون الوقف بالسكت في وسط الكلمة، وفي آخرها، وعند الوصل بين السورتين لمن له ذلك، وليس منهم حفص عاصم، وأكثره وقوعاً على الساكن قبل الهمز سواء كان هذا الساكن صحيحاً أو شبه الصحيح أو كان حرف مد.

فالسكن الصحيح نحو «وبالآخرة هم يوقنون» و«الأرض وضعها

(١٢) هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، ص ٤٠٩ وما بعدها.

للأنام» وهو المعروف بسكت «أل»، ونحو «إنت أن إلا نذير» وهو المعروف بسكت المفصول، والسكت على كلمة «شيء» مطلقاً سواء كانت منصوبة كقوله تعالى «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» أم مجرورة كقوله تعالى «إنا كل شيء خلقناه بقدر» أم مرفوعة كقوله سبحانه وتعالى «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»، ونحو القرآن في نحو قوله تعالى «الرحمن علم القرآن» وقوله سبحانه وتعالى «واسئلو الله من فضله» وهو المعروف بسكت الموصول.

والساكن شبه الصحيح ما كان الساكن فيه حرف لين فقط، ويشمل المفصول نحو «خلوا إلى» و«ابنى آدم»، ويشمل كذلك الموصول نحو «فأوارى سوءة أخی» و«كهيفة الطير» و«ظن السوء»، والساكن حرف مد نحو «قالوا آمنا» و«يبنى إسرائيل» و«لا يمسه سوء» وهو المعروف بسكت المد. وقد سكت حفص عن عاصم وكذلك ابن ذكوان عن ابن عامر وإدریس عن خلف العاشر على الساكن قبل الهمز ما لم يكن حرف مد في أحد الوجهين عنهم من طريق طيبة النشر. وكذلك سكت حمزة على الساكن قبل الهمز عموماً سواء كان الساكن صحيحاً أو شبهه أو حرف مد من طريق طيبة النشر وهو المعروف «بالسكت المطلق». فقد ورد عن حفص عن عاصم من الشاطبية كان يسكت سكتة لطيفة من غير تنفس بقدر حركتين في حالة الوصل في أربعة مواضع في التنزيل بالاتفاق وهي كالآتي:

السكتة الأولى: على الألف المبدلة من التنوين في لفظ «عوجا» بأول الكهف في حالة الوصل ثم يقول «قيما»، وهذا لا يمنع من الوقف على «عوجا» لأنه رأس آية. وإنما السكت حالة وصل «عوجا» بـ «قيما» فتأمل.

السكته الثانية: على الألف من لفظ «مَرَقَدْنَا» بياسين ثم يقول «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون»، ويجوز الوقف على لفظ «مَرَقَدْنَا» وهو تام كما ذكره سيدى على النورى فى غيث النفع، وعليه فلا سكت عندئذ عند عدم الوقف إنما يجب السكت من الشاطبية.

السكته الثالثة: على النون من لفظ «من» فى قوله تعالى «وقيل من راق» بالقيامة ثم يقول «راق» ويلزم من السكت إظهار النون الساكنة عند الراء لأن السكت يمنع الإدغام.

السكته الرابعة: على اللام من لفظ «بل» فى قوله تعالى «كلا بل ران على قلوبهم» بالمطففين ثم يقول «ران»، ويلزم من هذا السكت أيضاً إظهار اللام عند الراء لأن السكت يمنع الإدغام هنا كذلك، وسكت حفص فى هذه المواضع الأربعة من النوع الذى يأتى على آخر الكلمة، قال الإمام الشاطبى رضى الله عنه ونفعنا بعلمه:

وسكته حفص دون قطع لطيفة على ألف التنوين فى عوجا بلا
وفى نون من راق ومَرَقَدْنَا ولا م بل ران والباقون لا سكت موصلًا

وكذلك يسكت حفص فى وجه له بين السورتين من غير تنفس فى موضع واحد فى التنزيل وهو بين آخر سورة الأنفال، وأول سورة براءة، ومحلّه على الميم من «عليم» ثم يقول «براءة»، وعلى الهاء من لفظ «ماليه» فى قوله تعالى «ما أغنى عنى ماليه* هلك عنى سلطانيه» بسورة الحاقة، والوجهان صحيحان مقروء بهما، والسكت هو المقدم فى الأداء.

ومجمل القول أن حفصا عن عاصم له فى القرآن الكريم ست سكتات أربع منهن لم يشاركه فيهن أحد من القراء وهن المذكورات أولاً.

والخامسة: بين آخر الأنفال وأول براءة، وقد شاركه فيها باقى القراء العشرة فى وجه لهم.

السادسة: فى أحد الوجهين عنه على الهاء من «ماله هلك» بالحاقة، وقد شاركه فيها باقى العشرة فى أحد الوجهين عنهم كذلك إلا حمزة ويعقوب فتأمل^(١٣).

٣. آراء القراء فى المدة الزمنية للسكت: - قال ابن الجزرى فى النشر^(١٤): - قال أصحاب سليم عنه عن حمزة فى السكت قبل الهمز: سكتة يسيرة، وقال جعفر الوزان عن على بن سليم عن خلاد: لم يكن السكت على السواكن كثيراً. وقال الأشنانى: سكتة قصيرة، وقال قتيبة عن الكسائى: سكت سكتة مختلصة من غير إشباع، وقال النفار عن الخياط يعنى الشمونى عن الأعشى: السكت حتى يظن أنك قد نسيت ما بعد الحرف. وقال أبو الحسن طاهر بن غلبون: وقفة يسيرة، وقال مكى: وقفة خفيفة، وقال ابن شريح: وقِيفة. وقال أبو العز: سكتة يسيرة هى أكثر من سكت القاضى عن رويس، وقال الحافظ أبو العلاء: يسكت حمزة والأعشى وابن ذكوان من طريق العلوى والنهاوندى عن قتيبة من غير قطع نفس، وأتمهم سكتة حمزة والأعشى، وقال أبو محمد سبط الخياط: حمزة وقتيبة يقفان وقفة يسيرة من غير مهلة، وقال أبو القاسم الشاطبى: سكتاً مقللاً، وقال الدانى: سكتة لطيفة من غير قطع، وهذا لفظه أيضاً فى السكت بين السورتين من جامع البيان. وقال فيه ابن شريح: سكتة خفيفة، وقال الفحام: سكتة خفيفة، وقال أبو العز: مع سكتة يسيرة. وقال أبو محمد فى

(١٣) أسنى المعارج إلى معرفة صفات الحروف والمخارج، ص ك ٣٨.

(١٤) النشر ١/٢٤٠ وما بعدها.

المبهيج: وقفة تؤذن بإسرارها أى بإسرار البسملة، وهذا يدل على المهلة،
وقال الشاطبي: وسكتهم المختار دون تنفس، وقال أيضاً وسكتة حفص دون
قطع لطيفة.

وقال الداني في ذلك سكتة لطيفة من غير قطع، وقال ابن شريح:
وَقِيْفَةٌ، وقال أبو العلاء بوقيفة، وقال ابن غلبون بوقفة خفيفة، وكذا قال
المهدوي، وقال ابن الفحام: سكتة خفيفة. وقال القلانسي في سكت أبي
جعفر على حروف الهجاء يفصل بين كل حرف منها بسكتة يسيرة، وكذا
قال الهمداني، وقال أبو العز: ويقف على ص، وق، ون... وقفة يسيرة،
وقال الحافظ أبو عمرو في الجامع: واختيارى فيمن ترك الفصل سوى
حمزة أن يسكت القارئ على آخر السورة بسكتة خفيفة من غير قطع
شديد. قال ابن الجزري: فقد اجتمعت ألفاظهم على أن السكت زمنه دون
زمن الوقف عادة، وهم في مقداره بحسب مذاهبهم في التحقيق والحد
والتوسط حسبما تحكم المشافهة، وأما تقييدهم بكونه دون تنفس فقد اختلف
أيضاً في المراد به آراب بعض المتأخرين فقال الحافظ أبو شامة الإشارة
بقولهم دون تنفس إلى عدم الإطالة المؤذنة بالإعراض عن القراءة. وقال
الجعبري: قطع الصوت زماناً قليلاً أقصر من زمن إخراج النفس لأنه إن
طال صار وقفاً يوجب البسملة. وقال الأستاذ ابن بصخان أى دون مهلة
وليس المراد بالتنفس هنا إخراج النفس بدليل أن القارئ إذا أخرج نفسه
مع السكت بدون مهلة لم يمنع من ذلك فدل على أن التنفس هنا بمعنى
المهلة. وقال ابن جبارة دون تنفس يحتمل معنيين: أحدهما سكوت يقصد
به الفصل بين السورتين لا السكوت الذي يقصد به القارئ التنفس.
ويحتمل أن يراد به سكوت دون السكوت لأجل التنفس أى أقصر منه، أى
لأجل التنفس، أى دونه في المنزلة والقصر ممكن يحتاج إذا حمل الكلام

على هذا المعنى أن يعلم مقدار السكوت لأجل التنفس حتى يجعل دونه فى القصر. قال ويعلم ذلك بالعادة وعرف القراء. قال ابن الجزرى: قلت الصواب حمل دون من قولهم دون تنفس أن تكون معنى غير كما دلت عليه تنفس سواء قل زمنه أو أكثر وأن حمله على معنى أقل خطأ وإنما كان هذا صواباً لوجوه:

أحدها: ما تقدم من النص عن الأعشى تسكت حتى يظن أنك قد نسيت، وهذا صريح فى أن زمنه أكثر من زمن إخراج النفس وغيره.

ثانيها: قول صاحب المبهج: سكتة تؤذن بإسرارها أى بإسرار البسمة. والزمى الذى يؤذن بإسرار أكثر من إخراج النفس بلا نظر.

ثالثها: أنه إذا جعل المعنى أقل فلا بد من تقديره كما قدره فى قولهم أقل من زمن إخراج النفس ونحو ذلك وعدم التقدير أولى.

رابعها: أن تقدير ذلك على الوجه المذكور لا يصح لأن زمن إخراج النفس وإن قل لا يكون أقل من زمنه قليل السكت والاختبار يبين ذلك.

خامسها: أن التنفس على الساكن فى نحو: الأرض، والآخرة، وقرآن، ومسئولاً ممنوع اتفاقاً كما لا يجوز التنفس على الساكن فى نحو: الخالق والبارىء والفرقان ومسحوراً... إذ إن التنفس فى وسط الكلمة لا يجوز.

أهداف البحث:

وفى ضوء هذا الاختلاف بين القدماء من العلماء من أهل الأداء (القراء) فى تحديد المدة الزمنية لهذا السكت، وكذا عدم وجود أى وسيلة لديهم لتعيين مقدار هذا الزمن فقد ظلت هذه المدة الزمنية محل اختلاف بينهم فى تقديرها الزمنى بحسب مذاهبهم فى التحقيق والتوسط والحد

حسبما تحكمه المشافهة ويضبطه السماع؛ ولعل مما عُنيتُ به الدراسات الحديثة لأصوات اللغة قياس المدة الزمنية للحدث الكلامي أياً كان نوعه سواء أكان مفرداً (كأن يكون حركة قصيرة أو حرف مد أو حرف صحيحاً ساكناً...) أو غيره (بأن يكون كلمة أو جملة) يقال في سياق أدائي وصلاً كان أو وقفاً. والحروف اللغوية عند نطق أصواتها ليست على درجة واحدة من السهولة والخفة أو الثقل وعسر النطق، ولهذا كانت حروف اللين في اللغة العربية أسهل الحروف لخروجها من غير كلفة على اللسان في أثناء النطق بحروفها كما كانت الحروف الذلقية أسهل من غيرها من الحروف الصحيحة الساكنة المعروفة بالحروف المصمتة لخروجها من ذلق اللسان أو من ذلق الشفة، وتعد الحروف الحلقية أصعب الحروف العربية نطقاً نظراً للطبيعة الخاصة لنطقها، ولهذا قل فيها الإدغام الذي ينظر إليه على أنه ثمرة من ثمرات التخفيف وذلك لثقلها، كما قل منها المضاعف فلم يدغم بعضها في بعض في كلمتين أيضاً الأغلب لثلاث يكون شبه مضاعف مصوغ منها، والمبدأ الخاص الذي يحكم هذه الحروف أن أنزلها في الحلق أثقلها، وأثقلها الهمزة. والناطق بحرف الهمزة يجد ثقلاً وعسراً عند اللفظ به، إذ الهمزة - في الحقيقة - نبرة تخرج من أقصى الحلق، ولذلك ثقلت عندهم لأنها أثقل الحروف في الحلق فيعسر النطق بها مع ما فيها من الجهر والقوة والشدة، ولذلك استعملت العرب في الهمزة المفردة ما لم تستعمله في غيرها، فقد استعملوا فيها التحقيق والتخفيف وإلقاء حركتها على ما قبلها، وإبدالها بغيرها من الحروف وحذفها في مواضعها، وذلك كله لاستثقالهم لها، ولم يستعملوا ذلك في شيء من الحروف غيرها. وبسبب من هذا الثقل لحرف الهمزة نشأ ما سمي عند أهل الأداء (القرء) بظاهرة المد في حروف المد (الواو والياء والألف نحو سوء، وسيئت،

وشَاء)، وحرفى اللين (الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما نحو شَيْءٍ وسَوْءٍ) فى آى القرآن الكريم، فقد حرص هؤلاء القراء على إعطاء كل حرف حقه من الأداء فى هذا النوع من الكلام وهو القرآن، انطلاقاً من أن هذه الأصوات (حروف المد واللين) أصوات خفية، والهمزة صوت جلد بعيد المخرج صعب فى اللفظ فلما لاصقت هذه الحروف صوتاً خفياً خفيف عليها أن يزداد بملاصقة الهمزة لها خفاءً فبييت بالمد ليظهر، وكان بيانها بالمد أولى لأنه يخرج من مخرجه بمد دون البيان فى أصوات المد واللين لنقص صوتى اللين بانفتاح ما قبلهما عن أصوات المد واللين اللواتى حركة ما قبلهن منهن فقويت بالمد لتمكينهن بكون حركة ما قبلهن منهن وضعف صوت اللين فى المد لكن حركة ما قبله ليست منه .

ولعل فى هذا ما يفسر علة إطالة الصوت بحروف المد واللين زمنياً فيما سُمى بظاهرة المد فى الأداء القرآنى بأنواعه (المتصل والمنفصل واللازم... إلخ) . إذا جاء بعدها حرف الهمزة وذلك لخفاء هذه الحروف بسبب اتساع مخرجها عندما يقع بعدها حرف بعيد المخرج جلد صعب يحتاج من الالفاظ به أناة وتكلفاً لبيانه وتحقيقه كحرف الهمزة . هذا فيما إذا أتى قبل حرف الهمزة حرف من حروف المد واللين، وكان الالفاظ بحرف الهمزة فى مهلة من أمره حيث يستجمع قواه ويتكلف فى بيانه وتحقيقه بإطالة الصوت بحروف المد واللين اللواتى وقعن قبله، وهى وسيلة نطقية لجأ إليها الناطق العربى ليتمكن من اللفظ بهذا الحرف الصعب مخرجاً، الجلد صفةً، البعيد موقعاً، فإذا انعدمت هذه الوسيلة التى يتخلص بها الالفاظ من هذا الحرف واضطر إلى النطق به دون حائل لم يجد بدأً من أن يقطع الصوت هنيهة ليعطى جهازه النطقى فرصة استعداداً للتلفظ به، وهو ما نراه إحدى نتائج الاقتصاد فى المجهود

العضلى تيسيراً وتخفيفاً على الجهاز النطقى، وهروباً من الثقل الذى يمثله اجتماع الحرف الصحيح الساكن مع حرف الهمزة عند التلطف بهما دون فاصل. هذه ظاهرة صوتية نطقية موجودة فى الأداء ببعض الألفاظ فى اللغة العربية عامة وفى النطق بآيات القرآن الحكيم خاصة، وقد أثارَت كثيراً من الأحكام عند المهتمين بالأداء القرآنى، بيد أن كثيراً منها ظل تقديراً سماعياً يضبط بالمشافهة وتحكمه الذرية، وقد تركت هذه الظاهرة الصوتية النطقية لدى الباحث شيئاً من الاهتمام بها وهو يستمع إلى قراءة بعض القراء المجيدين المعاصرين بهذه القراءة (السكت)، فحاول الاستفادة من معطيات التقنية الحديثة المتعلقة بحساب المدة الزمنية للحدث الكلامى، ومن هنا قرر مستعيناً بالله العلى العظيم أن يقف - بطريق التجريب - على حقيقة هذه المدة الزمنية محددة بجزء من عشرة آلاف من الثانية، فجاءت هذه الدراسة من خلال هذه الصفحات التى أرجو من الله جلت قدرته أن يكون فيها النفع والإفادة إنه ولى ذلك والقادر عليه.

والباحث ينبه ههنا إلى صعوبة الحصول على المادة العلمية التى استقى منا نتائج دراسته، ويعود ذلك إلى أن المقرئين المجيدين لهذه القراءة فى زماننا - الذى توفرت له وسائل التسجيل والرصد - قليلون، وأن هذه القراءة لم تشع شيوخ قراءة حفص عن عاصم مثلاً، ولهذا فقد اقتصر الإقراء بها فى أحوال خاصة جداً، وصعب الحصول على مادة علمية كثيرة من السنة القراء المجيدين المعاصرين ممثلاً لها، وظل تتبعنا لأمثلة لها منحصرأ فى آيات محدودة من سور القرآن الكريم وردت - بطريق الصدفة - على لسان المقرئ تبياناً لأوجه القراءة الواردة فى آية ما من كتاب الله العزيز مثلاً.

ويزعم الباحث - مع ذلك كله - أنه قد وقف على مادة علمية كافية تمثل صوراً عديدة لأوجه هذه القراءة؛ مما مكن الباحث من استقرائها والخروج منها بنتائج علمية استطاع عن طريقها الوقوف على الطريق الصحيح للإقراء بهذه القراءة في ضوء ما ذكره أهل الأداء (التجويد) من أحكام وقواعد تتعلق بها في كتبهم ورسائلهم ومختصراتهم.

طريقة البحث:

في ضوء ما قلناه في أهداف البحث مما يتعلق بصعوبة جمع المادة العلمية؛ فقد قام هذا البحث على نصوص من آي القرآن الكريم مما أمكن للباحث جمعه والحصول عليه من قراءة بعض القراء المشهورين، وكان من أبرزهم فضيلة الشيخ محمد صديق المنشاوي (ت ١٩٦٩هـ)، وفضيلة الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد (ت ١٩٨٨هـ)، وفضيلة الشيخ مصطفى إسماعيل - يرحمهم الله جميعاً - ثم عمل الباحث على تبويب هذه الآيات الكريمة حسب ورودها في سورها مع ترتيب هذه السور كما وردت في المصحف الشريف. ثم قام بإدخال النص المقروء من الآية إلى جهاز (السونا جراف من نوع ٥٥٠٠) (١٥) لقياس مدة زمن السكت التي حصلت في قراءة القارئ بها، وهو جهاز يتيح للباحث القدرة على قياس زمن الحدث الكلامي بكل دقة؛ حيث يحتوي على جهاز تسجيل لإدخال المادة العلمية - موضوع الدراسة - مما يمكن الباحث أن يعيد ما يريد سماعه وقياسه من المادة العلمية مرات عديدة، وبعدها بدأ التركيز على ما يراد قياسه عن طريق تعيين الحد الفاصل بين نهاية الحدث الكلامي عند السكت وبداية النطق بما بعده من الكلام، وبدا ذلك ممكناً باستخدام الجهاز

(١٥) انظر الصورة المرفقة مع هذا البحث للجهاز المستخدم في البحث.

الصوتى الذى زود بإمكانية التحديد الدقيق للفترة الزمنية التى يمثلها الانقطاع التام عن الكلام واستئنافه بعد ذلك، وذلك عن طريق وضع السهمين اللذين زود بهما هذا الجهاز لتحقيق تلك الغاية، ومن ثمَّ تمَّ إجراء اختبارات كثيرة للتأكد من ذلك بتشغيل جهاز إعادة التسجيل الخاص بالجهاز الصوتى، والذى يعيد - عادة - ما هو محصور بين السهمين، وبعد أن استمع الباحث لما أعيد مرات كثيرة تمَّ قياس مدة تكون هذا الانقطاع من اختفاء انطلاق الصوت المصاحب للكلام السابق إلى ابتداء انفجار النفس بعد غلق جهاز التصويت - كلياً - وأثبتت تلك المدة الزمنية فى مكانها من النتائج. وقد قسمت الثانية فى هذا البحث إلى عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) جزء من الزمن، فلو انقطع الصوت على الحرف الذى يكون قبل الهمزة للسكت بمقدار (١,٨٥٣٠) من الثانية؛ فإن ذلك يدل على أن المدة الزمنية لهذا السكت فى ذلك الموضع من الآية الكريمة قد بلغت بالضبط ذلك الزمن. وتوزعت نتائج البحث تبعاً للمقرئين الثلاثة إلى جداول مرتبة على سور المصحف الشريف، وقد اشتمل كل جدول منها على ثلاث مجموعات، المجموعة الأولى كانت للأرقام التسلسلية، والمجموعة الثانية جعلت لنص الآية، وخصصت المجموعة الثالثة للمدة الزمنية للسكت على الحرف الذى يكون قبل الهمزة (١٦).

ومما ينبغى ملاحظته هنا أن بعضاً من الآيات الكريمة أعيدت قراءتها من القراء الثلاثة الكرام مرات عديدة، وقد أثبتتها الباحث فى مواضعها من السورة الكريمة.

(١٦) انظر بعض الصور الطيفية المأخوذة من الجهاز.

قراءة/ الشيخ محمد صديق المنشاوي/ سورة هود عليه السلام

الرقم التسلسلي	نص الآية	المدة الزمنية
. ١	ليوفينهم ريك أعمالهم	٠,٩١٢٥
. ٢	٢. ولا تطغوا إنه	٠,٩٨٧٣
. ٣	٣. من أولياء	١,٢٠٦
. ٤	٤. قبلكم أولوا	٠,٩٢٥٠
. ٥	٥. في الأرض	١,٠٤٩
. ٦	٦. ممن أنجينا	٠,٦٦٢٥
. ٧	٧. من أولياء	١,٢٣٧
. ٨	٨. في الأرض	١,٢٥٠
. ٩	٩. ممن أجبنا	٠,٦٤٣٧
. ١٠	١٠. السموات والأرض	٠,٨٧٥٠
. ١١	١١. يرجع الأمر	٠,٨٢٥٠
. ١٢	١٢. السموات والأرض	١,٣٣١
. ١٣	١٣. يرجع الأمر	٠,٩٦٢٥

تابع: قراءة الشيخ المنشاوي/ سورة يوسف عليه السلام

. ١٤	. بما أوحينا	٠,٦٣١٢
. ١٥	٢. للإنسان	١,٣٧٥٠
. ١٦	٣. وعلى آل يعقوب	٠,٩٥٣٧
. ١٧	٤. كما أتمها	٠,٩٣٧٤
. ١٨	٥. على أبويك	١,٢٣٥١
. ١٩	٦. إلي أبينا	١,١٢٣٧
. ٢٠	٧. يا أبانا	١,٢٣٦٧
. ٢١	٨. عصبه إنا إذا	٠,٩٠٣٥
. ٢٢	٩. وأجمعوا أن	١,١٣٧٠
. ٢٣	١٠. وأوحينا إليه	٠,٨٧٤٣
. ٢٤	١١. وجاءوا أباهم	١,٠٦٨

تابع: قراءة الشيخ المنشاوي/ سورة يوسف عليه السلام

٢٥.	١٢. يا أبانا	١,١٤٥٧
٢٦.	١٣. لكم أنفسكم	١,٣٥٧١
٢٧.	١٤. من تاويل الأحاديث	١,١٢٢٣
٢٨.	١٥. لامراته أكرمي	١,١٧٣٥
٢٩.	١٦. عسى أن ينفعنا	١,١١٢٧
٣٠.	١٧. ولما بلغ أشده	٠,٧٨٣١
٣١.	١٨. إنه ربي أحسن	٠,٩٥٧١
٣٢.	١٩. السوء	١,١٠٧٢
٣٣.	٢٠. الفحشاء	٠,٩٨٣٧

تابع قراءة الشيخ المنشاوي/ سورة الرعد

الرقم التسلسلي	نص الآية	المدة الزمنية
٣٤.	١. أرسلناك في أمة	١,١٧٤٧
٣٥.	٢. من قبلها أمم	١,١٤٣٥
٣٦.	٣. الذي أوحينا	١,١١٨٧
٣٧.	٤. أوحينا إليك	٠,٨٦٨٧
٣٨.	٥. لا إله إلا الله	١,١٧٨٦
٣٩.	٦. ولو أن	٠,٧١١٨
٤٠.	٧. به الأرض	١,٢٢٤٨
٤١.	٨. بل لله الأمر	٠,٧٨١٢
٤٢.	٩. ولو أن	٠,٦٠٦٢
٤٣.	١٠. قرانا	٠١,١٤٣٤
٤٤.	١١. به الأرض	١,١٢٥٦
٤٥.	١٢. بل لله الأمر	٠,٨١٨٧
٤٦.	١٣. أفلم يبئس	١,٠٣١٥
٤٧.	١٤. الذين آمنوا أن	١,٠٧٤, ١,٠٦٨٥
٤٨.	١٥. يشاء الله	٠,٧٣٧٥
٤٩.	١٦. فارعه أو تحل	٠,٩١٨٧

تابع قراءة المنشاوى/ سورة النحل

الرقم التسلسلى	نص الآية	المدة الزمنية
.٥٠	١. ما ملكت أيمانهم	١,٢٤٣٨
.٥١	٢. من أنفسكم	١,٣٨٠٧
.٥٢	٣. من أنفسكم أزواجاً	١,٠٦٧٣
.٥٣	٤. جعل لكم من أزواجكم	١,١٣٥٧
.٥٤	٥. من السموات والأرض	١,٢٤٣٨
.٥٥	٦. شيئاً	٠,٩٦٢٥
.٥٦	٧. من أنفسكم	١,٢١١٨
.٥٧	٨. الأمثال	٠,٧٥٦٣
.٥٨	٩. على شيء	١,٣٤٣٧
.٥٩	١٠. والأرض	١,٠٧٤٨
.٦٠	١١. على كل شيء	٠,٩٥٦٢
.٦١	١٢. لا تعلمون شيئاً	١,٣٠٥٧
.٦٢	١٣. السمع والأبصار	١,١٣٦٨
.٦٣	١٤. ألم تروا إلى الطير	٠,٨٩٣٧
.٦٤	١٥. الأنعام	١,١٣٨٠
.٦٥	١٦. ومن أصوافها	٠,٩٥٦٧
.٦٦	١٧. ومتاعاً إلى	١,٣٥٥٧

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الكهف

.٦٧	١. نبات الأرض	١,١١٨٢
.٦٨	٢. وكان الله على كل شيء	٠,٨٣٧٥

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الكهف

.٦٩	١. وننزل من القرآن	١,٠٧٤٨
.٧٠	٢. ما هو شفاء	٠,٩١٢٥
.٧١	٣. تجري من تحتها الأنهار	١,١٨٧٢
.٧٢	٤. وإذا مس الإنسان	١,٠٣١٨
.٧٣	٥. فى الأرض	١,١٣٦٩

تابع قراءة الشيخ المنشاوي/ سورة الروم

الرقم التسلسلي	نص الآية	المدة الزمنية
.٧٤	١. ومن آياته	١,٠١١٥
.٧٥	٢. من أنفسكم	١,٥٩٧٠
.٧٦	٣. من أنفسكم أزواجاً	١,٠٤٣٧
.٧٧	٤. خلق السموات والأرض	١,٤٠٦٧
.٧٨	٥. ومن آياته منامكم	٠,٧٩٣٧
.٧٩	٦. ومن آياته يريكم	٠,٧٠٦٢
.٨٠	٧. به الأرض	٠,٩٣١٢
.٨١	٨. تقوم السموات والأرض	١,١٣٦٨
.٨٢	٩. ومن آياته	٠,٧٥٦٢
.٨٣	١٠. السماء والأرض	١,٢٩٩٥
.٨٤	١١. من الأرض	٠,٩٣٧٥
.٨٥	١٢. وله المثل الأعلى	١,٢٧٤٦
.٨٦	١٣. في السموات والأرض	١,٠١١٧
.٨٧	١٤. في السموات والأرض	١,٠٨١٩
.٨٨	١٥. وله المثل الأعلى	١,١٩٩٤
.٨٩	١٦. في السموات والأرض	٠,٧٨١٢
.٩٠	١٧. مثلاً في أنفسكم	١,٣٠٥٧
.٩١	١٨. ما ملكت أيماكم	١,٢٥٥١
.٩٢	١٩. هل لكم مما ملكت أيماكم	١,٢٥٠٨
.٩٣	٢٠. كذلك يفصل الآيات	٠,٧٨٧٥
.٩٤	٢١. من أضل الله	٠,٧٤٣٧
.٩٥	٢٢. ثم إذا أذاقهم	١,٢٢٤٩

تابع قراءة الشيخ المنشاوى / سورة الزوم

المدة الزمنية	نص الآية	الرقم التسلسلى
١,٢٩٣٦	٢٣ . رحمة إذا	. ٩٦
١,٣٨٧٥	٢٤ . بما آتيناهم	. ٩٧
١,٢٩١٠	٢٥ . وإذا أذقنا	. ٩٨
١,٣٧٨٩	٢٦ . بما قدمت أيديهم	. ٩٩
١,٤٩٣٢	٢٧ . وما آتيتم	. ١٠٠
١,٣٢٩٥	٢٨ . فى أموال الناس	. ١٠١
١,٤٨٥٧	٢٩ . وما آتيتم من زكاة	. ١٠٢
١,٦١٧٢	٣٠ . فأولئك	. ١٠٣

تابع قراءة الشيخ المنشاوى / سورة لقمان

المدة الزمنية	نص الآية	الرقم التسلسلى
١,٢٣٧٠	١ . ووصينا الإنسان	. ١٠٤
١,١٩٤٢	٢ . سبيل من أناب	. ١٠٥
١,١٠٥٧	٣ . يا بني إنها	. ١٠٦
١,٤٧٣٠	٤ . أو فى الأرض	. ١٠٧
١,٥١٣٧	٥ . على ما أصابك	. ١٠٨
١,٢١٨٦	٦ . عزم الأمور	. ١٠٩
١,١٣٨٢	٧ . تمشى فى الأرض	. ١١٠
١,٣٩٧٣	٨ . إن انكر الأصوات	. ١١١
١,٢٧٥٤	٩ . وما فى الأرض	. ١١٢
١,١٤١٩	١٠ . وما أنزل الله	. ١١٣

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الزخرف

الرقم التسلسلى	نص الآية	المدة الزمنية
. ١١٤	ما تشتهيهِ النفس	١, ١٣٧٢
. ١١٥	وتلذ الأعين	٠, ٥٦٣٢
. ١١٦	التي أورثتموها	١, ٥٤٧٣
. ١١٧	التي أورثتموها	١, ٣٢٧٠
. ١١٨	أم أبرموا أمرا	١, ٢٤٦٨
. ١١٩	أم أبرموا أمرا	١, ٢٥٣١
. ١٢٠	رب السموات والأرض	١, ١٢٣٧
. ١٢١	رب السموات والأرض	١, ٢٥١٧
. ١٢٢	رب السموات والأرض	١, ٢٥٨٣
. ١٢٣	وهو الذى فى السماء	١, ٢٧٥٠
. ١٢٤	وهو الذى فى السماء	١, ١٩٦٧
. ١٢٥	وفى الأرض إله	١, ٠٧٢٣
. ١٢٦	وفى الأرض إله	١, ١٢٥٦
. ١٢٧	ملك السموات والأرض	٠, ٩٧٣٢
. ١٢٨	ملك السموات والأرض	١, ٠٧٣٢
. ١٢٩	ملك السموات والأرض	١, ٢٣٧٠
. ١٣٠	يا رب إن هؤلاء	١, ٣١٥٧
. ١٣١	يا رب إن هؤلاء	١, ٢٧٣٥

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الدخان

. ١٣٢	إنا أنزلناه قرآنا	١, ٤٣١٧
. ١٣٣	إنا أنزلناه قرآنا	١, ٣٨٤٦
. ١٣٤	إنا أنزلناه قرآنا	١, ٢٨٤٧
. ١٣٥	فى ليلة مباركة إنا	١, ٢٣٧٥
. ١٣٦	فى ليلة مباركة إنا	١, ٣٦٨٤
. ١٣٧	فى ليلة مباركة إنا	١, ٢٣١٨
. ١٣٨	رب السموات والأرض	١, ٢٩٧١
. ١٣٩	رب السموات والأرض	١, ١٣٥٧
. ١٤٠	ورب آبائكم	١, ٣٨٢٤

١,٣٦٥٧	ورب آباءكم	. ١٤١
١,٢٣٦٧	يوم تأتي السماء	. ١٤٢
١,٢٤٨٩	يوم تأتي السماء	. ١٤٣

تابع قراءة الشيخ المنشاوي/ سورة ق

١,٠٣٧٥	١. تشقق الأرض	. ١٤٤
٠,٩٣٤٢	٢. نحن أعلم	. ١٤٥
٠,٧٨٤٥	٣. وما أنت	. ١٤٦
١,١٢٣٠	٤. بالقران	. ١٤٧

تابع قراءة الشيخ المنشاوي/ سورة الرحمن

١,١١٢٣	١. علم القرآن	. ١٤٨
١,٠٦٢٥	٢. خلق الإنسان	. ١٤٩
٠,٩٥٣٣	٣. والأرض	. ١٥٠
١,١٢٤٠	٤. للأنام	. ١٥١
١,٠٦٥٤	٥. ذات الأكمام	. ١٥٢
١,١٢٣٧	٦. فباي الأء ريكام	. ١٥٣
١,٠٧٥٦	٧. خلق الإنسان	. ١٥٤

تابع قراءة الشيخ المنشاوي/ سورة الانفطار

١,١٣٧٠	١. نفس لنفس شيئاً	. ١٥٥
١,٢٥٣٠	٢. نفس لنفس شيئاً	. ١٥٦
١,١٤٣٤	٣. والامر يومئذ	. ١٥٧
٠,٩٣٧٢	٤. والامر يومئذ	. ١٥٨
٠,٥١٢٥	٥. وما أدراك ما يوم	. ١٥٩
١,٠٦٢٠	٦. ثم ما أدراك ما يوم	. ١٦٠

تابع قراءة الشيخ المنشاوى / سورة الفجر

المدة الزمنية	نص الآية	الزقم التسلسلى
٠,٧٧٥٠	١. بعاد إرم ذات العماد	. ١٦١
٠,٨٩٣٧	٢. ذى الأوتاد	. ١٦٢
٠,٧٦٢٥	٣. سوط عذاب إن	. ١٦٣
١,٠٨٢١	٤. فأما الإنسان	. ١٦٤
٠,٨٩٣٧	٥. الأرض دكا دكا	. ١٦٥
١,١٢٥٤	٦. يتذكر الإنسان	. ١٦٦
٩,٤٨١٢	٧. كلا إذا دكت	. ١٦٧
٠,٥٢٥٠	٨. دكت الأرض	. ١٦٨
٠,٤٨٧٥	٩. وجىء ريك	. ١٦٩
١,٠١١٧	١٠. وجىء ريك والملك	. ١٧٠
١,٠٥٥٣	١١. وجىء يومئذ	. ١٧١
١,٠٤٩٢	١٢. يومئذ يتذكر الإنسان	. ١٧٢
١,٠٣١٩	١٣. يوم يتذكر الإنسان	. ١٧٣
٠,٧٩٣٧	١٤. يا أيتها النفس	. ١٧٤
٠,٩٢٥٠	١٥. ارجعى إلى ريك	. ١٧٥

تابع قراءة الشيخ المنشاوى / سورة المطففين

١,٠٥٥٧	١. كلا بل ران	. ١٧٦
١,٣٣١٢	٢. كلا بل ران	. ١٧٧

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة البلد

١,٣٩٣١	١ . لا أقسم بهذا البلد	. ١٧٨
٠,٩١٨٧	٢ . الإنسان فى كبد	. ١٧٩

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة القدر

١,٧٠٣٢	خير من ألف شهر	. ١٨٠
٠,٩٢٣٦١	خير من ألف شهر	. ١٨١

ثانياً: قراءة الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد/ سورة البقرة

١,٣١٨٧	١ . والأنثى بالأنثى	. ١٨٢
٠,٦٦٢٥	٢ . بالأنثى	. ١٨٣
١,١٧٤٠	٣ . فمن عفى له من أخيه	. ١٨٤
١,٢٥٠٣	٤ . شىء فاتباع	. ١٨٥
١,١٤٣٦	٥ . وأداء إليه بإحسان	. ١٨٦
١,٢٨١	٦ . عذاب اليم	. ١٨٧

تابع قراءة الشيخ عبد الباسط/ سورة يوسف عليه السلام

١,١٤٣٧	١ . لكم أنفسكم	. ١٨٨
٠,٨٢٥٠	٢ . أنفسكم أمرا	. ١٨٩

تابع قراءة الشيخ عبد الباسط/ سور القيامة

١,٠٢٤٥	١ . يقول الإنسان	. ١٩٠
١,٠٩٣٤	٢ . يومئذ أين المفر	. ١٩١
١,٢٠٥٧	٣ . من راق	. ١٩٢

ثالثاً: قراءة الشيخ مصطفى إسماعيل / سورة التوبة

٠,٥٤٣٧	١ . والله على كل شيء	. ١٩٣
٠,٩٨٦٨٧	٢ . إذ أخرجه الذين كفروا	. ١٩٤
١,٠١١٨	٣ . إذ أخرجه الذين كفروا	. ١٩٥
١,٢١٨٥	٤ . إذا أخرجه الذين كفروا	. ١٩٦
١,٣٤٣١	٥ . لا تحزن إن الله معنا	. ١٩٧
١,٤٨٧٢	٦ . إذ أخرجه الذين كفروا	. ١٩٨
١,٠٩٩٦	٧ . لا تحزن إن الله معنا	. ١٩٩
١,٢٧٤٠	٨ . إذ أخرجه الذين كفروا	. ٢٠٠
١,٢١١٧	٩ . لا تحزن إن الله معنا	. ٢٠١

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

تابع قراءة الشيخ مصطفى إسماعيل / سورة الكهف

١,١٢٥٧	١ . فمن شاء فليؤمن	. ٢٠٢
١,٢٣٧٤	٢ . ومن شاء فليكفر	. ٢٠٣
١,٠٧٤٥	٣ . إنا أعتدنا للظالمين	. ٢٠٤
١,٢٦٧٣	٤ . بماء كالمهل	. ٢٠٥
١,٢٤٣٠	٥ . من أحسن عملاً	. ٢٠٦
١,١٣١٧	٦ . أولئك لهم جنات	. ٢٠٧
١,١٣٧٤	٧ . تجري من تحتها الأنهار	. ٢٠٨
١,١٧٤٥	٨ . من أسور من ذهب	. ٢٠٩
١,٢٠٦٣	٩ . جنتين من أعناب	. ٢١٠
١,٢٤٣٧	١٠ . أنت أكلها	. ٢١١

تابع قراءة الشيخ مصطفى إسماعيل / سورة فاطر

٢١٢ .	١ . إن الله يهدي من يشاء	١, ١٣٦٨
٢١٣ .	٢ . إن الله يضل من يشاء	١, ٢٦١٥
٢١٤ .	٣ . والله الذي أرسل الرياح	١, ٤٠٦٢
٢١٥ .	٤ . والله الذي أرسل الرياح	١, ٤٦١٣
٢١٦ .	٥ . فأحيا به الأرض	١, ٣٣١٧
٢١٧ .	٦ . ومكر أولئك هو بيور	١, ٠٩٩٦
٢١٨ .	٧ . جعلكم أزواجا	١, ٠٣٩٨
٢١٩ .	٨ . وما تحمل كل أنثى	٠, ٩١٨٧
٢٢٠ .	٩ . وما تحمل كل أنثى	١, ٢١٨٣
٢٢١ .	١٠ . وما ينقص من عمره إلا	١, ٢٢٤٥
٢٢٢ .	١١ . سائغ شرابه	١, ١٣٦٤
٢٢٣ .	١٢ . سائغ شرابه	١, ٣١٢٥
٢٢٤ .	١٣ . سائغ شرابه	١, ٢٧٤٦
٢٢٥ .	١٤ . لا يسمع دعاءكم	١, ٢٣٧١
٢٢٦ .	١٥ . يا أيها الناس	١, ٢٩٣٨
٢٢٧ .	١٦ . يا أيها الناس	١, ٢٦١٤
٢٢٨ .	١٧ . أنتم الفقراء إلى الله	٠, ٧٧٥٠
٢٢٩ .	١٨ . أنتم الفقراء إلى الله	١, ٢٤٣٩
٢٣٠ .	١٩ . وإن تدع مثقلة إلى حملها	١, ٠٣١٥
٢٣١ .	٢٠ . يستوى الأعمى والبصير	١, ٢٨١٦
٢٣٢ .	٢١ . وما يستوى الأحياء	٠, ٩٩٣٢

أولاً: ملاحظات عامة علي النتائج:

ذكرنا فيما سبق أن هذا البحث يحاول - بطريق التجريب - أن يقف على مقدار المدة الزمنية التي يستغرقها السكت على الحرف الذي يكون قبل الهمزة. هو ما نصت عليه قراءة حمزة - رحمه الله - ومن تابعه من القراء لآي القرآن الكريم، حيث أشاروا إلى ضرورة قطع الصوت زمنياً يسيراً على الحرف قبل الهمزة من غير تنفس، ومقداره حركتان. وقد تفاوتت هذه المدة الزمنية المقدرة بالحركتين - عند القدماء - في قراءة هؤلاء القراء الثلاثة المعاصرين الذين أدخل قراءاتهم إلى الجهاز الصوتي (sona graph model ٥٥٠٠)، وتم حساب مقدارها الزمني بجزء من عشرة آلاف من الثانية. ويعود جزء كبير من هذا التفاوت الزمني في المتوسط العام إلى نوع الحرف الذي تعقبه الهمزة، وتم عنده قطع النفس زمنياً؛ كأن يكون مثلاً حرفاً ساكناً شديداً أو حرف مد أولين... إلخ. وذلك على النحو التالي:-

١. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لهذا السكت على الحرف الذي قبل الهمزة فيما أطلق عليه القراء (أل - التعريفية) قريباً من (١,٠٥٠) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٧٠) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ٥، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٥٧، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ١٠٤، ١٠٧، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٨، ٢١٦، ٢٣١، ٢٣٢)، وهو ما يمثله الجدول التالي -

الموقوف عنده	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
«أل» التعريفية	٧٠	٦٣,٩٦٩٦	١,٠٤٨٦

٢. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف النون الساكنة في (مَنْ) ونحو الذي قبل الهمزة نحو (مِنْ أولياء) (ولا تحزنْ إنَّ) حوالى (١,٠٦٣) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٣٤) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ٣، ٦، ٧، ٩، ٥١، ٥٣، ٥٦، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ٩٠، ٩٤، ١٠٥، ١٨٠، ١٨١، ٢٠٦، ٢٠٩)، وهو ما يمثله الجدول التالي:-

الموقوف عنده	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
النون الساكنة «من	٢٦	٢٦,٥٦٩٨٩٥	١,٠٦٢٧٩٥٨

٣. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف النون الساكنة الذي أصله التنوين - أيّاً كان نوعه - قبل الهمزة في نحول قوله تعالى «ونحن عصبيةٌ إنا إذا لخاسرو» - يوسف - آية ١٤، قريباً من (١,٠٦٠) من الثانية، وقد كان ذلك من مجموع (١٢) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ٢١، ٤٩، ٦٦، ٩٦، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٦٣، ١٨٦، ١٨٧، ١٩١، ٢٢٠) وهو ما يمثله الجدول التالي:-

الموقوف عنده	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
نون ساكنة «التنوين»	١٢	١٠,٥٦١١	١,٠٥٦١١

٤ . بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف (ميم الجمع) الذى يكون قبل الهمزة فى نحو قوله تعالى «من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد - هود - آية ١١٦» حوالى (١,٠٥٠) من الثانية، وذلك من مجموع (٧) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ٤، ٢٦، ٥٢، ٧٦، ١٨٨، ١٨٩، ٢١٨)، وهو ما نراه فى الجدول التالى:-

الموقوف عنده	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
حرف ميم الجمع	٧	٧,٤٠١٤	١,٠٥٧٣

٥ . بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على تاء التانيث الساكنة التى قبل الهمزة فى نحو قوله تعالى «على ما ملكت أيماهم - النحل - آية ٧١» قريباً من (١,٢٨٠) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٥) عينة وردت فى الجدول المرفقة (الأرقام ٥٠، ٩١، ٩٢، ٩٩، ٢١١)، وهو ما يمثله الجدول التالى:-

الموقوف عنده	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
تاء التانيث الساكنة	٥	٦,٣٧٨	١,٢٧٥٦

٦ . بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف المد - أياً كان نوعه - الذى يكون قبل الهمزة فى نحو قوله تعالى «وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك - يوسف - آية ٦» نحواً من (١,١٣٥٠) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٧٧) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩،

٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥،
 ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٧، ٤٨، ٧٠، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢،
 ١٠٣، ١٠٨، ١١٣، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٠،
 ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦،
 ١٥٣، ١٥٩، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٩، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨،
 ١٨٦، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤،
 ٢١٥، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧،
 ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٢)، وهو ما يتضح من الجدول التالي:-

الموقوف عنده	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
حروف المد	٧٧	٨٧,٣٧٣٠	١,١٣٥٠

٧. المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرفي اللين - الواو والياء الساكنين المفتوح ما قبلهما - اللذين يكونان قبل الهمزة في نحو قوله تعالى «إن الله على كل شيط قدير. والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً - النحل - آيتان ٧٧، ٧٨» حوالى (١,٠٠٢) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (١٢) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ٢، ٣٩، ٤٢، ٤٦، ٥٥، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٨، ١٥٥، ١٥٦، ١٨٥، ١٩٣) وهو ما يمثله الجدول التالي:-

الموقوف عنده	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
حرفي اللين	١٤	١٤,٠٣٠٣٨	١,٠٠٢١٧

٨ . بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على الحرف الذي يكون قبل الهمزة فيما عدا ما ذكر سابقاً نحو قوله تعالى «بل ران على قلوبهم - المصطففين - آية ١٤» حوالي (١,٣٧٠) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٨) عينات اشتملت عليها الجداول المرفقة، وقد حصل عليها الباحث من قراءة بعض القراء غير هؤلاء القراء الذين قام هذا البحث على قراءاتهم، وقد أوضحنا ذلك فيما سبق، وهو ما يمثله الجدول التالي:-

الحرف الموقوف عنده	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
حرف صحيح	٨	١٠,٩٤٤	١,٣٦٨

ثانياً: مناقشة التفاوت الزمني بين نتائج العينات وأسبابه:

أ. المدة الزمنية للسكت على الحرف قبل الهمزة في كلمة وكلمتين:
 ١ . بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على الحرف الذي يكون قبل الهمزة في الكلمة الواحدة وليس من كلمتين - بصفة عامة - نحو قوله تعالى «سائغ شرابه - فاطر - آية ١٢» (١,١١٤) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٢٩) عينة اشتملت عليها مادة البحث (الأرقام ٣٢، ٣٣، ٤٨، ٧٠، ٨٣، ١٠٣، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٣، ١٨٦، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٢)، وهو ما يمثله الجدول التالي:-

الموقوف عنده	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
في كلمة	٢٩	٣٢,٣٠٦	١,١١٤

٢ . بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على الحرف الذى يكون قبل الهمزة من كلمتين نحو قوله تعالى «على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء - النحل - آية ٧١» نحواً (١, ١٠٠) من الثانية، وقد كان ذلك من مجموع (٦٦) عينة اشتملت عليها مادة البحث (الأرقام ١، ٢، ٣، ٤، ٧، ٩، ٢١، ٢١، ٢٦، ٣٠، ٣٩، ٤٢، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٦٥، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٥، ١٠٦، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٥، ١٦١، ١٦٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠، ١٨١، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٠)، وهو ما يمثله الجدول التالى:-

الموقوف عنده	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
من كلمتين	٦٦	٧٢, ٢٧٦	١, ٠٩٥

٣ . بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على الحرف الصحيح الساكن الذى يكون قبل الهمزة فى كلمة واحدة نحو قوله تعالى «علم القرآن - الرحمن - آية ٢» (١, ٠٧٠) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (١٤) عينة اشتملت عليها مادة البحث (الأرقام ٤٣، ٤٦، ٥٥، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٨، ٦٩، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٥، ١٥٦، ١٨٥، ١٩٣).

٤ . فى الوقت الذى بلغت فيه قيمة المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف المد الذى يكون قبل الهمزة فى قراءة هؤلاء القراء الثلاثة فى كلمة واحدة قريباً من (١, ٢٣٠) من الثانية،

وكان ذلك من مجموعة (٣٣) عينة اشتملت عليها مادة البحث (الأرقام ٣٢، ٣٣، ٧٠، ١٠٣، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٠، ١٣١، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٥٣، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٨٦، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٢)، نتحقق ذلك من هذا الجدول:-

الموقوف عنده	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
الصحيح الساكن	١٤	١٤,٩٨٧	١,٠٧٠
حرف المد	٣٣	٤٠,٤٥٨	١,٢٢٦

ب. المدة الزمنية للسكت علي الحركات الطويلة (حروف المد) -

سبق أن ذكرنا أن المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف المد - أياً كان نوعه - الذي يكون قبل الهمزة نحو (الفحشاء، سوء، ربي أحسن، عسى أن... إلخ) قد بلغ - بصفة عامة - قريباً من (١,١٠٧) من الثانية، لكنه تفاوت بعد ذلك زمنياً نتيجة لنوع حرف المد؛ كأن يكون ألفاً أو واواً أو ياء، ثم لطبيعة زمن المد الذي يقتضيه أثناء المد؛ كأن يكون مداً متصلاً أو منصلاً أو لازماً أو عارضاً للسكون.

١. فهو قد بلغ مع حرف المد الألف نحو قوله تعالى «كما أتمها على أبويك - يوسف - آية ٦» قريباً من (١,١٠٥) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٦٣) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٢٩، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٨، ٦٥، ٧٠، ٧٤، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ٨٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٨، ١١٣، ١٢٣، ١٢٤،

١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣،
 ١٥٣، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤،
 ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥،
 ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٢).

٢. وهو قد بلغ أيضاً مع حرف المد الياء في قوله تعالى «ارجعي إلى ربك - الفجر - ٢٨» نحواً من (١، ١٢٠) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (١٤) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ٢٨، ٣١، ٣٤، ٣٦، ١٠١، ١١٦، ١١٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢١).

٣. كما هو قد بلغ مع حرف المد الواو في قوله تعالى «الذين آمنوا أن لو يشاء الله - الرعد - آية ٣١» حوالي (١، ٠٩١) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٦) عينات اشتملت عليها الجداول المرفقة (٢٢، ٢٤، ٣٢، ٤٧، ١١٨، ١١٩)، ويتضح ذلك جلياً في الجدول التالي:-

الموقوف عنده	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
حرف المد الألف	٦٣	٦٩، ٦٥٩١	١، ١٠٥٧
حرف المد الياء	١٤	١٦، ٦٢٥	١، ١٨٧٥
حرف المد الواو	٦	٦، ٥٨٢	١، ٠٩٧

وبالتدقيق في المتوسط العام للمدة الزمنية لانقطاع النفس على حروف المد التي تكون قبل الهمزة - كما يشير الجدول - نلاحظ تفاوتاً زمنياً في مدة السكت التي تكون عند حرف دون حرف آخر، ويمثل

المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف المد الألف المدى الزمني المعياري الذي يعد وسطاً بين هذه الفترات الزمنية الثلاث التي يعرضها الجدول، والفارق الزمني الملحوظ هو الذي نجده في المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت لكل من الواو والياء، وقد قدر هذا التفاوت الزمني على اختبار (ت) (test) للفروق بين العينات بحوالي (1, 01) $(P > 1, 01)$ وهو ما يمثل (0, 4390) وهذا الفارق الزمني وإن كان ضئيلاً إلا أنه يعتد به في أمثال هذه الدراسة.

ج. المدة الزمنية للسكت على حرفي اللين (الواو والياء)؛

فإذا تأملنا المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرفي اللين (الواو والياء) اللذين يكونان قبل الهمزة - كما أشرنا إليه سابقاً - في ضوء ما لاحظناه من أحوال المتوسط العام لزمن السكت الذي يكون على حروف المد قبل الهمزة أيضاً، اتضح لنا بجلاء أن هناك فارقاً زمنياً بينهما قدر على اختبار (ت) للفروق بين العينات (t.test) حوالي (0, 02) $(P > 0, 02)$ ، وهو ما يعني أن مدة زمنية للسكت على حروف المد الثلاثة قبل الهمزة أطول من زمنه على حرفي اللين عند النطق بالهمزة نفسها. ولعل هذا ما يفسر لنا قول بعض علمائنا القدماء أن زمن المد بحرفي اللين المذكورين جاء في نحو «شيءٌ وسوءٌ» خشية خفائهما لاتساع مخرجهما وجلادة الهمزة، فلما لاصقت الهمزة حرفي اللين وفيه خفاء بين بالمد، بنقصه وضعفه ومخالفته بذلك لحروف المد، وإنما بقيت المشابهة بين حرفي اللين وحرف المد باللين والسكون لا غير، وبأنهما قد تكون حركة ما قبلهما منهما فكان المد فيهما للهمزة دون مد ما شابهها، ونقصاً عن درجته، وهي حروف المد. فورش يمد الياء من «شيء» ونحوه، وحمزة

يقف على الياء ثم يهمز، ففي قراءة ورش من المد ما ليس في قراءة حمزة .

د. المدة الزمنية للسكت على الحروف الصحيحة الساكنة قبل الهمزة،

أظهرت نتائج عينات البحث تفاوت قيم المتوسط العام للمدة الزمنية لانقطاع النفس على الحروف الصحيحة الساكنة قبل الهمزة، وقد نحا هذا التفاوت الزمنى مناحى شتى تبعاً لنوع الحرف الصحيح الساكن الذى يكون قبل الهمزة: -

١ . فقد كان مع تاء التأنيث الساكنة التى تكون قبل الهمزة نحواً من (١,٣٠٠) من الثانية، ومع النون الساكنة فى أمثال «من آمن» و«نحن عصبه إنا إذا لخاسرون» قريباً من (١,١٠٠) من الثانية، ومع أل التعريف وميم الجمع حوالى (١,٠٥٠) من الثانية، ولكن ظل زمنه يساوى نحو (١) ثانية مع الحروف الأخرى فى غير ما ذكر. ولدى إجراء اختبار (t.test) للفروق بين العينات اتضح أن هناك فرقاً زمنياً بين مدة السكت على تاء التأنيث الساكنة قبل الهمزة والنون الساكنة الأصلية أو الناشئة عن التنوين، وقد قدر بحوالى (1,01 > P) لزمن انقطاع النفس على تاء التأنيث الساكنة قبل الهمزة، وهو فارق زمنى يعتد به فى أمثال هذه الدراسة، وإنما كان ذلك كذلك لأن التاء حرف شديد وقفى جلد، ويتطلب النطق به جزءاً من الزمن أطول من حرف النون الخفيفة الذى هو صوت صاعد فقط من الخيشوم.

٢. والأمر نفسه يقال أيضاً عن ذلك الفارق الزمني بين مدة السكت على هذه التاء قبل الهمزة وغيرها من الحروف الأخرى (ميم الجمع، النون، أل التعريف، الحرف والهمزة داخل الكلمة...) التي تكون قبل الهمزة نفسها، فقد بلغ هذا الفارق الزمني بين مدة السكت على تاء التأنيث الساكنة قبل الهمزة وأل التعريف وميم الجمع... إلخ. ($P > 0,02$) على اختبار (t.test) للفروق بين العينات.

٣. ورد عن حفص عن عاصم - يرحمهما الله تعالى - أنه كان يسكت سكتة لطيفة على حروف خاصة في القرآن الكريم، وقد استطاع الباحث أن يحصل من قراءة بعض هؤلاء القراء الثلاثة وغيرهم (وهم الشيخ محمود خليل الحصري، ومحمود على البنا) لآي القرآن الكريم في الحروف الخاصة بقراءة حفص عن عاصم على (٨) عينات بلغ المتوسط العام فيها قريباً من (١,٣٧٠) من الثانية. وبمقارنة نتائج هذه العينات مع غيرها من العينات الأخرى رأينا فارقاً زمنياً بينهما في المتوسط العام. وذلك يعود - في نظرنا - إلى أن المسوغ لهذا السكت هو صعوبة الإدغام الذي يكون بين النون الساكنة في (من) والراء في قوله تعالى «من راق - القيامة - آية»، وكذلك اللام في الراء في قوله تعالى «بل ران - المطففين - آية» ففروا من ذلك إلى السكت بمقدار الحركتين وحرصوا عليه ببيان هذا السكت مدة زمنية أطول من غيره.

الموقوف عنده	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
بل ران، من راق	٨	١٠,٩٧٦	١,٣٧٠

الخاتمة:

تعد ظاهرة السكت على الحرف الذى يكون قبل الهمزة - كما نجدها فى قراءة حمزة - يرحمه الله - ومن تابعه من القراء لآى القرآن الكريم - من ثمرات تصرف العرب فى حرف الهمزة. وما ذلك إلا لأن هذا الحرف (الهمزة) جلد يصعب على الالفاظ النطق به محققاً، إذ هو حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق. فلما كان أدخل الحروف فى الحلق استثقل النطق به إذ كان إخراجها كالهوع. وبدافع من ذلك فقد استعملت العرب فى الهمزة المفردة - مثلاً - ما لم تستعمله فى غيرها من الحروف فقد استعملوا فيها التحقيق والتخفيف وإفاء حركتها على ما قبلها وإبدالها بغيرها من الحروف وحذفها فى مواضعها؛ وذلك لاستثقالهم لها ولم يستعملوا ذلك فى شىء من الحروف وغيرها ومن ذلك أيضاً السكت على الحرف الذى يكون قبلها بسبب بعد مخرجها وصعوبة اللفظ بها، وليستفرغ المتكلم القوة فى النطق بها مبتدئاً، وهذا الوقف على الحرف - أياً كان نوعه - الذى قبل الهمزة - من كلمة أو كلمتين - فترة من الزمن ثم النطق بها بعد ذلك هو ما تمثله قراءة حمزة ومن تابعه من القراء لآى القرآن الكريم، وهى صورة من صور التخفيف عند النطق بحرف الهمزة لدى الناطقين بها عند العرب وعند غيرهم من أبناء الأمم الأخرى من المسلمين الذين تعبدوا بقراءة آى القرآن الكريم، ويجدون صعوبة فى النطق بها ولا يستطيعون التلفظ بها محققة قديماً وحديثاً ومستقبلاً، وقد تساءلنا فى بداية هذا البحث عن مقدار الزمن الذى يحق للقارئ أن يسكت فيه استعداداً للنطق بحرف الهمزة، وهو ما تقرره قراءة السكت، وتوصلنا بعد الدراسة والبحث إلى أنه بعد تتبّع قراءة بعض القراء المجيدين المعاصرين لآى القرآن الكريم بهذه القراءة على صفحات هذا

البحث تبين أن هناك تفاوتاً زمنياً عند السكت على الحرف الذي يكون قبل الهمزة تبعاً لنوع هذا الحرف، وكونه في كلمة أو كلمتين، فهو مع حروف المد - بوجه عام في كلمة أو كلمتين - قد بلغ (١,١٠٧) ثانية، في حين نجده قريباً من (١,٠٥٠) من الثانية مع الحرف الصحيح الساكن - بوجه عام في كلمة أو كلمتين، وهو قد وصل (١,٢٥٠) ثانية مع حروف المد في كلمة، وهو مع الحرف الصحيح الساكن وما أشبهه كحرفي اللين قد بلغ (١,٠٧٠) من الثانية في كلمة أيضاً، ثم بعد ذلك تفاوتت القيم الزمنية للسكت على حرف المد تبعاً لنوع هذا الحرف، فالقيمة الزمنية للسكت على حرف المد (الألف) قبل الهمزة يختلف زمنياً عن مثيليه (حرفي الواو والياء)، وما قيل عن اختلاف القيمة الزمنية للسكت على حرف المد قبل الهمزة يقال كذلك عن تفاوتها عند السكت على الحروف الصحيحة الساكنة قبل الهمزة، ولكنها ظلت دائماً أكثر زمناً من (١) من الثانية في أحوالها جميعاً. وقد أفضنا الحديث عن ذلك فيما سبق.

الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة

مرتكزات أساسية لعلوم اللغة العربية

د. سمير بن يحيى المعبر

قسم اللغة العربية - جامعة الملك عبدالعزيز

المقدمة:

من التعريفات الشائعة للغة أنها وسيلة اتصال، وهذه هي وظيفة اللغة العملية اليومية بالإضافة إلى وسيلتها العقلية والنفسية والثقافية. واللغة كأداة اتصال تعتمد على النموذج الاتصالي المتفق عليه عالمياً والذي يتمثل في طرفي الاتصال المرسل والمستقبل. وتتخذ عملية الإرسال عادة أحد شكلين: التحدث أو الكتابة، فإذا هدف المرسل إلى إيصال معلومة أو رسالة للغير فإنه يقول ذلك عبر الهواء أمام المستمع أو من خلال لاقط الصوت الإذاعي في حالة الراديو والتلفزيون والمسجل الصوتي. وكذلك عن طريق كتابة ما يريد، بحيث يقرأها الشخص المعنى بالرسالة فيحدث الاتصال بين المرسل والمستقبل.

وكذلك فإن عملية الاستقبال تتخذ أيضاً أحد شكلين هما الإصغاء أو القراءة. والإصغاء يكون لحديث مباشر أو سماع مسجل صوتي أو راديو أو مشاهدة تلفيزيون. أما القراءة فتتم عن طريق ترجمة الرموز المكتوبة إلى أصوات تتكون من كلمات وجمل تحمل رسالة الكاتب من خلال قراءة خبر أو مقالة أو كتاب.

وبذلك تكون عوامل النجاح في العملية التعليمية أو في الاتصال بين الناس في مهارات أربع يجب على المتعلم إتقانها وهي: الاستماع

والتحدث والقراءة والكتابة . ويقدر ما يكون المتعلم متمكناً من هذه المهارات بقدر ما يكون ناجحاً في تحصيله العلمي وفي حياته العلمية .

بالوقوف على مناهج أقسام اللغة العربية في كثير من جامعات الدول العربية وجدت أنها تركز على تعليم المواد اللغوية من نحو وصرف وعلم لغة وفقه لغة ومعجم ودلالة وأصوات .. الخ، والمواد الأدبية التي تدرس العصور الأدبية والبلاغة والنقد .. الخ . وتغفل هذه المناهج تدريب المتعلم على المهارات اللغوية من استماع وتحدث وقراءة وكتابة، مما أدى إلى ضعف الخريجين من أقسام اللغة العربية، فلا تجدهم يجيدون التحدث ولا الكتابة .

لذا أحببت تسليط الأضواء على هذه المهارات وتبيين بأنها من الأهمية بمكان بحيث لا يستغنى عن إجادتها وإتقانها كل دارس للغة العربية . وتقديم الحد الأدنى لما ينبغي أن يلمّ به طالب الأقسام العلمية في الجامعات العربية . علماً تكون حافزاً لدراسات مستقبلية أكثر تفصيلاً وأعمق تناولاً .

والله سبحانه وتعالى أسأله التوفيق والسداد والنفع، إنه سميع مجيب .

د . سمير بن يحيى المعبر

المهارة الأولى: الاستماع

يقول بشار بن برد:

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

اللغة العربية أداة اتصال ولا بد لهذه العملية من مرسل ومستقبل، ويتبادل الاثنان الأدوار لإتمام عملية الاتصال. والاستماع هو نصف عملية الاتصال، وهو فن من فنون اللغة العربية، ومهارة من أهم مهاراتها اللغوية. وهو قراءة مسموعة فله ميزات القراءة وفوائدها وربما يزيد عليها إذا أتقن المستقبل الاستماع وأنصت بعقل واع وفهم المسموع جيداً، هنا تكتمل فائدة الاستماع فى تنمية ثقافة الفرد وزيادة معرفته فى جميع مجالات الحياة. ولقد كان يعتمد عليه وحده فئة من الذين فقدوا أبصارهم من فجر التاريخ، ورأينا منهم الشعراء والفقهاء والأدباء سواء من أهل اللغة العربية أو من أصحاب لغات أخرى.

كيف تتم العملية السمعية:

تعد العملية السمعية فى التحليل الصوتى الخطوة التالية لإنتاج الكلام، وهى عملية تتعلق بالسمع أو بالإدراك الحسى للاضطرابات الموجية الصوتية الموجودة فى الجو ثم تعرف العقل على تلك الأصوات. وتبدأ العملية السمعية من لحظة دخول الموجة الصوتية صماخ الأذن إلى أن تصل إلى طبلة الأذن فتحركها وتؤثر بدورها فى تحريك الأعصاب السمعية وتنقلها إلى المخ^(١).

(١) دراسة الصوت اللغوى: د. أحمد مختار عمر. القاهرة: عالم الكتب ١٤٢٥-٢٠٠٤ ص ٤٨ بتصرف.

وقد ثبت أن حاسة السمع قادرة على إدراك الأصوات بمعدلات معينة للتردد والتوتر لها حد أدنى وحد أعلى، فمجال التردد للأصوات الممكن سماعها بوضوح قد يبدأ من ٢٠ دورة في الثانية إلى ٢٠ ألف دورة في الثانية للشخص الشاب ذي السمع الجيد، ويمرور الزمن تضعف حساسية الأذن للترددات العليا، وإذا زادت شدة الصوت عن مقدار معين يصبح مؤذياً ومزعجاً وقد يسبب ألماً حاداً^(١).

فالاستماع والفهم مهارتان متكاملتان من مهارات اللغة ينبغي أن يتدرب المتعلمون عليها منذ بدء تعلمهم اللغة العربية. والاستماع هو الإنصات وليس مجرد السماع، والإنصات أكثر دقة وأقرب في الوصول إلى الهدف من مهارة الاستماع، فالاستماع مهارة إنصات إلى الرموز المنطوقة ثم تفسيرها. ولقد قارن دافيد راسل بين الاستماع والقراءة حين قال: «إن الرؤية يقابلها السماع، والملاحظة يقابلها الاستماع، وأخيراً القراءة ويقابلها الإنصات، ويمكن أن نوضح ذلك بأن الإنسان قد يسمع بشكل عابر صفارة القطار، أو ضوضاء الشارع، ولكنه في وقت ثالث حين يكون أمام المعلم في الفصل فإنه ينتبه إلى صوته ويتابع حديثه وتوجيهاته، إنه في هذه الحالة ينصت لأنه يريد أن يفهم ويستوعب ويفسر وينقد، ومن هنا تستخدم كلمة استماع للدلالة على الإنصات والفهم والاستيعاب والتفسير والنقد»^(٢).

فالاستماع يهدف إلى أن تكون قادراً على فهم المتحدث باللغة في مواقف غير تعليمية. لأن المواقف التعليمية تعتمد على التفوه بالحديث في

(١) المرجع السابق ص ٤٩ - ٥٠، وانظر كذلك: دراسة السمع والكلام: د. سعد عبدالعزيز مصلوح. القاهرة: عالم الكتب ١٤٢٠ - ٢٠٠٠ م. ص ٢٤٣ - ٢٧٢.

(٢) تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: معهد اللغة العربية - مكة المكرمة. ص ١٢٢.

بطء والتركيز على مخارج الحروف وإبراز التنغيم ونبر الكلمات والابتعاد عن الإدغام والتحويل. وهذه الإجراءات التعليمية لا يجدها المستمع في الحديث الطبيعي الذي يسمعه في أى مجال من مجالات التحدث، ولذلك لابد من السرعة في فهم المسموع، والسرعة هنا مطلوبة بشكل أكبر من حاجة المهارات الأخرى إليها كالقراءة أو الكتابة. فالمستمع لا يجد لنفسه فرصة لأن يعاود كلمة فاتته أو يقف عند جملة ليمعن النظر في معناها، فهو لا يملك التحكم في سرعة المتحدث.

ولذلك لابد من تنمية بعض مهارات الاستماع لدى المستمع قبل

تلقي الرسالة المسموعة ومنها^(١):

- ١ - أن يعرف غرض المتكلم.
- ٢ - أن يتعاطف مع المتكلم.
- ٣ - أن يتوقع ما يقال.
- ٤ - أن يستمع للأفكار الرئيسة.
- ٥ - أن يستمع للتفاصيل.
- ٦ - أن يتذكر تتابع التفاصيل.
- ٧ - أن يستخلص الاستنتاجات.
- ٨ - أن يلخص في عقله ما يقال.
- ٩ - أن يستمع ما بين السطور.
- ١٠ - أن يميز الحقيقة من الخيال.

(١) المرجع السابق ص ١٣٧.

١١ - أن يميز المادة الأساسية ذات الصلة الوثيقة بالموضوع من المادة غير الأساسية.

١٢ - أن يستخدم إشارات السياق الصوتية للفهم.

١٣ - أن يستمع في ضوء خبراته السابقة.

١٤ - أن يحلل ويفند ما يقال.

١٥ - أن يستمع بتذوق واستمتاع.

أهمية الاستماع وأهدافه:

لقد اهتم القرآن الكريم بالاستماع وجعله من الوسائل الأساسية في تلقي ألفاظه ومعانيه، وأوجب الإنصات عند تلاوته، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وحت على حضور القلب ويقظة الذهن عند الاستماع فقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

وقد جعل سبحانه الاستماع الجيد هو وسيلة الاتصال بين العبد وربه ليفهم ما يريد الله من عبادته من خلال الآيات لتتم لهم الرحمة المرجوة من تنفيذ أوامره سبحانه.

وقد نبهنا الله سبحانه لأهمية الاستماع وهو يعدد نعمه ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

وجاءت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم حافلة بآداب الاستماع، وكان مجلسه صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وعلم وتقى لا ترتفع فيه

الأصوات، ولا تؤين فيه الحرم، إذا تكلم أطرق جلساؤه، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم^(١).

وقد وصفت عملية الاستماع وصفاً دقيقاً وأميناً، ونظراً لأهميتها الكبيرة وضع فيها العلماء مؤلفات عرفت بعد ذلك بآداب السامع والراوى، واشترطوا فى الراوى أن يكون أهل ورع وتقوى وحفظ للحديث وإتقان به وتثبت فيه، لا تعتريه الغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط والسهو والاشتباه^(٢).

كما جاء فى تراث العرب وأمثالهم ما يدل على أن حسن السمع من حسن الفكر، وسبب من أسباب العلم والفهم والتوفيق فى الرأى والرد والإجابة، فقد جاء فى أمثالهم: «ساء سمعاً فساء إجابة».

وروى أنه لما سئل الإمام على كرم الله وجهه عن كثرة علمه فقال: «لأننى أسمع أكثر مما أتكلم».

ويمكن أن نجمل أهمية الاستماع وأهدافه فى النقاط التالية:

١ - للاستماع أهمية كبيرة فى تحصيل المعلومات والمعارف، وكذلك فى التعرف على كل جديد من التطور العلمى أو الأخبار أو الآراء الملقاة فى المحاضرات والندوات.

٢ - التعود على آداب الحوار ومنها حسن الإصغاء للمتكلم واحترام الآخر وأخذ حديثه باهتمام وتوقير.

(١) الرحيق المختوم: صفى الرحمن المباركفورى. ط ١. جدة: دار حافظ ١٤٢٢هـ. ص ٤٣٦.

(٢) مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل: عبدالرحمن بن أبى حاتم الرازى. ط ١. حيدرآباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف ١٣٧١هـ. ص ٥.

٣ - التعود على الحكم على النص المسموع بالتحليل والتقويم في ضوء المعايير المحددة والخاصة بالموضوع.

٤ - التعود على التقاط أوجه التشابه والاختلاف بين الآراء المطروحة في النص المسموع.

٥ - تنمية القدرة على استخلاص النتائج من بين سطور المادة المسموعة.

٦ - تنمية القدرة على تحديد الأفكار الرئيسية والثانوية والتمييز بينهما.

وقد صور أحد الكتاب العلاقة بين مهارات اللغة من حيث ممارسة الفرد لها قائلاً: إن الفرد العادي يستمع إلى ما يوازي كتاباً كل يوم، ويتحدث ما يوازي كتاباً كل أسبوع ويقرأ ما يوازي كتاباً كل شهر، ويكتب ما يوازي كتاباً كل عام. إن الاستماع بذلك يمثل من حياتنا مكانة كبيرة، ومنزلة خاصة، من أجل هذا نجد القرآن الكريم قد أولى هذه المهارة ما تستحقه من أهمية حيث يقدمها الله عز وجل على البصر في الآيات التي يرد ذكرهما معاً ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] (١).

والاستماع عملية اتصال كما ذكرنا من قبل، وهي مع المهارات الأخرى كالتحدث والقراءة والكتابة وبهذه المهارات مجتمعة يتم عن طريق أدائها النشاط اللغوي اليومي للإنسان، والاستماع نشاط لغوي «وهذا لا يتم منعزلاً عن غيره من الأنشطة اللغوية، فالسامع لا بد أن يسمع شيئاً

(١) طرائق تعلم اللغة العربية: د. محمد بن إبراهيم الخطيب. مكتبة التوبة ١٤٢٤ هـ. ص ٤٢.

ما، قراءة مثلاً أو حديثاً أو قصة أو موضوعاً أو نحو ذلك، وهذه كلها أنشطة لغوية، ويمكن كذلك أن يستغل المتعلم ما سمعه في تعبيره الشفهي أو في أحاديثه الخاصة، كذلك في كتابته التحريرية والتعبير عن آرائه، وكذلك في توضيح أو تفسير أو شرح لبعض المواقف المختلفة التي تتطلب ألواناً من هذا النشاط اللغوي المتعدد^(١). «والواقع أن الاستماع يشكل حوالي ٤٥٪ من النشاط اللغوي الذي يمارسه الفرد يومياً»^(٢).

وقد حدد أحد الباحثين توظيف الوقت في عملية الاتصال كالتالي^(٣):

الكتابة: ٩٪ القراءة: ١٦٪
الكلام: ٣٠٪ الاستماع: ٤٥٪

أنواع الاستماع:

والاستماع أنواع بحسب المستمع وهدفه من الاستماع فمنها^(٤):

١- الاستماع اليقظ:

وهذا النوع يحتاج إليه المرء في المواقف التي تكون الحاجة فيها إلى الدقة والفهم أكثر، ففي قاعات الدروس والمحاضرات يكون هذا النوع أمراً ضرورياً. كذلك في مواقف التوجيهات وإلقاء التعليمات.

(١) تدريس اللغة العربية المرحلة الابتدائية: محمد صلاح الدين مجاور. ط٣. الكويت: دار القلم ١٩٨٠.

(٢) المرجع السابق: ص ١٦٧.

(٣) كيف نتحدث وتستمع بفعالية: هارفي أ - روبنس. (الجمعية الأمريكية للإدارة) مكتبة جرير. ص ٤٧، ص ١٨٨.

(٤) تدريس اللغة العربية: ص ٤٦.

٢- الاستماع المستجيب:

وهذا النوع يكون فيه المستمع مشاركاً في الحديث كما في المناقشة، فالمستمع يستمع إلى ما يقال ويبدى رأيه .

٣- الاستماع التحليلي:

وهذا النوع من الاستماع يحتمل مكانة في نفس المستمع عندما يفكر فيما يقال، وربما يكون ضد خبرته وأفكاره ومعلوماته، فيأخذ المستمع بتحليل ما سمع لإبداء وجهة نظره .

٤- الاستماع من أجل الحصول على معلومات:

ويعمد إليه الإنسان للحصول على أفكار ومعلومات من المتحدث في وسائط الاتصال المختلفة .

٥- الاستماع الناقد:

وفيه يترتب على المستمع أن يكون حاضر الذهن منتبهاً لما يقال، حتى يستطيع أن يناقش ويبدى رأيه فيما سمع بناء على خبرته أو خبرات الآخرين بأسلوب علمي سليم .

نقاط مهمة للاستماع بفاعلية:

١ - تقليل أسباب الإزعاج حتى لا تعوق الاستماع، وتجنب التشويش يتيح فرصة التركيز على ما يقوله المتحدث .

٢ - الجلوس في مكان جيد يتيح الاستماع سواءً كان المتحدث شخصاً مائلاً أو عبر جهاز صوتي .

٣ - تجنب أسباب المقاطعة أو تقليلها حتى تظل الأفكار متصلة ومتابعة .

٤ - التركيز على الفكرة الرئيسة: من الصعب أحياناً تحديد ما يُحدّث عنه الطرف الآخر، لأن الناس يتحدّثون دائماً وهم يفكرون، ويتمنون في أثناء ذلك أن تكون قادراً على أن تستخلص رسالتهم الأساسية من باقى المعلومات. ولكى لا تفقد اهتمامك بالمتحدّث ابحث عن الفكرة الرئيسة من رسالته وحدد أهمية كل المعلومات الأخرى بالنسبة للفكرة الرئيسة^(١).

٥ - التّحكم فى العواطف: «لقد وهبك الله - كإنسان - مجموعة كبيرة ورائعة من المشاعر سواء أكنت تظهرها للآخرين أم لا، التى تجعل الحياة أكثر بهجة، وللأسف تقف تلك المشاعر كحواجز للاستماع بفاعلية إلى الآخرين حيث إن الكلمات التى تستعملها أو تسمعها لها معنى شخصى لديك، إذ تثير عندك أحاسيس إيجابية أحياناً، وسلبية أحياناً أخرى، لذلك يجب أن تتنبه - فى كل الأحوال - إلى تأثير بعض الكلمات على قدرتك فى الاستماع. (إذا أصبحت عاطفياً) لأن الطرف الآخر يستخدم كلمة مثيرة للانفعالات (الكلمة التى تثير مشاعر سلبية)، فمن المحتمل أنك ستظهر هذه المشاعر، وتصبح مدافعاً، وبالتالي تفقد قدرتك على سماع رسالته بوضوح»^(٢).

٦ - مراعاة بعض السلوكيات فى أثناء الاستماع: ومن هذه السلوكيات الحركة فى أثناء الحوار فهى توضح اهتمامك أو عدم اهتمامك بما يقوله المتحدث، ولكى تحسن سلوكك فى أثناء الاستماع عليك بالنالى -

* حافظ على حالتك الهادئة واليقظة أيضاً.

(١) هارفى أ. روبنس: ص ٥٥.

(٢) المرجع السابق: ص ٥٢.

* شارك بفعالية في المحادثة .

* قلل التلميحات المزعجة .

* حافظ على فعالية نظرة العين (لا تحمق ولا تهيم بعيداً باستمرار) .

* عبر عن استحسانك لحديث الطرف الآخر بشكل غير لفظي (إيماء بالرأس، ابتسامة... الخ) .

* تكلم مع الطرف الآخر وجهاً لوجه ولا تكلمه من الجنب .

* حافظ على وضعك الطبيعي (استرخ ولا تقيد الأذرع أو اليدين) .

* انحن قليلاً ناحية الطرف الآخر بدلاً من الجلوس مشدوداً أو مترهلاً .

* استخدم الإشارات (وخاصة عند الاستجابة) ولكن تجنب التلويح المزعج باليد، أو اللعب بأقلام الرصاص، أو وخز الشخص بإصبعك .
* أومئ برأسك أو ابتسم (١) .

ويمكن أن نجعل قضية السمع أكثر شمولاً إذا تمت الإفادة من منجزات العلوم الأكاديمية المختلفة التي حققت تقدماً كبيراً في هذا الجانب، مثل: علم الأصوات السمعي وتطبيقات ذلك في أمراض السمع والكلام في علم النفس والطب النفسى . ودراسة منجزات تلك العلوم التطبيقية تجعل قضية الاستماع قضية علمية ذات أبعاد تطبيقية وتجريبية وعلاجية (٢) .

(١) هارفى أ. روبنس: ص ٥٣ .

(٢) الأسس العامة لبرامج قراءة الكلام للصم المصريين: د. خالد السيد رفعت ود. وفاء على عمار. مجلة علوم اللغة. العدد الثالث ١٩٩٩ القاهرة دار غريب. وكذلك: النمو الفنولوجى فى لغة الطفل: د. روجية أحمد محمد العدد السابق نفسه .

المهارة الثانية: التحدث

التحدث أو الكلام هو أهم صفة إنسانية بشرية تفرق بين البشر وغيرهم من المخلوقات والكائنات، ولذلك جاء عن الفلاسفة في تعريفهم للإنسان بأنه (الحيّ الناطق المبين)^(١).

والنطق هو الذى يكشف مكنون الإنسان، فاللسان ترجمان الجنان، وقديماً قالت العرب المرء مخبوء تحت طى لسانه لا تحت طيلسانه. وقال زهير:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

والحديث دليل على الفكر وتصور الإنسان للحياة والوجود، فقد أثر عن اليونان على لسان أرسطو (يا هذا كلمنى حتى أراك) وكان الرؤية الحقيقية للإنسان لا تتضح إلا عندما يتكلم ويتحدث، والحديث النبوى هو التطبيق الفعلى للقرآن الكريم فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قرآناً يمشى على الأرض ولذلك اهتم المسلمون على مر العصور بحديث النبى صلى الله عليه وسلم، وقد وصف القرآن بأنه أحسن الحديث ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

أهم ما يجب أن نتناوله هنا هو أن للكلام أو الحديث مراحل يمر بها قبل أن يأخذ شكله النهائى وإن شئت فقل: عناصر لا يتم إلا بها ولا يأخذ سبيله إلى عقول الناس وقلوبهم إلا بالوفاء بحقها وقديماً قال الشاعر:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وتتلخص هذه العناصر فيما يلى:

(١) البيان والتبيين للجاحظ. حققه فوزى عطوى. بيروت: دار صعب (د.ت) ص ٥٥.

(١) المقدمة .

(٢) الموضوع .

(٣) الخاتمة .

(٤) الأسلوب .

أولاً: المقدمة

وهى ما يجعل فى صدر الحديث ليثير الفكر إليها وليعطى السامعين صورة إجمالية لها وليحصل لهم معانيه وأفكاره فى نطاق لا يعدوه ولا يتجاوزه .

أهمية المقدمة:

(١) تنبيه الغافل ليفتح بصره وبصيرته على ما سوف يطرح من قضايا .

(٢) ترغيب المستمع وتشويقه لمتابعة الحدث .

(٣) إعداد الذهن للاقتناع والإذعان .

وتخصص المقدمات والابتداءات بالاختيار لأنها أول ما يطرق السمع، فإن كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعى لاستماعه .

مواصفات المقدمة:

لكى تكون المقدمة ناجحة جاذبة للأسماع وللانتباه لابد أن تتوفر فيها هذه الشروط:-

١ - أن تكون مشوقة كأن تكون قصة موجزة، أو تساؤلاً أو مثلاً أو بيتاً من الشعر، أو حقيقة مثيرة. إلى غير ذلك مما يهز النفوس لتلتفت إلى الحديث بقوة تقطع صلتها بكل ما يشغل بالها لتمضى معك إلى نهاية المطاف.

٢ - أن تكون لها صلة تربطها بالموضوع ضمناً لتسلسل الأفكار وإيقاظاً للانتباه. وهذه الرابطة بين المقدمة والموضوع كأنما تنشط الفكر الخامد لينهض ويتابع ويتمتع بصلاحية التلقى عنك بما نفخت فيه من نشاط وحيوية وتلك سمة المتكلم الناجح والكلام المؤثر.

قال الجاحظ: (فإنه لا خير في كلام لا يدل على معنك ولا يشير على مغزاك). وجاء أيضاً في البيان التبيين نقلاً عن ابن «المقفع» وتعليقاً عليه: (وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته).

كأنه يفرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح. حتى يكون لكل فن من ذلك صدره الذي يدل على عجزه^(١).

٣ - لا تطول المقدمة بحيث تشتت الذهن وتجعل المستمع بتأمل من طولها. ويقول بلسان حاله: (متى يدخل في الموضوع؟).

من أنواع المقدمات:

ليس لمقدمة الحديث طريقة خاصة تلتزمها لأن الخطيب حر في نسج مقدمته كيف يشاء وتشاء ظروف المجتمع والموضوع. ومع ذلك فإن المتتبع لتراثنا الإسلامي والعربي يجد أن مقدمات الأحاديث والخطب كانت تتخذ أشكالاً منها.

(١) الخطابة: للشيخ محمد أبو زهرة. القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٨٠. ص: ٧٨.

١ - حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله وكان هذا عرفاً شائعاً لازماً في العصر الإسلامي والأموي والعباسي، حتى دأب المسلمون عليه فصار قاعدة يندر خلافها. قال الجاحظ «إن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان، ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد «البتراء»، ويسمون التي لم توضح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي «الشوهاة» (١).

ولم يكن توشيح الخطبة بالقرآن شرطاً في الخطبة الدينية يوم الجمعة أو العيد فحسب بل كان - كما قال الجاحظ مستحسناً في الخطب كلها لأنه يورث الكلام بهاء ووقاراً ورقة وسلس موقع.

٢ - البدء بحكمة أو مثل أو ببعض أقوال المتقدمين أو آية كريمة، أو حديث شريف، ويكون مناسباً في المقام، كما بدأ أبو العباس السفاح خطبته بعد الاستيلاء على الملك من بنى مروان بقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَنَسَّ الْقُرْآنَ﴾ [إبراهيم: ٢٨ - ٢٩].

وقد يفاجئ الخطيب أو المتحدث السامعين بما يزعجهم في مفتح كلامه كما كان يفعل الحجاج مستشهداً ومقتبساً ومن ذلك قوله في بداية خطبه له:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

أما والله إنى لأحتمل الشر بحمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله، وإنى لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإنى لصاحبها (٢).

(١) البيان والتبيين. ص ٢١٥.

(٢) البيان والتبيين. ص ٣٦٦.

٣ - قد يستوحى المتحدث اللبق مقدمته من حال الحفل والظروف التي يشاهدها فتحدث أثراً في النفوس عميقاً.. وذلك كما قال سعد زغلول في مقدمة خطبة له وهو مريض وكان لا ينوى أن يخطب: «يعز على أن أرى منبر الخطابة منصوباً ولا أستطيع له رقيماً، وأن أجد مقال القول واسعاً ولا أملك لساناً فتيماً، وأن أجد سامعين ولا أجد صوتاً قوياً»^(١).

٤ - وقد يبدأ الحديث بسؤال يثير الانتباه يجب عنه في طيات حديثه، «ألا أخبركم بأحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة؟».

ثانياً: الموضوع:

اختيار الموضوع:

إذا كان اختيار المرء قطعة من عقله فإن المتحدث اللبق هو الذي يقع منه الاختيار على موضوع مناسب يشد الانتباه ومناسبة الموضوع.

١ - أن يكون في مستوى أفهام المستمعين.

٢ - ألا يكون مما يبعث على الخلاف.

٣ - أن يكون حيويًا متصلًا بحياة الناس.

١- تناسب الموضوع:

من الضروري أن يكون المتكلم على دراية بمستوى السامعين ليتمكن من اختيار الزاد المناسب؛ فالوسط العمالي، غير الوسط المدرسي، والبيئة الريفية شيء يختلف عن البيئة المدنية، والحديث إلى الفاقهين غيره إلى

(١) فن الخطابة: محمد أحمد الحوفى. ط٤. القاهرة: دار نهضة مصر ١٣٩٢هـ. ص١٢٨.

المثقفين العاديين، والحديث يختلف حسب عقلية المتلقى، قال الإمام «النووي في التقريب» وهو يتحدث عن آداب المحدث: - (وليتجنب ما لا تتحملة عقولهم وما لا يفهمونه). وقال السيوطي شارحاً هذا الكلام في كتابه «التدريب على التقريب»: (كأحاديث الصفات لما لا يؤمن عليه من الخطأ والوهم والوقوع في التشبيه والتمثيل). يعنى لإقفال الأحاديث مجتمعة بل مفرقة في مناسبات. قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟). وقال ابن مسعود رضى الله عنه: (مأنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)^(١).

وأى فتنة أعظم من شك في الدين يتحول إلى تكذيب لله ورسوله من جراء فرض موضوعات على أناس ينال الواعظ منهم بالرفق أضعاف ما ينال بالشدة وبالحديث السهل البليغ أكبر مما يحقق بالقول المعقد.

٢- تجنب ما يثير الخلاف:

إن القضية الخلافية حين تعرض عرضاً جماهيرياً فإن المعارضين من المستمعين لن يسلموا زمامهم للمتكلم انتصاراً لرأيهم وبالتالي لن يظل في أذهانهم على الأقل محتفظاً بزعامته الدينية بينهم لاسيما إذا كان لا يسمح بالحوار والأخذ والرد، وكأنها صارت خطبة مثلاً لأن ذلك خارجاً عن الطبيعة.

٢- حيوية الموضوع واتصاله بالناس:

لا يمكن للمتكلم أن يمتلك زمام الموقف إلا إذا عاش حياة جمهوره

(١) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى: السيوطى. علق عليه أبو عبد الرحمن صلاح ابن عويضة. بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت). ج ٢ ص ٨٢.

فيتصور القضية المعروضة بكل زواياها ويسلط الأضواء على نفوس المستمعين تشخيصاً لعلها وأن يتأمل ظروف البيئة التي تلف الجميع في حزمة واحدة.

ثالثاً: الخاتمة

للختام أهمية كبرى لأنه تلخيص للموضوع فلا بد أن تكون الخاتمة قوية التأثير وعميقة الدلالة لأنها آخر ما يبقى في الأذان والمتحدث إما أن يلخص حديثه في جمل قصيرة وإما أن يستثير السامعين ويلهب مشاعرهم وإما أن يجمع بين الطريقتين.

شروط جودة الخاتمة:

١ - أن يكتفى بذكر أهم ما جاء في الحديث إن أراد تلخيصه وإلا لجأ إلى إثارة المشاعر، ويجب أن يكون عالماً بنفسية جمهوره ووسائل استمالته فيدخل عليهم من الباب الذي يثيرهم.

٢ - أن تكون الخاتمة قوية العبارة لتهمز المشاعر.

٣ - أن يدعو المستمعين إلى عمل شيء ما حتى يكونوا إيجابيين لا سلبيين، متفاعلين لا انطوائيين، ويبين لهم الفوائد التي تعود عليهم من إنجاز هذه الأعمال والمضار التي تنجم عن إهمالهم لها.

٤ - أن يختم بدعاء ماثور له وللسامعين ولجميع المؤمنين.

٥ - أن يختار اللحظة المناسبة للنهاية وقد قيل: إن هذه اللحظة تجيء عندما يكون المستمعون راغبين في المزيد من حديثك، وقيل إنها تكون بعد أن تبلغ هدفك مباشرة^(١).

(١) مجلة الرسالة العدد الثاني ذو الحجة ١٤٢٢ ص ٤٦.

رابعاً: الأسلوب

للحديث عناصر يتكامل بها وتتسق بها معانيه حتى يأخذ بعضها بحجز بعض وتجعل الغرض منه واضحاً فيكون قريباً مألوفاً واضحاً مكشوفاً إذا أخذ بها المتكلم ضمن حسن الإصغاء وكمال الانتباه من المستمع، ونجملها في النقاط التالية:

• الألفاظ:

يلزم للحديث الذي يراد له أن يشق طريقه إلى القلوب والعقول أن تكون ألفاظه:

١ - واضحة مكشوفة قريبة معروفة لا تبعد عن مألوف السامعين ولا تتناهى عن معروفة. وقد تكون الكلمة من العربية الصحيحة التي كانت شائعة عند العرب ولكنها غير شائعة عند الجمهور المتلقى ولهذا تستهجن مخاطبتهم بها لأن المقصود التأثير فيهم، ولا يكون ذلك إلا بما هو مفهوم لهم مانوس الاستعمال لهم. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ [إبراهيم: ٤].

٢ - ألا يكون الكلام مبتذلاً سوقياً، وإنما يكون سهلاً في قوة وسامياً في وضوح وسهولة يفهمه أنصاف المتعلمين ولكنهم يعجزون عن الإتيان بمثله. والخطيب البارع من خطب في العامة فرفعهم إليه ولم يهبط هو إليهم^(١).

٣ - أن يكون في الخطبة ألفاظ مناسبة لخيال الجماعة موظفة

(١) فن الخطابة: ص ١٧٨.

لذكريات حية فى نفوسهم. فإن لكل جماعة طائفة من الألفاظ إذا ذكرت
أثارت خيالات بالسرور والاطمئنان أو بالسخط والغضب.

٤ - ألا تكون الألفاظ قد أبلاها الاستعمال وذكرها يؤدى للابتذال.

٥ - أن يختار الألفاظ الجذلة فى مقامها والرقيقة فى مقامه، وفى
نحو التهديد والفخر والحث على الجهاد يختار الألفاظ القوية، وفى نحو
إظهار الأسى والألم يختار الدقيق من الألفاظ.

• المعاني والأساليب:

الحديث هنا ليس حديثاً عن الأسلوب من ناحية التقديم والتأخير
والفصل والوصل وإنما نتكلم عن الأوصاف الخاصة بالأسلوب الخطابى
وهى كثيرة منها:-

١ - التصرف فى فنون القول إذ تختلف التعابير بالنسبة للمعنى
الواحد أو المعانى من تقرير إلى تعجب إلى تهكم إلى نفي لكى يكسب
كلامه حدة ولثلا يذهب نشاط السامعين أو يعتريهم السأم والملل ولغتنا
العربية ثرية بالألفاظ متشعبة الأساليب.

٢ - حسن التآلف بين الكلمات وتآخى النغم بحيث تنحدر الكلمات
على اللسان فى يسر وسهولة ويحسن وقعها فى الأسماع ويكون لها
المشاكله والمشابهة، مثل العقد المنظوم فى اقتران كل لؤلؤة مقترنة بأختها
المشابهة لها.

٣ - تنوع الأسلوب بتنوع المقامات وتنوع أحوال السامعين، فلكل
مقام مقال ولكل قوم خطاب.

٤ - تجميل الكلام فى بعض الأحوال ببعض وبعض السجع القليل
غير بادى التكلف قصير الفقرات.

• أداء الحديث:

أولاً: النطق الحسن هو الدعامة الأولى للإلقاء الجيد، وإذا اعتدى النطق ما يفسده ضاع الإلقاء، ولا شيء يذهب بالمعنى الجيد أكثر من النطق الرديء.

والنطق الجيد يحتاج إلى عناصر ثلاثة لا بد من توفرها وهي:

(أ) تجويد النطق:

أى بإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة فلا ينطق بالثاء سيناً ولا بالذال زائياً ولا بالراء لاماً، ولا التشديق بها بل معناه أن ينطق بالحرف من مخرجه من غير تكلف ولا تشديق بل فى يسر ورفق.

(ب) البعد عن اللحن وعدم الوقوع فيه:

وذلك بملاحظة الكلام فى مفرداته وعباراته فيضبط الكلمة ضبطاً تاماً ولا ينطلق بغير ما توجيه قواعد النحو فى آخر الكلمات. قال عبدالملك ابن مروان: اللحن هجنة على الشريف، والعجب آفة الرأى. وكان يقال: اللحن فى المنطق أقبح من آثار الجدرى فى الوجه^(١).

(ج) أن يكون مصوراً للمعاني تصويراً دقيقاً:

بأن يعطى كل كلمة وكل عبارة حقها، فالجملة المؤكدة ينطقها بشكل يتبين منه التأكيد. والجملة الاستفهامية ينطقها بشكل يتبين منه الاستفهام. وفى هذا الصدد إذا أراد المتكلم نفى معنى ما أو تأكيد معنى ما فإنه يستطيع أن يعطى النبرة الرئيسة لأية كلمة يريد، وتدعى هذه النبرة النقابلية أو النبرة التوكيدية. وهذه أمثلة على استخدامها:

(١) البيان والتبيين. ص ٣٢١.

١ . كسر هانى نافذة الغرفة أمس . يمكن إعطاء النبرة الرئيسة للكلمة الأولى لتوكيد فعل الكسر أو لنفى فعل آخر غيره .

٢ . كسر هانى نافذة الغرفة أمس . إعطاء النبرة الرئيسة للفاعل يعنى توكيد أنه هو الذى كسر وليس سواه .

٣ . كسر هانى نافذة الغرفة أمس . إعطاء النبرة الرئيسة للكلمة الثالثة فى الجملة يعنى توكيد أن النافذة هى التى كسرت، وليس الباب مثلاً .

٤ . كسر هانى نافذة الغرفة أمس . إعطاء النبرة الرئيسة للمضاف إليه يعنى توكيد انتساب النافذة للغرفة، وليست نافذة السيارة هى التى كسرت .

٥ . كسر هانى نافذة الغرفة أمس . إعطاء النبرة الرئيسة للكلمة الأخيرة يعنى توكيد الزمان، وهذا هو الشكل الطبيعى للجملة عادة حيث تعطى النبرة الرئيسة للكلمة الأخيرة^(١) .

ثانياً: التمهّل فى الإلقاء:

وليس بصحيح ما يزعمه بعض الناس من أن المتكلم اللبق هو من يتدفق بيانه تدفقاً سريعاً وتأتيه عباراته على غير مهل بل ذلك عيب يجب الاحتراز عنه لأنه يترتب عليه:--

* النطق السريع المشوه لمخارج الحروف ويجعلها تداخل بعضها مع بعض لأن عضلات اللسان لا تأخذ الوقت الكافى للانتقال من حرف إلى حرف .

(١) الأصوات اللغوية: د. محمد على الخولى . ط ١ الرياض: مكتبة الخريجي ١٤٠٧ هـ . ص ١٦٧ .

* النطق السريع يجعل المتكلم يهمل الوقوف عند المقاطع الحسنة .

* لا يعطى السامع الفرصة الكافية لتفهم ما يسمع الفهم الكامل والتمهل يجعل الصوت يصل إلى السامعين بأيسر مجهود بينما الإسراع يحتاج إلى مجهود صوتي أكبر .

* كما لا يصح أن يعتقد أحد أن التمهّل في الإلقاء أن يكون النطق هادئاً هدهوياً تماماً فيعدم الحديث الحياة والقوة^(١) .

ثالثاً: الصوت الحسن:

من الوازم المتحدث أن يكون صوته شجياً حسناً، فالصوت الحسن تنجذب الناس إليه ويهز إحساسه ويؤثر في نفوسهم .

أما الصوت الأجلش القبيح فيصيب الناس بالسأم والملل من سماعه . والمتكلم البارع هو الذي يروض نفسه على تصوير المعاني وأن يجعل من نغمات صوته وارتفاعه وانخفاضه دلالات أخرى فوق دلالات الألفاظ . وأن يجعل صوته مناسباً لسعة المكان ولعدد السامعين فلا ينخفض حتى يصير همساً، ولا يعلو حتى يكون صياحاً بل لا بد أن يكون صوته مناسباً .

وأن يبدأ الحديث بصوت منخفض ثم يعلو شيئاً فشيئاً . وعليه ألا يجعل صوته غليظاً على وتيرة واحدة فإن ذلك يولد النفور والإعراض .

رابعاً: الإشارة الجيدة:

إن الإشارات هي المخاطبة الصامتة أو هي لغة التفاهم العامة وهي في كثير من الأحيان صوت الشعور وعبرة الوجدان، فالمتحدث إذا أراد أن يتحدث عن موقف غضب يغضب فيقطب جبينه، ويجعل وجهه

(١) الخطابة: ص ١٤٧ .

عبوساً ويقبض أصابعه بدافع شعورى فيدل على هذا الموقف ثلاث دلالات: إحداها: لفظية والثانية: صوتية والثالثة: تلك الإشارات البيانية^(١).

والإشارات البيانية بعضها شعورى لا دخل للإرادة فيه بل بدافع الإحساس كتحريك الحاجبين للدهشة أو تقطب الجبين للغضب، وبعضها شعورى إرادى قصدى يعمد إليه المتكلم للتأثير كالإشارة للبعيد برفع اليد إلى أعلى بانحراف.

وسواء كانت الإشارة شعورية إرادية أم لا إرادية فهي ذات أثر فى تأكيد الكلام وتقويته فى نفس السامع.

وفى الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة فى أمور يسرها الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس. ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة.

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم^(٢)

غير أنه لا تحسن الإشارة إلا إذا استجمعت هذه الشروط.

١ - أن تكون الإشارة ملائمة للمعنى موافقة له ليشعر السامعون بقوة دلالتها وإلا كانت حركة عابسة لا معنى لها.

٢ - يحسن أن تسبق الإشارة القول بحيث تكون ممهدة له فيتوقع السامعون اللفظ فيثبت فى النفس الاستعداد النفسى له.

(١) الخطابة: ص ١٥١.

(٢) البيان والتبيين. ص ٥٦.

٣ - عدم تكرار الإشارة لئلا يدعو ذلك للسأم والملل.

٤ - عدم الإكثار من الإشارات والحركات لأنه يذهب سمت الخطيب ومهابته وتأثيره في السامعين^(١).

خامساً: الوقف والوقفزة:

الجملة التي يقف عندها الخطيب جملة تامة المعنى ذات أثر قوى يملأ النفس. قال الأحنف بن قيس: «ما رأيت أحد تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام وأعطى حق المقام وغاص في استخراج المعنى بالألفاظ مخرج حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبعيته من الألفاظ»^(٢).

أما وقفة الخطيب فهو يقف على مرتفع ليشرّف على السامعين ولتتمكنوا من رؤيته فإن الرؤية تعين على حسن الاستماع وإذا كان جالساً جلس جلسة معتدلة فلا انحناء ولا تقوس وإن كان واقفاً فيحسن الوقوف في مكان واحد ولا ينتقل من مكان إلى مكان كالممثل إلا أثار سخرية السامعين وهزءهم.

(١) الخطابة: ص ١٥٢.

(٢) البيان والتبيين. ص ٣٦٢.

المهارة الثالثة: القراءة

أول خطاب من الله تعالى للرسول ﷺ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وفي تراثنا العربى الإسلامى كثير من الإشارات الدالة على أهمية القراءة ودورها فى حياة الإنسان، فالأمر الإلهى كان بمثابة إشارة عميقة إلى أن مفتاح الحياة ومفتاح الدين القراءة، منها تأتى جميع الخيرات.

القراءة أداة تتسم بدوام الاستمرار والاستخدام من حيث هى إدارة للمتعم لاستمراره فى التعلم وأداته أيضاً فى الاتصال بالإنتاج الفكرى والأدبى والحضارى لأصحاب اللغة المتعلمة سواء فى الماضى أو الحاضر، كما أنها قد تكون أداة من أدواته فى قضاء الفراغ والاستمتاع به.

والقراءة مهارة من مهارات الاستقبال العقلى، ولذا يقوم القارىء باستقبال الرسالة وفك رموزها ولكى تتم عملية القراءة يحتاج المتعلم لثروة لفظية كافية ومعلومات عن بناء اللغة وتركيبها.. وهى عمية إيجابية وليست سلبية، ويتضح ذلك فيما يجب أن تنميه فى القارىء فى أثناء عملية القراءة، ومنها:-

١ - القدرة على تعرف الأنماط الصوتية من خلال الرموز المكتوبة.

٢ - إدراك العلاقات التى تجمع هذه الأنماط والرموز، وتكون منها وحدات لغوية تامة.

٣ - معرفة دلالات الوحدات من حيث هى أسماء وحروف وأفعال وظروف زمان ومكان، وعلامات الترقيم..... إلخ.

٤ - متابعة المعنى واستخلاصه وتوقع المعانى التالية من خلال معاشة كاملة للسياق. وذلك يتفق مع نموذج جودن مان^(١).

الذى يفسر عملية القراءة وكأنها عملية تسير من أسفل إلى أعلى (Bottom - up) أنها تسير من النص المكتوب إلى العقل، وكأنها سهم صاعد من الصفحة المكتوبة إلى الذهن، وفيها يحاول القارئ أن يأخذ المعنى أو الرسالة التي من أجلها كتب النص، وهي بعبارة أخرى تسير من المرسل إلى المستقبل، ومسوقة من النص إلى الذهن (الإدراك) (Text Driven) ونحن عندما نتعلم المواد التي لها طابع موضوعي علمي، مثل تعلم حقائق ومعلومات جديدة تسير وفقاً لهذا التفسير لعملية القراءة، أما التفسير الآخر لعملية القراءة فيقول أنها عملية تسير من الأعلى إلى الأسفل (Top-Down) وفيها يقوم القارئ بتفسير ما يقرأ وتحليله وإعطائه أبعاداً ربما لا تكون موجودة في النص وربما لم يقصدها الكاتب، وهي تسير من المستقبل إلى المرسل ومسوقة من الذهن إلى النص، أي (concept Driven) وهذا النوع من القراءة يحدث غالباً في قراءة المواد الأدبية التي لا يكتفى القارئ فيها بما يحدث من (أسفل إلى أعلى)، وبالتسليم بما هو مكتوب وكأنه حقيقة نهائية، بل ويحاول تأويل المعنى وتحليله، وتقييمه. وهذا التفسير للقراءة يتفق مع إدراك الباحثة (Goodman) (١٩٧٠) لعملية القراءة وتفسيره لها على أنها لعبة افتراضات نفسية لغوية - (Psycho - Linguistic).

وهذا يعنى أن على القارئ وضع فرضيات وتخمينات لما سيقراً

(١) أسس القراءة وفهم المقروء بين النظرية والتطبيق: د. محمد حبيب الله. ط٢. عمان: دار عمان ٢٠٠٠م.

والوصول إلى تحقيقها خلال القراءة حتى لو لم يفهم بعض الكلمات الواردة في النص.

ويقترح جودمان (Goodman) خمس خطوات يسير حسبها القارئ الماهر لاستخلاص المعنى النهائي لنص (مادة مقروءة) - وهذه الخطوات هي:

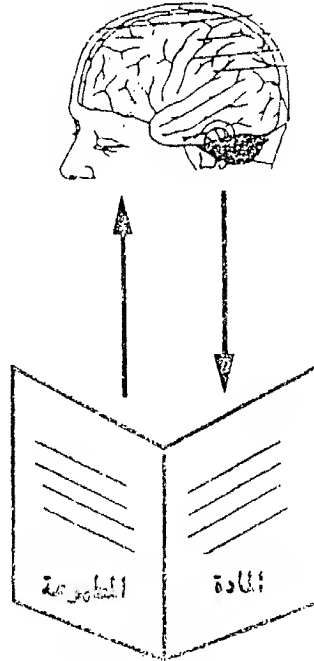
أ - ترجمة الرموز (لكلمات المكتوبة) إلى معان.

ب - التنبؤ - وضع فرضيات - ماذا يتوقع أن يقرأ بعد قراءة الكلمة والجملة والفقرة.

ج - فحص الفرضيات على أساس المادة التي يقرأها.

د - قبول أو رفض الفرضيات.

هـ - إصلاح وبناء نهائي للمعنى المقصود من النص.



نموذج السهم الصاعد والسهم النازل

ولشرح نموذج (جودمان) علينا أن نتصور قارئاً بدأ بقراءة الجملة

«ثم شاهد ساعى البريد قادماً إليه من بعيد...».

هنا يتوقع القارئ أن ما سيقراه بعد هذه الجملة هو: «ثم اقترب منه وحياه...» واستمرار القراءة يؤكد قبول أو نفى ما توقعه، فإذا تأكد له ذلك وقرأ فعلاً ما توقعه فسيفكر أن الكاتب سيقول: «ثم ناوله رسالة إلا أنه يرى عن القراءة أن ما توقعه لم يحدث بل قال «الكاتب: «ثم سأله عن اسم صاحب البيت المجاود...» وعندما يصحح القارئ المعنى في ذهنه.. ليصل بالتالى إلى المعنى النهائى للجملة أو الفقرة أو النص».

مفهوم القراءة:

فالقراءة تعنى انتقال المعنى مباشرة من الصفحة المطبوعة إلى عقل القارئ، أى أن القراءة التى نعلمها هى فهم المعانى مباشرة وبإطلاق من الصفحة المكتوبة أو المطبوعة.

إذن لابد أن تبدأ القراءة بتعرف واضح للرموز المرئية والصوتية ثم فهم لما تحمله هذه الرموز من معان، ثم رؤية ناقدة تفحص هذه المعانى وتزنها، ثم قدرة على توظيف أثر القراءة فى الحياة باعتبار أن القراءة وسيلة من وسائل إثراء فكر الإنسان وتنمية معلوماته، إذن فالقراءة التى نريد أن نعلمها ليست عملية ميكانيكية بسيطة ولكنها نشاط فكري يستلزم تدخل جماع شخصية الفرد ومن ثم ينبغى أن يقوم تعلمها على أساس من أربع عمليات:

* التعرف . * النطق .

* الفهم . * النقد .

* حل المشكلات،^(١).

(١) أساسيات تعليم اللغة العربية: د. فتحى على يونس. ود. محمود كامل الناقه. القاهرة: دار الثقافة ١٩٨١م. ص ١٦٢.

وليس المقصود من عملية القراءة إجادة العمليات الآلية العضلية والعقلية الضرورية للقراءة ولكن المقصود من عملية القراءة هو الميل إلى القراءة من أجل تحصيل المعلومات وحل المشكلات، فالقارئ يقرأ ويفهم ويتذوق وينقد ويحلل ويتجاوب مع المقروء بحيث ينعكس ذلك على نموه الفكري والوظيفي.

وقد تطور مفهوم القراءة عدة مرات نتيجة للدراسات والبحوث التربوية.

فبعد أن كانت مجرد تعرف على الكلمات والحروف ونطقها من مخارجها الصحيحة بصوت مسموع، أصبحت تستلزم الفهم والربط والاستنتاج ثم نتيجة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية اتجه الدارسون إلى العناية بالنقد لتحليل النص ومناقشته ليتمكنوا من الحكم عليه والأخذ منه ما تقبله عقولهم وإبداء الرأي بدون خوف أو اضطراب «ومن هنا أضيف إلى مفهوم القراءة عنصر آخر هو تفاعل القارئ مع النص المقروء، تفاعلاً يمكنه من إحداث رد فعل ما بالرضا أو بالسخط أو بالإعجاب والتقدير، أو بالحزن أو السرور أو نحو ذلك، مما قد يكون نتيجة نقد المقروء، والتفاعل معه وبذلك أصبح مفهوم القراءة على النحو التالي: نطق الرموز وفهمها ونقدها وتحليلها والتفاعل معها وحدث رد فعل بالنسبة لها، ثم تطور إلى أن يستفيد الإنسان من القراءة في حل المشكلات التي تعترضه في حياته من جميع جوانبها، وتنمي لديه اتجاهات إيجابية نحو نفسه ومجتمعه، وتغير من سلوكه إلى الأفضل. وإذا لم يتمكن من ذلك لا يعد قارئاً. ثم تطور فهم القراءة ليشمل الإمتاع والاستمتاع للإنسان

بما يقرأ، وذلك إضافة لضروب التسلية والمتعة الأخرى من تلفاز ومذيع التي تخفف عن الإنسان عناء العمل اليومي، والفراغ في حياته، فالقراءة أفضل الوسائل التي تغذى العواطف والمشاعر في هذه المجالات^(١).

مهارات القراءة:

لا بد أن يتقن القارئ عدة مهارات ليتمكن النجاح في عملية القراءة والوصول إلى الأهداف المرجوة منها من هذه المهارات.

١ - التعرف على الرموز اللغوية (الحروف - الكلمات).

٢ - الفهم والاستيعاب وهو فهم المعنى الحقيقي للكلمة من خلال السياق.

«فقد أشارت بعض الأبحاث الميدانية التي أجريت على الطلبة الذين يعانون من صعوبات في القراءة أن أحد الأسباب في ضعف القراءة يعود إلى الفوضى العرفية عندهم، ويقصد بالفوضى المعرفية الاقتصار على فهم معاني المفردات بشكل منعزل عن موقعها في العبارة أو الجملة، أي أنهم يعتبرون القراءة عبارة عن لفظ الكلمات لفظاً صحيحاً وفهم معانيها. فعندما يقرؤون قصة مثلاً فإنهم يفهمون كلماتها ولكنهم يعجزون عن فهم مغزى القصة والحكمة من تناسقها والمعنى المقصود من توالي الأحداث بالطريقة التي عرضت به، فهم لا يستخدمون التفكير في أثناء القراءة ويكونون غير راغبين في بذل المجهود اللازم لاستخلاص المعنى من النصوص»^(٢).

(١) طرائق تعليم اللغة العربية: د. محمد بن إبراهيم الخطيب. مكتبة التوبة. ١٤٢٤هـ.

٢٠٠٣ م. ص ٥٨ - ٥٩.

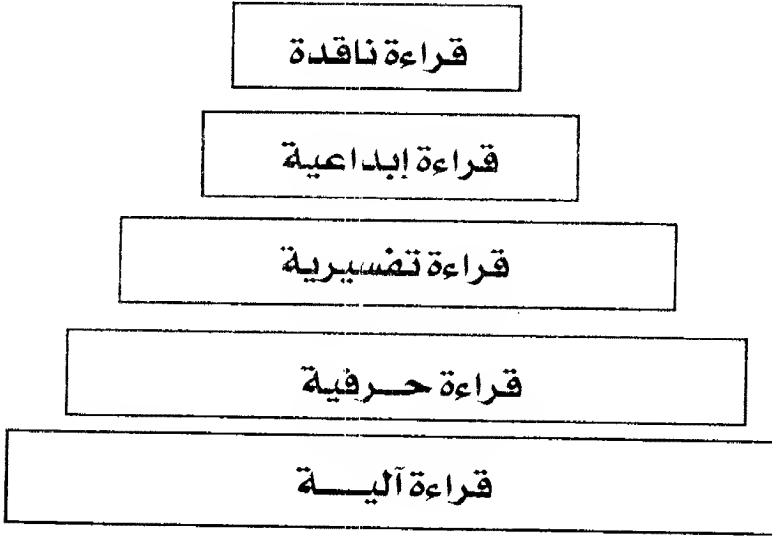
(٢) تعليم التفكير: د. إبراهيم أحمد مسلم الحارثي. ط ٢. ص ٢٠٨.

وقد قسم الباحثون القراءة إلى ثلاثة أقسام لحصول عملية الفهم هي (١) قراءة السطور وقراءة بين السطور وقراءة ما وراء السطور، وأطلق عليها آخرون اسم:

- ١ - المستوى الحرفي (لمعرفة ما هو مكتوب في النص).
- ٢ - المستوى التفسيري (للتفسير والشرح وتحليل النص).
- ٣ - المستوى التطبيقي (لاستخلاص النتائج أو وصف المشاعر أو تحليل الشخصيات أو تفسير السلوك) فمن يقرأ ليحل مشكلة خارجية أو ليكتب قصة أو يعمل عملاً إبداعياً آخر فهو يقرأ ما وراء السطور وهذه هي القراءة الإبداعية.

فهناك عدة مستويات للقراءة وقد أطلق البعض عليها (٢).

- القراءة الحرفية .
 - القراءة التفسيرية .
 - القراءة الإبداعية .
 - القراءة الناقدة .
- وعليه نستطيع أن نكون مبنىً هرمياً لفهم المقروء، يعتمد فيه كل مستوى على المستويات التي قبله.



(١) أسس القراءة وفهم المقروء: ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق: ص ٣١ .

ومما سبق يكون المستوى الحرفى (قراءة السطور) أو القراءة الحرفية.

يسأل فيه القارئ عن:

١ - ماذا قال الكاتب عن؟

٢ - ما هى النقاط المهمة؟

٣ - قارن بين....؟

٤ - ما هى الكلمات الصعبة وما معناها؟

٥ - ما هو الموضوع الرئيس؟

٦ - ماذا كانت الأسباب؟

ب- والمستوى التفسيري (قراءة ما بين السطور) أو القراءة التفسيرية: يسأل فيه القارئ عن:

١ - ماذا قصد الكاتب؟

٢ - عن ماذا يتحدث الكاتب فى الحقيقة؟

٣ - ماذا نستنتج من النص؟

٤ - كيف تفسر عمل/ سلوك البطل؟

٥ - ما هو شعورك بعد قراءة النص؟

ج) والمستوى التطبيقى (قراءة ما وراء السطور) القراءة الإبداعية الناقدة وحل المشكلات.

١ - ماذا تقترح؟ ماذا تفعل لو كنت مكان؟

٢ - كيف تستفيد مما تأتي لحل المشكلة تواجهك؟

٣ - ما رأيك فيما يقول الكاتب؟

٤ - هل الكلام دقيق، هل هذا الكلام رأى أم حقيقة؟

٥ - هل تستطيع إبداع عمل يوازي هذا العمل أو ينطلق منه لفكرة

أخرى إبداعية؟

وهو بعبارة أخرى القدرة على محاكاة النص.

٢ - السرعة في القراءة:

من المهارات الجديرة بالاهتمام السرعة في القراءة فهي مقياس للنمو العقلي عند القارئ لأن السرعة في الكتابة تتوقف على قوة عضلة اليد. أما السرعة في القراءة فهي توقف نوع المادة المقروءة، وعلى الهدف من القراءة (استيعاب - تحصيل - تسليّة) وقياس سرعة القراءة لابد أن يقترن بالفهم، فالتعرف الصحيح لسرعة القراءة هو سرعة فهم المادة المكتوبة فلكي نقيس سرعة القراءة يجب أن نقيس السرعة التي يفهم بها الشخص مادة ما، «فليس من المنرورة أن يكون القارئ المسرع قارئاً جيداً»^(١).

أنواع القراءة:

تنقسم القراءة إلى أنواع حسب الغرض منها فهي من حيث نشاط القارئ وهدفه من القراءة نوعان:

(١) طرائق تعليم اللغة العربية . ص ٧٣ .

١ - قراءة صامتة .

٢ - قراءة جهريّة .

وكل نوع من هذين النوعين يصلح لعدة أهداف تتوقف كلها على المرحلة التعليمية أو المستوى الثقافى للقارئ ودرجة المهارة اللغوية التى وصل إليها النوعان يصلح للهدف العام من القراءة وهو إما أ - قراءة استماعية ب - وقراءة درس وتحليل .

وكذلك يصلح للهدف الخاص للقارئ:

أ - قراءة لقضاء وقت الفراغ .

ب - قراءة من أجل الحصول على معلومة معينة .

ج - قراءة من أجل الحصول على التفاصيل .

د - قراءة من أجل التأمل والتحليل والاستنتاج وكذلك يصلح النوعان لهدف تعلم اللغة .

شواء كانت القراءة مجرد تعريف رمزى صوتى وهى مرحلة السيطرة على ميكانيكيات القراءة أو القراءة من أجل الفهم وهى مرحلة القراءة والارتباط بالمعنى .

أو القراءة التحليلية الواسعة وهى مرحلة الاتصال بكل ما تعبر عنه اللغة من فكر وثقافة .

ولكل نوع من النوعين سماته وفوائده ويتوقف على:

١ - الغرض من القراءة .

٢ - طبيعة القارئ ومستوى ثقافته اللغوية .

القراءة الصامتة:

وهى القراءة التى تعتمد على العين فقط دون تحريك للشفتين أو إصدار أى صوت مسموع، ولذلك هى تعتمد أساساً على الفهم والاستيعاب وعامل السرعة فيها ضرورى لتوفير الوقت والاطلاع على قدر كبير من المادة المقروءة، فالقراءة الصامتة قراءة سريعة بفهم واستيعاب، وهما ضروريان وبدونهما لا يقع القارئ على الظاهر من النص فضلاً عن باطنه وخفيه من الدلالات والمعانى، فسرعة التقاط عدد كبير من كلمات الصفحة المطبوعة يعضده ما استطاع الذهن استيعابه.

ولا شك أن القراءة الصامتة توفر الوقت أضعاف ما توفره القراءة الجهرية، وهى تعطى فرصة للذهن أن يفهم فى هدوء ويستوعب ذون تشويش ويفكر ويتأمل لينقد ويحكم على النص فى أقصر وقت أو تحصيل المعلومة والنقاطها فى النص الذى لا يحتاج إلى كثير من التأمل. وهى تنمى القدرة على القراءة من أجل الاستمتاع والترفيه وقضاء الوقت.

وهى للغرض التعليمى تعين المعلم على قياس مستوى الطلاب، فهى درجة أعلى من مستوى القراءة الجهرية، والانتقال إليها لا بد أن يتم من خلال سلسلة متدرجة فى الصعوبة من مواد القراءة، وتكون بالبطاقات الورقية المكتوب عليها النص المراد قراءته، ويعطى للطالب فرصة لقراءتها صامتاً، ثم يسأل الطالب فى المحتوى من الأفكار الرئيسية والعامية، ونطلب منه أن يضع عنواناً للفقرة ويستخرج الألفاظ الجديدة عليه. والقراءة الصامتة فى هذا المجال تعد مقياساً جيداً لحسن المهارة عند الدارسين، وذلك إن أجادوا الفهم مع سرعة القراءة لأن المعلم لا بد أن يضع وقتاً وجيزاً لو كان مضغوطاً ليستحث الطلاب على السرعة فى التقاط المعلومات أو الحكم على النص.

وعلى المعلم أن يختار النص المناسب لقدرات القارئ ويحثهم على التركيز والانتباه للموضوع وأهدافه. ولو قرأ المتعلم النص قراءة ثانية في زمن أقل ثم ناقشه أحد فيما قرأ من مفاهيمه وما استصعب عليه من معانيه لكانت النتائج أفضل من المرة الأولى. والقراءة الصامتة وسيلة جيدة لتحقيق الأهداف وليست هدفاً في ذاتها^(١).

القراءة الجهرية:

القراءة الجهرية: هي تعبير شفوي عن المدلولات والمعاني التي يقع عليها البصر ويدركها الذهن من النص المقروء، وهي تزيد على القراءة الصامتة بنطق الكلمات والجهر بها والتعبير بالنبرة والتنغيمية الصوتية عن المعنى الوارد في النص، وكذلك تظهر من خلالها انفعالات القارئ بالمادة المقروءة.

وهي فرصة عظيمة للتدريب على مخارج الحروف وقياس قدرة القارئ على النطق السليم للرموز الكتابية، وحسن توظيف علامات الترقيم، أثناء التعبير الشفوي، وهي أكثر صعوبة من القراءة الصامتة لأنه مع التشويش الصوتي قد تضيع بعض المعاني أو يفقد القارئ التركيز في مدلولاتها، أو يحتاج الرجوع إلى السطور السابقة مرة أخرى لإدراك المعنى متصلاً متكاملًا، فالتركيز والوعي أو ما يمكن أن نطلق عليه التربص لالتقاط المعاني أو تحدى النص لإثبات القدرة على الاستيعاب مع تحريك الشفتين حتى تتم المهارة بنجاح ويصل القارئ إلى أهداف

(١) تدريس فنون اللغة العربية. د. علي أحمد مدكور. ط ١. الكويت: مكتبة الفلاح ١٩٨٤م. ص ١١٥ - ١١٨.

النص بسهولة ولذلك ينبغي أن يراعى القارئ عدة أمور في أثناء القراءة الجهرية منها:

- ١ - عدم التردد وتجنب القراءة كلمة كلمة .
- ٢ - تسلسل النطق والصوت تسلسلاً طبيعياً مع تركيب الجمل دون أخطاء صوتية .
- ٣ - التعبير عن المعانى التى يحتوى عليها النص بالنبر والتنغيم المناسبين .
- ٤ - الالتزام بعلامات الترقيم وتوظيفها فى أثناء القراءة .
- ٥ - التعرف على الحروف التى تنطق ولا تكتب والحروف التى تكتب ولا تنطق .
- ٦ - التعرف على حروف العلة للفرقة بين الحركة فى حرف مفتوح مثلاً (ح) وبين حرف المد فى (حا) وحرف العلة فى (سعى) أو (دعا) أو الألف اللينة فى (ليلى) و(سلمى)^(١) .

من أجل قراءة ناجحة

نظام الخطوات الخمس: (SQ3R)^(١)

وهو أسلوب منظم وضع لمساعدة الطلاب فى قراءة الكتب والنصوص العلمية بطريقة فعالة، وصاحب هذا النظام هو هارفى انيس روينسون (١٩٤١) من جامعة ولاية أوهايو. وقد اكتسب هذا النظام شهرة لا من أجل المبادئ العلمية التى يقوم عليها فقط، وإنما لأن الاسم أو

(١) تدريس فنون اللغة العربية. ص ١١٨ - ١٢١ .

الرمز الذي اختير له يجعل عملية تذكر خطواته الخمس سهلة حيث يتكون هذا الاسم من مجموع الأحرف الخمسة الأولى لأسماء الخطوات الخمس:

استطلع (تصفح) (S) Survey

اسأل (Q) Question

اقرأ (R) Read

استذكر (R) Recite

راجع (R) Review

والخطوة الأولى - استطلع Survey:

وتعنى استطلاع أو مسح أو تصفح المادة المنوى قراءتها، وذلك بالنظر إلى جميع العناوين الواردة في الفصل وقراءة الخلاصة الواردة في نهايته (إذا وجدت) وقراءة الفقرة الأولى والنظر إلى الكلمات البارزة. وهذه العملية التي لا تستغرق وقتاً طويلاً، وتهيب القارئ نفسياً وعقلياً للمادة وتحول قراءته إلى قراءة هادفة، وتجعله يتعرف مسبقاً على الأفكار والمضاعفات، ويكون فكرة عامة عن طبيعة المادة التي سيقروها وتجعل قراءته تسير من العام إلى الخاص تمشياً مع مبادئ التعلم النفسية.

الخطوة الثانية - اسأل Question:

يعد تكوين فكرة عامة عن المادة، ولكي تتحول القراءة إلى هادفة يضع القارئ أسئلة حول المادة التي سيقروها، فيضع سؤالاً حول العناوين الجانبية وأسئلة فرعية أخرى تتراءى له من تصفحه للمادة: هذه الأسئلة

(١) أسس القراءة فهم المقروء: ص ٤١ - ٤٢ .

تولد لدى القارئ حافظاً للقراءة، وتساعد فيما بعد على تذكر للمادة وإبراز النقاط والأفكار المهمة في النص.

الخطوة الثالثة: اقرأ (RI) Read؛

بعد عملية التصفح ووضع الأسئلة يبدأ القارئ بقراءة المادة وبشكل مكثف بهدف الإجابة عن جميع الأسئلة التي آثارها ويرغب في الإجابة عنها، ويجب أن يتذكر القارئ الأسئلة حسب ترتيبها وأن يقرأ المادة بالتدرج، ويتأكد أن لديه الإجابة عن كل سؤال في أثناء عملية القراءة، وينصح بعدم قراءة الوحدة أو الباب كاملاً دفعة واحدة.

الخطوة الرابعة - استذكر (R2) Recite؛

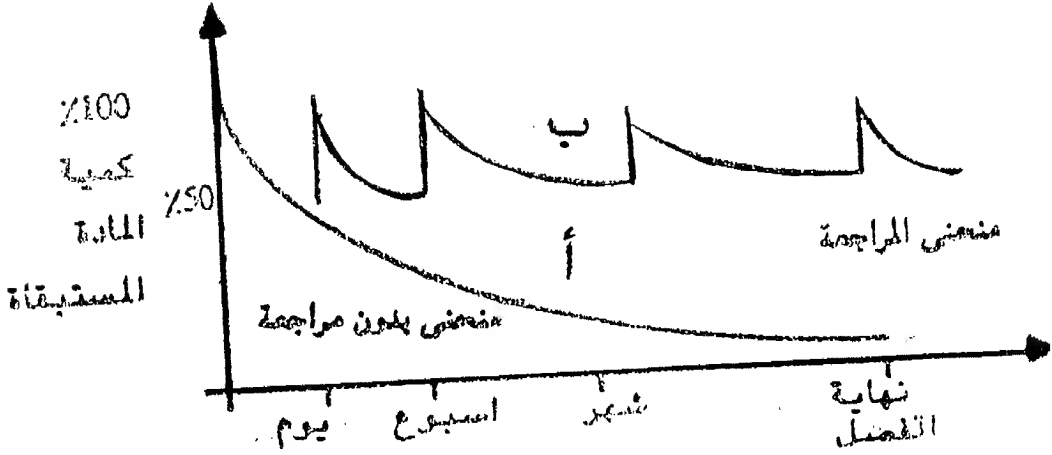
بعد الفراغ من قراءة المادة المقرر قراءتها يضع القارئ الكتاب جانباً ويحاول أن يستذكر ما قرأ وأن يجيب عن كل سؤال طرحه على نفسه في الخطوة الثانية، ويمكن استعمال كلمات القارئ الخاصة للإجابة بدلاً من الرجوع إلى كلمات الكتاب. إن عملية الاستذكار هنا مهمة جداً وأهم من قراءة بل تكاد تكون شرطاً مسبقاً لقراءة المادة مرة ثانية، لأن ذلك نشاط عقلي يساعد على الذكر ولمدة زمنية أطول، وبشكل أساساً جيداً لفهم الفقرات اللاحقة ويزود الطالب بتغذية راجعة (حول كيفية أدائه).

الخطوة الخامسة - راجع (R3) Review؛

النسيان أمر طبيعي لدى القارئ ويمكن أن يحدث أحياناً بعد ثوان قليلة من القراءة لذا يجب:

أولاً: العودة إلى الإجابة في الكتاب لكل سؤال لم ينجح القارئ في استذكاره في الخطوة الرابعة.

وثانياً: مراجعة المادة كلياً وعلى الفور وكذلك إجراء مراجعة دورية للمادة. (انظر الرسم البياني للتذكر):



خط (أ) يمثل الطريقة التقليدية.

خط (ب) يمثل طريقة SQ3R

- رسم بياني لنسبة التذكر بعد فترة زمنية معينة من التعلم.

المهارة الرابعة: الكتابة (الإنشاء)

الإنشاء في اللغة:

الإنشاء مصدر أنشأ، وأنشأ مزيد نشأ بالتعدية جاء في القاموس: نشأ نشوءاً.. حى وربا وشب، وأنشأت السحابة ارتفعت، وأنشأ الله السحاب: رفعه، وأنشأ الحديث وضعه.

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري: أنشأ الله الخلق فنشأوا ﴿وننشئهم النشأة الأخرى﴾ وأنشأ حديثاً وشعراً وعمارة واستنشأته قصيدة في الزهد فأنشأها لى، وأنشأ القلم في الحفازة والشرع واستنشأ رفعه^(١).

فبالاستناد إلى هذه المعانى اللغوية يمكن القول بأن أنشأ لغةً تفيد معنى خلق كما تفيد معنى الارتفاع - والاتفاق فى المعنى اللغوى لا يعنى الاتفاق فى المعنى الاصطلاحى. فخلق: تفيد إيجاد الشئ من العدم وهذا الخلق لا يصح فى الكاتب المنشئ لأن المعانى لا تخلق من العدم فهذا النوع من الخلق (الخلق من العدم) خاص بالذات الإلهية، ويدل على الإيجاد المطلق^(٢).

وإذا كان من معنى الإنشاء: الإيجاد مع الارتفاع والسمو فإن ذلك يشير إلى ضرورة الإتقان فى الكلام والمنشأ.

الإنشاء اصطلاحاً:

يذهب بعض الأقدمين إلى أن الإنشاء هو: استنباط المعانى والتعبير عنها بفكر ملائم.

(١) أساس البلاغة: جار الله القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ج ٢، ص ٤٤١.

(٢) انظر الوسيط فى قواعد الإملاء والإنشاء: د. فاروق الطباع، بيروت: مكتبة المعارف.

وفى عرف بعض المحدثين الإنشاء هو الكتابة الجيدة .

ويعرفه د . عمر فاروق الطباع تعريفاً آخر فيقول فى كتابه «الوسيط فى قواعد الإملاء والإنشاء»: الإنشاء: «تعبير فى قالب لفظى يوحى بأغراض المتكلم» .

وفى تعريف آخر: التعبير: فيض يجرى بخاطر الكاتب فيصور مدى انعكاس ما يراه أو يسمعه بعبارات فيها ألفاظ تحدد وأفكار توضح ومعان تترجم ما يختلج الصدر من عواطف ومشاعر وأحاسيس (١) .

وهو أيضاً إطار حواشيه خلاصة المقروء من فروع اللغة العربية وآدابها، ولن يستطيع إنسان أن يعبر دون أن تكن لديه ذخيرة لغوية وعاما من قراءاته (٢) .

ولهذا فإن المنشئء كالأديب كلاهما غاية إيضاح ما يدور فى نفسه من خواطر ومشاعر، فالتعبير هو جوهر الإنشاء وحقيقته .

مكانة الكتابة والإنشاء:

نعرف مكانة الإنشاء إذا عرفنا قيمة الكلمة، فالكلمة لها وقعها ولها صداها الذى ينجم عنها، فرب كلمة أنقذت صاحبها من التهلكة، ورب كلمة أوردته موارد الهلكة . قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمِثْلَ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿﴾ [إبراهيم: ٢٦ - ٢٧] .

(١) المرجع السابق، ص ١٤٥ .

(٢) طرق تدريس اللغة العربية: د. عبد المنعم سيد عبد العال . دار غريب . ص ١٢٣ .

فالكلمة وسيلة الإعلام الأولى التي تسيّر أمور الممالك وتشجع الجنود وتقرب البعيد وتكون في حال المعركة بمثابة جيش كامل العدد والعدة وفي حالة السلم مسير الدولة (ويؤيدنى في ذلك ما قاله الناصر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله في وزيره وكاتبه القاضي الفاضل، عندما وجه كلامه لجنوده قائلاً «إن أسلحتكم لم تضع النصر وحدها، بل الذى ساعد فى ذلك هو قلم القاضي الفاضل». وكان هذا الرجل حقاً بارعاً فاضلاً فى صناعة الكتابة والترسل)^(١).

كيف تكون كاتباً بارعاً

للكتابة كآى فن من الفنون شروط وأركان عليها مدار الإجابة فى نواحى فنونها أهمها ما يلى:

أولاً: الموهبة أو الاستعداد الفطري؛

الموهبة أو الاستعداد الفطرى الذى يساعد الإنسان على تفهم حقائق الأشياء، وهذا الاستعداد لا يخلو من أهمية فى اكتساب المعارف على وجه العموم والقدرة على إصابة المعانى على وجه الخصوص. وقد اصطلح الأقدمون على تسمية الموهبة بالعقل الغريزى أى القوة الإدراكية التى فطر عليها الإنسان، وهذه تعتمد على قوى طبيعية أخرى أهمها المخيلة، الذاكرة، الشعور، الإدراك.

ونحاول أن نتعرف على أثر هذه القوى فى تكوين الذائقة

الكتابية.

(١) قواعد الكتابة العربية والإنشاء: د. عبد الواحد حسن الشيخ. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة ص ١٨٥.

المخيلة:

قال الراغب الأصفهاني: «الخيال أصله الصورة المجردة كالصورة المتصورة في المنام وفي المرآة وفي القلب بعيد غيبوبة المرئي، ثم تستعمل في صورة كل أمر متصور، وفي كل شخص دقيق يجري مجرى الخيال»^(١). والواقع أن المخيلة بتفاعلها مع سائر القوى الإدراكية تستطيع أن تخلق من الصورة المحفوظة مادة خيالية، تكون أساساً في كل توليد معنوي جديد، فهي إذن ذات وظيفتين: الحفظ والتوليد، من هنا كانت ذات طابعين المخيلة الحافظة والمخيلة المبدعة، والسمو في التعبير الأدبي يقتضى تنمية المخيلة لتصبح قادرة على الإبداع.

الذاكرة:

إذا كانت المخيلة قوة لحفظ صور المحسوسات والعمل على توليد صور جديدة منها، فالذاكرة قوة تحفظ صور المعانى المجردة عندما يدركها العقل، ولذلك سميت أيضاً الحافظة.

والشأن في الحافظة كما هو في المخيلة فعملها لا يقف عند الحفظ فحسب، فنمو الذاكرة بعوامل الإدراك والاطلاع المستمر كفيل بأن يخلق من المعانى المختزنة، معانى جديدة مولدة. وعمل المخيلة أو الذاكرة لا يأتى إلا بإشارتهما عن طريق الشعور والإدراك اللذين يشكلان المنافذ بين الذات والعالم الخارجى، فبواسطتهما تنقل إلى القوتين المتخيلة والحافظة صور المحسوسات والمعقولات.

(١) مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط٢. دمشق: دار القلم ١٤١٨هـ، ص ٣٠٤.

الشعور:

ويُقال له الحس أيضاً وهو قوة تثير الإنسان وتحرك عاطفته بما تحمل إليه من إحساسات مختلفة، تولد بدورها مشاعر مختلفة، يعبر عنها صاحبها بضروب من الكلام. فالألم واللذة والحزن والغضب كل هذه تثير عواطفنا فتجدنا في حاجة إلى تصوير وجداننا المنفعل بها، قال ابن عبد ربه: إن الكلام العذب إذا حل في القلب أحدث فيه حركة وهزة».

الإدراك:

قوة تثير العقل قد يقال لها الذكاء وهو عبارة عن سرعة الفطنة، وعليه المعول في تفهم الحقائق المختلفة.

عملية التعبير:

للنفس إذاً نافذتان هما: الحس والإدراك. وبهما تتسرب الصور الخارجية، الحسية منها أو المعنوية إلى الوجدان والعقل فتثيرهما، وهذان يثيران بدورهما المخيلة والحافظة. وما ضروب الإنشاء إلا تعبير عن المشاعر والإدراكات المخلفة، التي تولدها عملية الانفعال بين الذات والمحيط الخارجى.

لماذا تتفاوت المواهب؟

تتفاوت قوة الموهبة في الأشخاص بتفاوت عمل هذه القوى الغريزية فيها... وهذا ناشئ بما يطرأ على ملكة الذوق من عوامل الاكتساب التي تنفذ إلى العقل الغريزي عن طريق الاختبار والممارسة والاطلاع فتصقل قواه وتهيئ لإعطاء ثمرات أينع مما لو بقى عقلاً غريزياً صرفاً.

فالموهبة إذا ليست كل شيء فى صناعة الإنشاء، فلاكتساب ثمرته،
وللدربة والمران أثرهما فى الانتقال بالمنشئ من سذاجة الفطرة إلى
جمال الصنعة^(١).

ثانياً: المطالعة:

الركن الثانى من أركان الإنشاء هو المطالعة. والمطالعة لفظ مشتق
من اطلع على الشيء، أى أدركه بالوقوف على حقيقته، ومنه المَطَّلَع: أى
موضع الاطلاع من مكان مشرف إلى انحدار.

المطالعة غير القراءة:

استناداً إلى مدلول اللفظة اللغوى نشير بأن المطالعة غير القراءة من
ناحيتين:

١ - كونها تفيد التعمق فى فهم الكلام وتدبر وجوهه، وهذا لا تدل
عليه القراءة العادية.

٢ - كونها تتناول التصانيف الكتابية.

فوائد المطالعة:

المطالعة توقظ الاستعداد الفطرى وتصقل الموهبة، فهى بمثابة
مرقاة يعتمد عليها فى إثارة الذهن وتحريك المشاعر وتوليد أجمل الكلم،
بالإضافة إلى وقعها فى النفس. قال الجاحظ: «القراءة تشحذ الفكر وتجلو
العقل وتحيى القلب وتقوى القريحة وتعين الطبيعة وتبعث نتاج العقول

(١) الوسيط ١٤٧ وبعدها.

وتستثير رفائن القلوب، فضلاً عن أنها تؤنس الوحشة، وتصل لذتها إلى القلب من غير سامة تدركك ولا مشقة تعرض لك»^(١).

والمطالعة تقوم على عوامل نفسية منها:

١ - الانفعال والتأثر.

٢ - حب الاحتذاء.

ويمكن إيجاز فوائد المطالعة فيما يلي:

١ - الاطلاع على نتاج العقول والقرائح فى القديم والحديث، الشىء الذى يوسع أفق التفكير، وينمى ثروة العقل، ويزيد من خبرة النفس.

٢ - تفهم أساليب الكتابة نتيجة للمطالعة الطويلة. وفى هذا صقل للذائفة الجمالية فى المثقف، وبه تنمو بذور النقد مستقبلاً. فأمهر النقاد هم أكثرهم قراءة واطلاعاً.

٣ - حصول ملكة البلاغة لأنها نتيجة حتمية للاطلاع الواسع والتمييز بين الأساليب المختلفة.

شروط المطالعة:

١ - حسن الاختيار:

الكتب كالرجال فيها الصالح والطالح والجيد والردىء، فليختر مرید الإنشاء جيدها وليترك غثها وليعرض عن كتابات هؤلاء الذى يتاجرون على حساب الفكر ولا ضحية لهم فى هذه التجارة المرذولة إلا القارىء وقيم الحق والخير والجمال. وليكن إيثارك لمؤلفات الذين يكتبون بدم

(١) البيان والتبيين . ص ١٢٣ .

قلوبهم وبعضارة أفكارهم وذوب وجدانهم، أولئك الذين صنعوا من نور الحرف ناراً تبدد ظلمات الجهل، وإشعاعاً يمزق ديجور الاستبداد والذين جعلوا من أقلامهم حراباً في صدور السفاحين، وسناناً في أجساد المدلسين على الحقيقة والتاريخ. إن أمثال هذه الكتب التي دبحها رسل العلم بنبضات أفكارهم وخفقات قلوبهم هي التي عناها المتنبي بقوله:

أعز مكان في الدنيا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

٢- تدبر الكلام بإطالة النظر فيه:

إن مثل من أعطى كتاباً جيداً ولم يحسن قراءته مثل الذي أصاب ثمرة مغلقة فلم يحسن معالجتها فطرحها لأنه لم يتدبرها لينال لبها.

فلا بد أولاً من تأمل الكلام تأملاً يكشف عن ما وراء السطور، فبعض الأفكار كالدرر الغوالي لا يحصل عليها إلا الغائص في اللجج العميقة وهذا لا يكون إلا إذا تهيأ كيان المرء كله للمطالعة فلم تكن العين إلا نافذة الكلمات إلى الوجدان والعقل.

ولا بد ثانياً معاودة قراءة التصانيف نفسها، ففي هذا مدعاة للكشف عن معان جديدة، قد لا نوفق إليها في القراءة الأولى فضلاً عما في ذلك من إرساخ للكلمة في الذهن وإيقاظ لملكة الذوق وتنمية لروح النقد الصحيح.

وكذلك من الأهمية بمكان أن نختار وقتاً مناسباً للقراءة والاطلاع، فليست مطالعة هذه التي تكون في الحافلات أو محطات القطارات، وليست مطالعة هذه الذي يحمل عليها الفكر، فإذا لم يكن المزاج متهيئاً لها فلا فائدة ترجى منها.

٣- الحفظ:

لا نعنى بالحفظ اختزان كل ما نقرأ فى الذاكرة فقط، فقد يكون هذا حشواً للدماغ لا مسوغ له، ولكن يرجى من الحفظ أمران هما:

١ - حُسن الاستيعاب: بامتلاك جوهر ما نقرأ.. فإذا أحسننا استيعاب ما نقرأ أمكننا أن ننشئ من المحفوظ الذى وعاه القلب مبتكراً فى ضروب المعانى والتعابير.

وما أصدق الشافعى - رحمه الله - حين قال مصوراً حال المتعلم الذى وعى فى قلبه العلم، فى قوله:

علمى معى حيث ما يمتت يتبعنى قلبى وعاء له لا بطن صندوقى
إن كنت فى البيت كان العلم فيه معى أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق

وهذا ما عناه البعض بقولهم: لا خيز فى علم لا يعبر معك الوادى
ولا يعبر بك النادى.

٢ - الغاية من الحفظ: لا يخلو حفظ الرائع من بليغ الكلام من فوائد كثيرة، فالاستشهاد بأقوال العلماء والحكماء فى معرض الحديث أو خلال الكتابة يزيد فى قيمة رأى، ففيه الحجة والبرهان على صدق ما نقول.

لكن يجب الاحتراس من كثرة الشواهد، فإن فعلنا كان كلامنا أشبه بالرواية التى ينقل فيها المحدث أو الكاتب آراء الآخرين وأقوالهم لا فضل لنا فيه سوى قوة الحافظة. لهذا قال ابن مسعود - رضى الله عنه - «كونوا للعلم رعاة، ولا تكونوا له رواة» فالذى يرعى ما يحفظ بالوعى الصادق جدير بأن يستنبط المعانى الجديدة ويولد الآراء الشخصية القيمة.

ثالثاً: ممارسة الكتابة:

إن عاملى الموهبة والمطالعة ليسا كل شىء فى إتقان صناعة الكتابة والإنشاء، فلا بد من الدربة على الإنتاج ومزاولة الكتابة فى أغراض شتى من وصف وتعبير عن أحوال النفس ومحاكاة للبلغاء فى أساليبهم، واحتذائهم فى فنونهم، فلإنشاء ملكة يزيد بها الارتياض طواعية على التعبير، وقوة فى التوليد.

قال خالد بن صفوان: «إنما اللسان عضو إن مرنته مرن فهو كاليد تخشنها بالممارسة، وكالبدن تقويه برفع الحجر، والرجل إذا عودت المشى مشت».

ومن ينكر قيمة التريض فى اكتساب المعارف والصنائع على اختلافها: فالكاتب الناشئ إذا أوتى الموهبة فى الكتابة، ومال إلى قراءة تصانيف البلغاء، وأفاد مما تعى حافظته وجد فى نفسه ميلاً إلى المحاكاة والإنسان مفطور على التقليد والاحتذاء، فإن لبي هذا التخيل، ودأب عليه، استقامت ملكته، وآتت ثمارها شأنها فى ذلك شأن التربة الصالحة، تتعهد بها بالغرس والسقيا والعزق والتشذيب فإذا هى تنبت زكى النبات وصالحه^(١).

توصيات فى الكتابة:

قبل أن يكتب الموضوع لابد من أمور هى:

١ - أن تطرق الفكرة ذهن الكاتب وتشغله ويطيل النظر فى ملابستها حتى يصل إلى عنوان مناسب يحتضن الفكرة

(١) الوسيط فى قواعد الإملاء والإنشاء، ص ١٦٢.

ويحتوى تفاصيلها الدقيقة، بعد النظرة الثاقبة المتأنية. وبعض الكتاب كان يكتب ثم يضع عنواناً لما كتب بعد الكتابة.

٢ - أن يبدأ الكاتب فى التعامل مع مسودة المقال ولو بشكل غير منظم، يسجل الأفكار والتفاصيل التى تتداعى فى ذهنه حول موضوع المقال ثم يرتبها حسب أهميتها وعلاقتها بالموضوع.

ولا تعرض هذه الأفكار المرتبة بصورة مجردة كما تعرض الأخبار بل يضيف عليها الكاتب شيئاً من الإقناع والتشويق مستعيناً بخبرته وقراءته الشخصية فى استخدام مثل من الأمثال العربية يكون مناسباً للموضوع ومرتبباً به أو عرض حكاية قصيرة تكون وثيقة الصلة بفكرته ويمكن أن يستعين على هذا بكتب الأمثال العربية أو كتب الحكايات الرمزية الهادفة مثل كتاب «كليلة ودمنة» أو كتب الأخبار.

ثم يبدأ الكتابة الفعلية مراعيًا ما يلى:

١ - استهلال المقال أو الموضوع ببراعة تأخذ بيد القارئ إلى متابعة القراءة.

٢ - الابتعاد عن التكرار وحشد المعلومات ولا يقبل كل ما يورده فكره من المعانى بل يتخير خيرها وأحسنها وليعلم الكاتب أن كل كلمة يمكن حذفها فإبقاؤها خطأ.

٣ - الاهتمام بالعنصر الذاتى الذى يضيفه من شخصيته والإنشاء ابتكار وإتيان بالجديد أو طبع القديم على الأقل - بطابع جديد.

٤ - الحرص على احترام فكر القارئ حتى لا ينقطع بينهما خط

التواصل فلا يكثر من البدهيات ولا يجزم فى إصدار الأحكام حتى يملك أسباب الجزم (١).

العناصر المكونة للموضوع الإنشائي أو المقال

يتكون الشكل الخارجى للمقال التعبيرى - فى الغالب - من عناصر أربعة يلاحظها القارئ الواعى، وهذه العناصر هى:

العنوان - المقدمة - العرض - الخاتمة

العنوان:

عنوان المقال، شأنه شأن عنوان الخطاب، وكما أن الخطاب لا ينتقل خطوة واحدة إلا إذا كان عليه عنوانه فكذلك المقال الجيد يجب أن يكون له عنوان.

أما خصائص هذا العنوان فأهمها:

١ - الدقة والوضوح فى ترجمته للفكرة التى يحويها الموضوع المكتوب، ومن ثم فالغموض فى عناوين المقالات ليس أمراً مطلوباً أو جيداً لأنه تدليس على القارئ يبرأ منه الكاتب الجيد الذى يحترم قراءه.

٢ - يغلب عليه الإيجاز، وشأنه شأن الأمثال المصاغة فى كلمات قليلة تختزن فى داخلها حكاية أو قصة أو عبرة.

(١) مهارات فى فنون الأدب والمراسلات: د. محمود عباس عبد الواحد. القاهرة: دار الفكر العربى ص ١٣. وانظر: كيف تكتب موضوعاً إنشائياً: محمد راجى بن حسن كناس، ص ٦.

٢- المقدمة:

المقدمة أول كل شيء، فالمقدمة من الجيش طائفة منه تسير أمامه لتعرفه بالمكان المقدم عليه، وبالعدو الذى سيلاقيه. بل تمهد للجيش أحياناً. ومقدمة المقال بدايته المعرفة به، الممهدة لأفكاره، فهى:

١ - تحمل فى طياتها عناصر التعريف والتمهيد.

٢ - قصيرة مركزة كاشفة لموضوع المقال لا لبس فيها ولا إبهام.

٣ - صادقة فى التعبير عن أفكار الموضوع.

٤ - صورة مصغرة للموضوع والغموض فيها عيب ويجنح إليه بعض الكتاب ليحمل القراء على قراءة ما كتب لكن الكاتب الجيد يسعى إليه قراؤه ولا يحاول أن يفسرهم على قراءة ما كتب.

٣- العرض:

وهو متن كل مقال وجوهره وصلب موضوعه، وليست ثمة طريقة تلتزم فى العرض الجيد لأى مقالة وإنما تتاح الفرصة كل كاتب أن يكتب بالطريقة التى يراها. وهنا تتميز الأساليب وتظهر الثقافات، والقدرة على التحليل والبسط والإقناع.

وفى العرض يدعم الكاتب فكرته بكل ما يؤيدها من الحجج والبراهين، والأمثلة والاقتباسات.

ولا ينسى الكاتب الجيد فى غمرة انفعاله بفكرته أن يذكر سلبياتها ويحاول أن يجد الحلول قد استطاعته، فإن لم يجد القارئ فى مقارنة

سريعة بين إيجابياتها وسلبياتها، فالذرة مثلاً، مرعبة مهلكة، لكنها يمكن ترويضها والتحكم فيها أملاً في الإفادة من إيجابياتها.

ومهم أيضاً أن يكون لدى الكاتب من وضوح الرؤية بالفكرة والإيمان بها والصدق في عرضها والوسيلة الجيدة وهي اللغة الصحيحة والثقافة الواسعة التي تعينه وتسعفه على التدليل والاستقراء والاستنتاج، ما يجعل قارئه يقتنع بها ويصدقها بل ويستمتع عقلياً بها.

٤- الخاتمة:

وهي نهاية كل شيء، والمراد بخاتمة المقال الإنشائي ثمرته والنتيجة الطبيعية للمقدمة والعرض والمقال الجيد يقدم لنا في نهايته كشف حساب بخلاصة الأفكار الرئيسية التي يريد توصيلها للقارئ.

وهي تجميع لخيوط المقالة المتنوعة في أسلوب مركز ويستحسن أن تكون صياغتها بعبارات قوية لأنها آخر ما يبقى في ذهن القارئ^(١).

(١) المقال بين النظرية والتطبيق: د. عبد الحميد عليوه مسعد ط (١) ١٤١٢، ١٩٩٢. وانظر كذلك: المقال دراسة ومنهج: د. فكري محمد سليمان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢.

المراجع

- ١ - أبو زهرة، محمد: الخطابة أصولها تاريخها. القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٨٠م.
- ٢ - الجاحظ. أبو عثمان: البيان والتبيين. حققه فوزى عطوى. بيروت: دار صعب (د.ت). .
- ٣ - الحارثى، إبراهيم أحمد مسلم: تعليم التفكير ط٢. الرياض: مكتبة الشقري ١٤٢٢هـ.
- ٤ - حبيب الله، محمد: أسس القراءة وفهم المقروء بين النظرية والتطبيق. ط٢. عمان: دار عمان ٢٠٠٠م.
- ٥ - الحوفى، محمد أحمد: فن الخطابة. ط٤. القاهرة: دار نهضة مصر ١٣٩٢هـ.
- ٦ - الخطيب، محمد بن إبراهيم: طرائق تعلم اللغة العربية. مكتبة التوبة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ٧ - الخولى، محمد على: الأصوات اللغوية. ط١ الرياض: مكتبة الخريجي ١٤٠٧هـ. ص ١٦٧.
- ٨ - الرازى، عبد الرحمن بن أبى حاتم: مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل. ط١. حيدرآباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف. ١٣٧١هـ.
- ٩ - رفعت، خالد السيد ووفاء على عمار: الأسس العامة لبرامج قراءة الكلام للصم المصريين. مجلة علوم اللغة. العدد الثالث ١٩٩٩ القاهرة: دار غريب.

- ١٠ - الزمخشري، جار الله القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م.
- ١١ - سليمان، فكرى محمد: المقال دراسة ومنهج. ١٤١٣هـ/١٩٩٢ م.
- ١٢ - الشيخ، عبد الواحد حسن. قواعد الكتابة العربية والإنشاء. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة (د. ت).
- ١٣ - الطباع، فاروق: الوسيط فى قواعد الإملاء والإنشاء. بيروت: مكتبة المعارف.
- ١٤ - عبد العال، عبد المنعم سيد: طرق تدريس اللغة العربية. القاهرة: دار غريب (د. ت).
- ١٥ - عبد الواحد، محمود عباس: مهارات فى فنون الأدب والمراسلات. القاهرة: دار الفكر العربى.
- ١٦ - عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوى. القاهرة: عالم الكتب ١٤٢٥ - ٢٠٠٤.
- ١٧ - الكرمانى: صحيح البخارى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٥٦هـ/١٩١٧ م.
- ١٨ - كناس، محمد راجى بن حسن.: كيف تكتب موضوعاً إنشائياً.
- ١٩ - المباركفورى، صفى الرحمن: الرحيق المختوم. ط١. جدة: دار حافظ ١٤٢٢هـ.
- ٢٠ - مجاور، محمد صلاح الدين: تدريس اللغة العربية المرحلة الابتدائية. ط٣. الكويت: دار القلم ١٩٨٠ م.

- ٢١ - مجلة الرسالة العدد الثاني ذو الحجة ١٤٢٢ .
- ٢٢ - محمد، روحية أحمد: النمو الفنولوجي في لغة الطفل. العدد الثالث ١٩٩٩ القاهرة: دار غريب.
- ٢٣ - مذكور، على أحمد: تدريس فنون اللغة العربية. ط ١. الكويت: مكتبة الفلاح ١٩٨٤م.
- ٢٤ - مسعدة، عبد الحميد عليه: من المقال بين النظرية والتطبيق ط (١) ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ٢٥ - مصلوح، سعد عبد العزيز: دراسة السمع والكلام. القاهرة: عالم الكتب ١٤٢٠-٢٠٠٠م.
- ٢٦ - معهد اللغة العربية: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. مكة المكرمة.
- ٢٧ - هارفي، روبنسن: كيف تتحدث وتستمع بفعالية. (الجمعية الأمريكية للإدارة) مكتبة جرير.
- ٢٨ - يونس، فتحى على ومحمود كامل الناقة: أساسيات تعليم اللغة العربية. القاهرة: دار الثقافة ١٩٨١م.

حكايات نشأة النحو

د. محمد سعيد صالح ربيع الغامدى

قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبد العزيز - جدة

تقديم:

للأخبار والحكايات فى تراثنا العربى أثر واضح ملموس فى تبلور مفاهيم التراث فى الأذهان على صورة ما، مثلما أن لصور مفاهيم التراث المستقرة فى الذهن أثر فى صنع حكايات ملائمة لهذه الصور ومثبتة لها. فالعلاقة بين الحكاية والمفاهيم جدلية، لا يُعلم على وجه الدقة أحياناً أى الأمرين صنع الآخر، ولا أيهما المتقدم أو المتأخر. وسيُتضح عند تأمل ما ورد عن «نشأة النحو» من حكايات أطراف من هذه الآثار، لعنا نصل من خلالها إلى ضرورة إعادة اكتشاف مفاهيم تراثنا أو جزء كبير من جديد بلا ضغطٍ من الحكاية أو ضغطِ الصور المتبلورة فى الذهن سلفاً.

ويلحظ المنتبِع لحكايات «نشأة علم النحو» ارتباطها الوثيق بحكايات آخر، هى حكايات ظهور بعض مظاهر الفساد واللحن فى العربية. والعلاقة بين النوعين ظاهرة فى أن علم النحو إنما أنشئ لمقاومة اللحن والفساد اللغوى. وسنحاول فى هذه الورقة الوقوف على طبيعة تلك العلاقة. وذلك يقتضى تتبع حكايات اللحن، ثم التأمل فى حكايات النشأة وما يرتبط بها من الحكايات التى تتحدث عن أول من أقدم على وضع

العلم، وغرض وضعه، وكيفيات الوضع. وأرجو أن يسهم ذلك في إيضاح الفكرة التي تقوم الورقة على إيضاحها.

حكايات اللحن:

تُرد في كتب اللغة والتراجم والتاريخ وبعض كتب النحاة وغيرها مرويات متعددة، تحاول رصد أول ظهورٍ للحن على ألسنة المتكلمين بالعربية. يعود بعض هذه المرويات بالحن إلى عصر الجاهلية، وبعضها إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضها إلى عهد الخلفاء الراشدين. ويحكى بعضها مظاهر للحن في زمن الفصاحة والاستشهاد المتفق عليه التالي لهذه العصور.

نُقل في بعض الروايات ما يفيد أن مظاهر من اللحن والخطأ في اللغة عرفت عند العرب في العصر الجاهلي. فقد «روى أن الشيخ المحترم في العرب كان إذا لحن لم يصوبوا كلامه احتراماً له. بل كانوا كثيراً ما يقلدونه في الخطأ»^(١).

وفي عهد النبوة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يلحن في كلامه فقال: «أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل»^(٢). ومع أن الرافعي يستنتج من لفظ الضلال الوارد في الحديث أن اللحن لم يكن معروفاً قبل

(١) سليم، عبد الفتاح: المعيار في التخطئة والتصويب، ط ١، القاهرة: دار المعارف، سنة ١٩٩١ م (ص ٤١). وذكر المؤلف أن هذا النص نقله من مجلة المجمع اللغوي -

البحوث والمحاضرات، الدورة ٣٥، ولم يعثر على الرواية في غير هذه البحوث.

(٢) الهندي، على المتقى بن حسام الدين: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تصحيح الشيخ صفوت السقا، ط ١، حلب: مكتبة التراث الإسلامي، سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

(١ / ١٥١). وفي بعض المصادر بلفظ: «فقد ضل». انظر السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، ط ١، بيروت: دار

الكتب العلمية، سنة ١٩٩٨ م (٢/٢٤٢).

هذا العهد، وأن هذه الحادثة أولى حوادث اللحن^(٣)، تنصُّ بعضُ المصادر على وزود لفظ «اللحن» في كلام النبي صلى الله عليه وسلم بما يدل على أن الظاهرة عُرِفَت في عهد النبوة وقبله، كحديث: «أنا من قریش ونشأت في بنى سعد فإِنِّي لى اللحن»^(٤). وحديث: «رحم الله امرأً أصلح من لسانه»^(٥).

وقيل: قال أبو بكر الصديق رضی الله عنه: لأن أقرأ وأسقط أحب إلى من أن أقرأ وألحن^(٦). ورووا أن أحدَ ولاة عمر بن الخطاب كتب إليه كتاباً به بعضُ اللحن. فكتب إليه عمر: «أن فَنع كاتبك سوطاً»^(٧).

وعنه أنه قال: «تعلّموا النحو كما تعلّمون السنن والفرائض»^(٨). وأنه قال: «من قرأ القرآن فأعرب به فمات كان له عند الله يوم القيامة كأجر شهيد»^(٩). وروى أيضاً أن عمر رضی الله عنه مرَّ بقوم يرمون، فأساؤوا الرمي. فقال: بئس ما رميتم. قال بعضهم: إنا قوم متعلمين. فقال:

(٣) الرافعي، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب، ط ٤، سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م (٢٤٢/١).

(٤) المزهر ٣٤١/٢.

(٥) ينظر: الخثران، عبد الله حمد. مراحل تطور الدرس النحوي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م (ص ١٥).

ويلاحظ أن أحاديث اللحن لم تذكرها كتب الأحاديث المعتبرة. انظر قدور، أحمد محمد. مصنفات اللحن، التثقيف اللغوي حتى القرن العاشر، منشورات وزارة الثقافة السورية، سنة ١٩٩٦م (ص ٥٣).

(٦) ابن أبي هاشم، عبد الواحد بن عمر. أخبار النحويين، تحقيق مجدى فتحى السيد، ط ١، طنطا: دار الصحابة للتراث، سنة ١٤١٠هـ (ص ٣٥).

(٧) ابن جنى، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ط ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٤٠٨هـ (٨/٢).

(٨) الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين، دار الفكر للجميع، سنة ١٩٦٨م (١٧١/٢).

(٩) أخبار النحويين لابن أبي هاشم ص ٣٦.

«إساءتكم في لحنكم أشد من إساءتكم في ريميككم»^(١٠). وعن علي رضي الله عنه أنه كان يشيع جنازة، فقال له قائل: من المتوفى؟ بالياء^(١١). وكان رجل إلى جنب ابن عمر فلحن، فأرسل إليه: إما أن تتنحى عنا وإما أن نتنحى عنك^(١٢). وروى أيضاً أن ابن عمر وابن عباس كانا يضربان أولادهما على اللحن^(١٣).

وروى أن رجلاً دخل على زياد بن أبيه فقال: «إن أبينا هلك، وإن أختينا غصبنا ميراثنا من أبانا»، فقال: «ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضيعت من مالك»^(١٤). وروى عن الحجاج أنه سأل يحيى بن يعمر: هل يلحن في نطقه؟ فأجابه بأنه يلحن في حرف من القرآن؛ إذ كان يقرأ قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾^(١٥) إلى قوله ﴿أَحِبُّ﴾^(١٦) بضم أحب.

(١٠) الأنباري، أبو بكر. إيضاح الوقف والابتداء، تحقيق محي الدين رمضان، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق، سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م (٢١/١ - ٢٢).

(١١) السبكي، أبو نصر عبد الوهاب. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، ط ٢، دار هجر للطباعة والنشر، سنو ١٩٩٢ م (٦٨/١٠).

(١٢) أخبار النحويين لابن أبي هاشم ص ٣٠.

(١٣) نفسه ص ٣٧.

(١٤) البيهقي، المحاسن والمساويء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة، سنة ١٣٨٠ هـ (١٥٩/٢).

(١٥) من الآية ٢٤ من سورة التوبة.

(١٦) ينظر: الجمحي، محمد بن سلام. طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، دار

المدني (١٣/١).، الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن. طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، القاهرة: دار المعارف (ص ٢٢). ويستنتج

الدكتور شوقي ضيف من مجرد سؤال الحجاج يحيى بن يعمر هذا السؤال أنه يدل على ما استقر في نفسه من أن اللحن أصبح بلاء عاماً، وإذا كان الحجاج وهو في الذروة من

الخطابة والبيان والفصاحة والبلاغة يلحن في حرف من القرآن فمن وراءه من العرب نازلة المدن الذين لا يرقون إلى منزلته البيانية كان لحنهم أكثر. انظر ضيف، شوقي:

المدارس النحوية، ط ٣، القاهرة: دار المعارف (ص ١١ - ١٢). ويتنظر في روايات لحن الوليد بن عبد الملك: البيان والتبيين ٢/ ٢٠٤، وابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم:

عيون الأخبار، مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٦٣ م (١٥٨/٢، ١٦٧)، ولحن بعض من أمهاتهم أعجيات في: البيان والتبيين ١/ ٧٢، ٢/ ٢١٠.

من حكايات اللحن إلى حكايات الوضع:

لعل فكرة ظهور اللحن تستدعى فكرة ظهور مقاومته، وإن كنا نستطيع القول في الوقت نفسه: إن فكرة إنشاء العلم تقتضى التفكير في سبب الإنشاء وهو مقاومة مظاهر اللحن. من هنا لا بد من تلازم النوعين بوجه ما. وأحد وجوه التلازم بين الأمرين كما أظهرته الحكاية هو تزامن ظهور اللحن مع ظهور العلم في وقت واحد. ويتجلى هذا مثلاً من خلال حكايات أبي الأسود مع ابنته أو مع علي رضى الله عنه التي سترد بعد قليل. ووجه آخر من التلازم تظهره الحكاية بتقديم ظهور أول مظهر من مظاهر اللحن قبل الإنشاء؛ ليتمكن بعد ذلك تصور نشأة العلم بعد تزايد تلك المظاهر والخوف من ازدياد شيوع اللحن والفساد بصورة مدمرة. ووجه ثالث أيضاً يفترض استمرار مظاهر الفساد واللحن في الزمن التالي، لتبقى أهمية العلم الذي يقاومه ويبقى منه مستمرة.

تنسب أكثر الحكايات شيوعاً في كتب التراث وفي كتابات الدارسين المحدثين، إنشاء علم النحو إلى أبي الأسود الدؤلى^(١٧)، إلى الحد الذي أصبح به ذكر أبي الأسود لا يرتبط في الأذهان إلا بنشأة النحو، مع أن حكايات آخر تنسب إليه إنجازات أخرى مهمة ومؤثرة في تاريخ العربية، كما سيأتى.

(١٧) ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، بيروت: دار الثقافة، سنة ١٩٦٤م (٦١٥/٢)، والسيرافى، أبو سعيد: أخبار النحويين البصريين، تحقيق محمد إبراهيم البنا، ط ١، دار الاعتصام، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (ص ٢٨)، والقفطى، أبو الحسن على بن يوسف: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار الفكر ومؤسسة الكتب الثقافية، سنة ١٤٠٦هـ (٧/١) وآل ياسين، محمد حسين: الدراسات اللغوية عند العرب، ط ١، بيروت: دار مكتبة الحياة، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م (ص ٥٧ - ٦٤). والقوزى، عوض حمد: المصطلح النحوى، منشورات جامعة الرياض عام ١٤٠١هـ (ص ٢٨ - ٣٠).

بعض حكايات أبي الأسود تحصر حادثة اللحن التي استثارت فيه الفلق والخوف من فساد العربية بينه وبين ابنته. وتأتى الروايات فى المصادر متقاربة المعنى وإن اختلفت الألفاظ، لكنها تتفق فى أن الحادثة تفضى إلى مباشرة وضع العلم حال وقوعها. يروى أنه دخل عليها مرة فقالت: يا أبت ما أشد الحر. فقال: شهر ناجر (أى: صفر). فقالت: يا أبت، إنما أخبرتكم ولم أسألك. فأتى على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين: ذهبت العرب لما خالطت العجم، وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل. فقال له: وما ذلك؟ فأخبره خبر ابنته. فأمره فاشترى صحفاً بدرهم، وأملى عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وهذا القول أول كتاب سيبويه. ثم رسم أصول النحو كلها، فنقلها النحويون وفرعوها^(١٨). وفى رواية أنها قالت له: يا أبت ما أحسن السماء. قال: أى بنية، نجومها. قالت: إنى لم أرد أى شىء منها أحسن، إنما تعجبت من حسنها. قال: إذاً فقولى: ما أحسن السماء. فحينئذ وضع كتاباً^(١٩). وفى رواية أخرى أنها قالت له: ما أشد الحر. قال: الحصباء بالرمضاء. قالت: إنما تعجبت من شدته. فقال: أو قد لحن الناس؟ فأخبر بذلك علياً، فأعطاه أصولاً بنى منها، وعمل من بعده عليها^(٢٠). أو أنها لما

(١٨) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، تحقيق سمير جابر، ط٢، بيروت: دار الفكر (٣٤٧/١٢)، ويتظر: السيوطى، عبد الرحمن بن أبى بكر: سبب وضع علم العربية، تحقيق مروان العطية، ط١، دمشق: دار الهجرة، سنة ١٩٨٨م، (ص ٤٢ - ٤٣). والمثل السائر ٣١/١.

(١٩) سبب وضع علم العربية ص ٥٣، وينظر ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، سنة ١٩٦٨م (٥٣٧/٢).

(٢٠) الذهبى، أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلم النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسسى، ط٩، بيروت: مؤسسة الرسالة، سن ١٤١٣هـ (٨٣/٤)، وابن الجوزى، أبو الفرج عبد الرحمن بن على: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم حتى سنة ٢٥٨هـ، تحقيق محمد ومصطفى عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م (٩٧/٦).

قالت: ما أشدُّ الحر، قال: الرمضاء في الهاجرة. فقالت: لم أرد ذلك، وإنما أخبرتك بما هو فيه الآن. قال: فقولى إذاً: ما أشدُّ الحر^(٢١). ويبدو أنه لما اشتهرت هذه الحكاية المشتملة على محادثة يخرج فيها اللحن التعجب مخرج الاستفهام جعلت بعض المصادر التي تروى القصة أول ما وضع أبو الأسود من أبواب النحو «باب التعجب». قال صاحب الإصابة في سبب إنشاء أبي الأسود علم النحو: «وكان الذي حدها على ذلك أن ابنته قالت له: يا أبت، ما أشدُّ الحر، وكان في شدة القيظ. فقال: ما نحن فيه. فقالت: إنما أردت أنه شديد. فقال: قولى: ما أشدُّ. فعمل باب التعجب»^(٢٢). وفي اللسان: «قالت ابنة أبي الأسود الدؤلى لأبيها في يوم شديد الحر: يا أبت ما أشدُّ الحر. قال: إذا كانت الصقعاء من فوقك والرمضاء من تحتك. فقالت: أردت أن الحر شديد. قال: فقولى: ما أشدُّ الحر. فحينئذ وضع باب التعجب»^(٢٣).

ومثلما كان على بن أبي طالب رضى الله عنه طرفاً في حكاية أبي الأسود مع ابنته على أكثر الروايات كان طرفاً أيضاً في حكايات آخر تحصر القلق على مصير العربية بين الرجلين، ومن ثم العمل معاً على التصدى للحن. نقل عنه أنه قال: «دخلت على أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه، فرأيتَه مطرقاً مفكراً. فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحناً، فأردت أن أصنع كتاباً في

(٢١) طبقات النحويين واللغويين ص ٨.

(٢٢) العسقلانى، أبو الفضل أحمد بن على: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق على محمد البجاوى، ط ١، بيروت: دار الجيل، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م (٥٦٢/٣). وانظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، بيروت: مكتبة المعارف (٣١٢/٨).

(٢٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر (مادة صقع).

أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة. ثم آتيته بعد ثلاث، فألقى إلى صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: الكلمة اسم وفعل وحرف. فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل. ثم قال: تتبعه وزد فيه ما وقع لك. وأعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر. وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر. قال أبو الأسود: فجمعت منه أشياء وعرضها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها إن وأن وليت ولعل وكأن، ولم أذكر لكن. فقال لي: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها. فقال: بل هي منها، فزدها فيها»^(٢٤).

على أن بعض الحكايات تجعل من أبي الأسود إما مبادراً إلى وضع العلم من عند نفسه، وإما نزولاً عند رغبة آخرين غير الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. يربط بعضها بينه وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعلى هذا يكون واضع العلم أبا الأسود بطلب من عمر. وقد قيل: إن عمر رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري: «أما بعد: فتفقهوا في الدين، وتعلموا السنة، وتفهموا العربية... وليعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب»^(٢٥). ويجعل بعضها الآخر عمل أبي الأسود تنفيذاً لرغبة عبد الله ابن عباس^(٢٦). كما قيل في بعضها أيضاً إن أبا الأسود كان يعلم أولاد زياد بن أبيه وهو والي العراقيين يومئذ، فجاءه يوماً وقال له: أصلح الله

(٢٤) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط ١، مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م (ص ١٨١).
(٢٥) إنباه الرواة ٥١/١. وينظر العقاد، عباس محمود؛ عبقرية عمر، ط ٥ (ص ٢٤٦).
(٢٦) ينظر: مراحل تطور الدرس النحوي ص ٣٩.

الأمير، إنى أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لى أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم؟ قال: لا. قال: فجاء رجل إلى زياد وقال: أصلح الله الأمير توفى أبانا وترك بنون. فقال زياد: توفى أبانا وترك بنون؟ ادعوا لى أبا الأسود. فلما حضر قال: ضع للناس الذى نهيتك أن تضع لهم^(٢٧). وحكى أيضاً أن رجلاً فارسياً سئل حين رأوه يقود فرسه: ما لك لا تركب؟ فقال: إن فرسى ضالع. فضحك به بعض من حضره. فقال أبو الأسود: هؤلاء الموالى قد رغبوا فى الإسلام ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة، فلو علمناهم الكلام. فوضع باب الفاعل والمفعول به ولم يزد عليه^(٢٨).

ومن دارسى العربية من أنكر نسبة وضع العلم إلى أبى الأسود أصلاً، لكنهم مقارنة بمن أثبت النسبة إليه قلة قليلة. فنسب بعض هؤلاء وضع العلم إلى على بن أبى طالب وحده، وبعضهم إلى عبد الله بن أبى إسحاق أو بعض تلامذة أبى الأسود، ومنهم: نصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، ويحيى بن يعمر^(٢٩).

حكايات التسمية:

يعلل التراث لتسمية العلم بـ «النحو» من داخل حكايات الوضع

(٢٧) وفيات الأعيان ٢/٥٣٦ - ٥٣٧.

(٢٨) سبب وضع علم العربية ص ٥٣ - ٥٤.

(٢٩) ينظر فى تفصيل أقوال القدماء والمحدثين فى أول من وضع النحو: الطنطاوى، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تعليق عبد العظيم الشناوى ومحمد كردى، ط ٢، سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م (ص ١٢ - ١٩)، والطنونى، محمد خير: المفصل فى تاريخ النحو العربى قبل سيبويه، ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة، سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م (٥٠ - ٦٥)، مراحل تطور الدرس النحوى ص ٣٥ - ٣٩ الدراسات اللغوية عند العرب ص ٥٧ - ٦٤، المصطلح النحوى ٢٦ - ٣٠، المدارس النحوية ص ١٣ - ٢٠.

نفسها. فتجيب الحكاية الواحدة أحياناً عن كل الأسئلة، وتفترض اكتمال العلم والعلة الداعية لوجوده والتسمية وعلتها وتزامن ذلك كله معاً، إذ تنص بعض المصادر التي تذكر علة وجود العلم وتصدى على رضى الله عنه وأبى الأسود للمعضلة على علة التسمية أيضاً؛ ذلك أن علياً أمر أبى الأسود بوضع شيء فى النحو لما سمع اللحن، فأراده أبو الأسود ما وضع. فقال على: ما أحسن هذا النحو الذى نحوت فمن ثم سمي نحواً^(٣٠). وفى الفهرست: أن أبى الأسود الدؤلى استأذن علياً رضى الله عنه، وقد ألقى عليه شيئاً من أصول النحو أن يصنع نحو ما صنع، فسمى ذلك نحواً^(٣١). وقيل أيضاً: إن أبى الأسود وضع وجوه العربية وقال للناس: انحوا نحوه، فسمى نحواً^(٣٢). وتشير حكاية أخرى تشرك ابن عباس فى فضل وضع النحو إلى أنه عرف العلم باسمه قبل أن يشرع أبو الأسود فى وضعه؛ إذ أتى أبو الأسود «عبد الله بن عباس رضى الله عنه فقال: إني أرى السنة الناس قد فسدت فأردت أن أضع شيئاً لهم يقومون به ألسنتهم. قال: لعلك تريد النحو، أما إنه حق، واستعن بسورة يوسف»^(٣٣).

على أن بعض الحكايات التي تجعل أبى الأسود يستجيب لحادثة اللحن فيضع العلم تتخذ مساراً آخر، إذ تجعله يستجيب لذلك بصورة أخرى غير وضع أبواب النحو، هى وضعه نقاط الحركات. من ذلك أن أبى الأسود

(٣٠) سير أعلام النبلاء ٨٢/٤. وينظر الذهبى، أبو عبد الله بن أحمد؛ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار معروف وآخرين، ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٠٤هـ (٦٠/١).

(٣١) النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق: الفهرست، بيروت: دار المعرفة، سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م (ص ٥٩).

(٣٢) لسان العرب (نحا).

(٣٣) إنباه الرواة ٥١/١.

«سمع قارئاً يقرأ ﴿ أَنْ اللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ (٣٤) فقال: ما ظننت أن أمر الناس قد صار إلى هذا. فقال لزياد الأمير: ابغنى كاتباً لقناً، فأتى به. فقال له أبو الأسود: إذا رأيتنى قد فتحت فمى فانقط نقطة تحت الحرف، فإذا أتبت شيئاً من ذلك غنةً فاجعل مكان النقطة نقطتين» (٣٥). وقيل: إنه أخذ النحو عن علي بن أبي طالب. وكان لا يخرج شيئاً أخذه عن علي رضي الله عنه إلى أحد حتى بعث إليه زياد: «أن أعمل شيئاً يكون للناس إماماً، ويعرف به كتاب الله»، فاستغفاه من ذلك حتى حصلت حادثة اللحن في الآية فعمل النقط. وتروى بعض المصادر أن زياداً لما استغفاه أبو الأسود وجه رجلاً، وقال له: أقعد في طريق أبي الأسود، فإذا مر بك فاقراً شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فيه. ففعل الرجل، ولما مر به أبو الأسود قرأ الآية السابقة ملحونة، فاستعظم ذلك أبو الأسود، واضطر لتحقيق رغبة زياد. ثم إنه طلب منه أن يرسل إليه ثلاثين رجلاً، واختار منهم واحداً لكي يضع معه نقط المحصف (٣٧).

ولكون استجابة أبي الأسود لحادثة اللحن بوضع الحركات، لا بالتبويب النحوي، أنسب في الظاهر وأكثر ملاءمة لسياق بعض الحكايات التي توردها، ولكونها أيضاً قد تبدو لأول وهلة أقرب إلى «طبيعة الأشياء» - بعبارة الدكتور شوقي ضيف - وأهون من تصور وضع علم من العلوم بالكامل، ذهب ضيف إلى أن أبا الأسود لم يضع النحو بل وضع النقط. والاشتباه الذي حصل لمن أشاروا إلى وضعه العلم إنما كان بسبب إشارة

(٣٤) من الآية ٣ من سورة التوبة.

(٣٥) سير أعلام النبلاء ٨٣/٤. وينظر الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد: المحكم في نقط المصاحف، تحقيق عزة حسن، ط ٢، دمشق: دار الفكر، سنة ١٤٠٧ هـ (ص ٦ - ٧).

(٣٦) الفهرست ص ٥٩.

(٣٧) انظر أخبار النحويين لابن أبي هاشم ص ٣٧ - ٣٩.

الرواة إلى أنه وضع «علم العربية» وهم يعنون بذلك أنه وضع نقط حركات الإعراب. فيكون بهذا علم العربية غير النحو، ويكون أبو الأسود تبعاً لهذا الاستنتاج واصل علم العربية وليس واصل النحو^(٣٨). غير أن البعيد عن «طبيعة الأشياء»، بل هو أبعد شيء عنها، أن يذهب التفكير بأبي الأسود في معضلة اللحن الشفوي إلى إيجاد حل كتابي؛ إذ لن يؤدي علمه هذا الذي اخترعه - على فرض صحة الاختراع - إلا إلى وقاية القراء من اللحن دون المتكلمين.

بوادر رفض الحكايات:

الملاحظ في البحوث والدراسات التي تناولت التاريخ لعلم النحو في عمومها أنها تركز إلى الحكايات ركناً شبيهة كامل وتسلم بصحتها في الأغلب. ومع هذا وجد من الدارسين من مال إلى عدم الأخذ بمضامين كثير من الحكايات والمرويات في المسألة، غير أن عمومهم ممن ضعف شيئاً مما روى أو أنكره لم يكونوا ينطلقون في التضعيف أو في الإنكار من كون مصدره حكاية فقط. فمثلاً نقل الدكتور عوض القوزي عن محمد سحلول قوله في رسالة علمية مقدمة إلى الأزهر: «والرواية التي تقول: إن عمر بن الخطاب هو الذي أمر أبا الأسود بوضع النحو، كما سجلها ابن الأنباري ذات خطأ تاريخي تحتاج إلى تصحيح». ولم يتبين القوزي وجه هذا الخطأ^(٣٩). والأرجح أن محمد سحلول إنما كان في إنكاره يوازن تاريخياً بين عهد خلافة عمر وما يمكن أن يشير إلى عجز أبي الأسود عن أداء المهمة، كصغر سنه مثلاً، وليس لسبب آخر فيما أرى.

(٣٨) المدارس النحوية ص ١٦.

(٣٩) المصطلح النحوي ص ٢٩.

على أن من الباحثين من أعلن الشك في المرويات والحكايات التي تنسب وضع العلم إلى أبي الأسود، أو الشك في بعض مضامين الروايات الواردة في هذا الباب فقط، على اختلاف واضح بينهم في قدر الشك، وفي منابع التردد في الأخذ بها أو بعض ما اشتملت عليه. فالباحثون الذين يثبتون نسبة الوضع إلى أبي الأسود وينافحون عن هذه النسبة أنفسهم ربما عارض بعضهم بعض مضامين الحكايات التي تبعد عن المعقول في ذكر أشياء لا يصح عقلاً وجودها في زمن بدايات العلم، كالمصطلحات العلمية (الفاعل والمفعول والتعجب والحروف الناسخة وتعريفات الاسم والفعل والحرف) التي لم تتضح تمام الوضوح في كتاب سيويه المتوفى بعده بنحو قرن^(٤٠). أما من يعلن منهم صراحة عدم القطع بشيء في الواضع، أو ينكر نسبة الوضع إلى أبي الأسود، فيستند كل منهم إلى مسوغ ما لذلك. فأحمد أمين مثلاً يشك في نسبة وضع العلم إلى أبي الأسود، وينطلق في ذلك من تضارب الروايات وتناقضها؛ إذ من الروايات ما ينسب وضع النحو إلى أبي الأسود، ومنها ما ينسبه إلى نصر بن عاصم، أو إلى ابن هرمز، أو إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ويرى أن قانون «النشوء والارتقاء» الطبيعي يوجب أن يسبق وضع الحركات وضع النحو، فيرجح تبعاً لذلك نسبة وضع الحركات إلى أبي الأسود فيما عرف بالنقط^(٤١). ويبدو أن شوقي ضيف تأثر بهذا الرأي كما اتضح مما تقدم، ويبدو أنه سمي «قانون اننشوء» الوارد في عبارة أمين بـ

(٤٠) مراحل تطور الدرس النحوي ص ٤٠.

(٤١) أمين، أحمد. ضحى الإسلام، ط٨، مكتبة النهضة المصرية (٢/ ٢٨٥). ويتضح هنا أن أحمد أمين يثبت حكاية أبي الأسود من حيث ينفياها؛ لأن مسوغ النفي عنده هو تضارب الحكايات وعدم استقرارها على واحد بعينه. فإذا لو اتفقت كلها في نسبة العلم إلى أبي الأسود لأخذ بها.

«طبائع الأشياء». وإلى سبب قريب إلى حد ما من هذا السبب يشك أيضاً إبراهيم مصطفى في هذه النسبة؛ إذ يوافق أحمد أمين في اقتضاء قانون النشوء نسبة نقط الحركات دون وضع النحو إلى أبي الأسود. ويضيف في استبعاد فكرة إنشاء أبي الأسود علم النحو عدم إشارة سيبويه إليه في الكتاب، مع أنه ينسب الآراء إلى الخليل ويونس وأبي العلاء بن عمرو والأخفش الأكبر وابن أبي إسحاق. فلما رأى سيبويه ينتهي إلى ابن أبي إسحاق ولا يرتفع إلى من سبقه، مع ما أثر في التراث من أنه أول من علل النحو ومد القياس، رجح أن يكون هو الواضع^(٤٢). ويتدرج الأمر في هذا السياق ببعض الباحثين إلى أن يقر بعضهم كالرافعي بأن «تأريخ وضع النحو لا سبيل إلى تحقيقه البتة»^(٤٣).

أما المستشرقون فهم الذين أعلنوا في صراحة ووضوح رفض الحكاية وعدم الركون إليها في القطع بشيء من مسائل تأريخ العلم، وإن عد بعض الباحثين العرب ذلك متهم، من قبيل التعصب ضد العرب والتنكر لجهود أبي الأسود وتلاميذه^(٤٤)، أو من قبيل إثبات أمر آخر ينفي الفضل للعرب بالسبق إلى اختراع العلم، هو تأثيرهم بالأمم الأخرى^(٤٥)، أو أن «هذا الرأي التشكيكي يلغي أثر القراءة القرآنية الأساسية في نشأة النحو»^(٤٦). ولعل أشهر من صرح من المستشرقين بأن حكايات أبي الأسود

(٤٢) مصطفى، إبراهيم، أول من وضع النحو. مقالة منشورة في مجلة كلية الآداب،

جامعة القاهرة، ع ١٠ (ص ٥ - ٦).

(٤٣) تاريخ آداب العرب ١/٣٢٥.

(٤٤) السابق ص ٢٩.

(٤٥) انظر مراحل تطور الدرس النحوي ص ٤٣ - ٤٤.

(٤٦) السابق ص ٢٤.

السالفة ما هي إلا من قبيل «الأساطير» بروكلمان^(٤٧). ومنهم أيضاً ركندورف، حيث «اعتبر القصص الوارد عنه ملفقاً وباطلاً، فقال: وليس حقاً ما يقال: إنه واضع أصول النحو العربي. أما القصص التي تروى عنه فليست مما يعلى قدره. ولكن يؤخذ من أشعاره أن بعض هذه القصص على الأقل قد أحكم تليفه»^(٤٨). وكذا يوهان فك في كتابه «العربية»^(٤٩)، ولشستر واضع مادة «نحو» في دائرة المعارف الإسلامية^(٥٠)، وفون كريمر^(٥١)، وكيس فرستيغ^(٥٢)، وروقائيل تالمون^(٥٣).

النشأة بلا حكاية:

ارتبط ما يغمض على الإنسان ويثير فيه قلق السؤال بسعيه إلى تفسيره، ولا سيما ما هو من الأمور مهم عنده مؤثر في حياته. وكثيراً ما تكون «الحكاية» هي الإجابة التي تريحه من عناء السؤال، وتكون بمثابة الملجأ الأخير له بعد حيرته وقلقه. وترتبط نشأة الظواهر وبدء وجودها

(٤٧) بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، ط٣، القاهرة: دار المعارف (١٢٣ / ٢).

(٤٨) المصطلح النحوي ص ٢٩.

(٤٩) فك، يوهان. العربية، ترجمة عبد الحليم النجار، دار الكتاب العربي، سنة ١٩٥١ م (ص ١٠).

(٥٠) مراحل تطور الدرس النحوي ص ٤٣.

(٥١) كريمر، فون. الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية، تعريب مصطفى بدر، دار الفكر العربي (ص ٩٠). وينظر المصطلح النحوي ص ٢٩، مراحل تطور الدرس النحوي ص ٤٣.

(٥٢) فرستيغ، كيس. اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة محمد الشرفاوى، ط ١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، سنة ٢٠٠٣ م (ص ٨٠ - ٨١).

(53) Talmon, Rafael (1985), "Who was the first Arab grammarian? A new approach to an old problem". SHAGI, PP. 128 - 129.

بصفة خاصة بالحكاية التي تحكى ذلك البدء وتصفه، ربما لأن زمن البدايات ماضٍ بعيد عن الإنسان لا يستطيع الوقوف عليه، ولا طريق إلى حله وجلاء غوامضه إلا بها. وحكاية البدء هذه تحديداً هي ما يسمى فى علوم السرد الحديثة بـ «الأسطورة»، تمييزاً لها مفهوماً عن أنواع أخرى من السرد تختلف من حيث الشكل أو المضمون أو الخصائص الصنفية، فتختلف لذلك فى التسمية الاصطلاحية^(٥٤). والأسطورة من حيث هي حكاية تفسير، وحكاية بدء ونشأة «كانت تقوم بوظيفة مماثلة لتلك التى أصبح يقوم بها العلم بعد ذلك. وكانت هي الوسيلة الطبيعية لتفسير الظواهر فى العصر السابق على ظهور العلم»^(٥٥). وغالباً ما تكون الأسطورة المفسرة تتماشى فى بنيتها وتركيبها مع غايات الإنسان محققة لأمانيه، وتسير مع تصوره هو عن طبيعة الشيء أو الظاهرة التى تفسرها أسطورته التى صنعها.

أسئلة النشأة كلها لا يمكن أن تجيب عنها الحكاية وحدها إجابة علمية يتكأ عليها منهجياً؛ لأن القصة التى تحكى عن أية نشأة إنما تحكى بعد زمن النشأة لا فى الزمن نفسه، ولا تحكى إلا بشروط زمن إنتاج

(٥٤) ويفرق الدارسون اليوم مصطلحياً بين الأسطورة والخرافة وحكايات العجيب والغريب وغيرها بتمييز الأسطورة بخصائص منها: أنها حكاية تفسير، وأنها حكاية بدء ونشأة. ينظر إلياد، مرسيا. مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، ط١، دار كنعان للدراسات والنشر، سنة ١٩٩١م (ص ١٠)، ويريست، جون فى: الأسطورة والحلم فى الكتاب المقدس العبرى، ترجمة نذير جزمانى، منشور ضمن كتاب (الأساطير والأحلام والدين) تحرير جوزيف كامبل، ط١، دمشق: دار الكلمة ودار الشفيق، سنة ٢٠٠١م (ص٤٧-٥٠)، وينظر أيضاً: مبحث الأسطورة والخرافة من كتاب التفكير العلمى لفؤاد زكريا، ط٣، الكويت: منشورات ذات السلاسل، سنة ١٩٨٩م (ص ٦٧).

(٥٥) التفكير العلمى ص ٦٧.

الحكاية لا بشروط زمن النشأة، ولذلك لا بد أن تكون «أسطورة» بالضرورة. وعند النظر في بنية حكايات نشأة النحو، كما هو الحال في حكايات نشأة أى شىء آخر، لا بد أن تتجلى أمارات الأسطورية فيها. وأظهر أمارات الأسطورية في حكايات نشأة النحو أنها لا تظهر إلا حال النحو بعد اكتماله علماً وبعد أن نضج واستوى، لا حال الزمن الذى نشأ فيه أو الذى سبقه.

من بين أهم ما استقر فى أذهان المشتغلين بالنحو والمتصلين به بصورة جلية واضحة وقت ظهور الحكاية - ولا بد بالضرورة أن يكون أحد أهم الأمور التى تجلت فى بنيتها؛ لأنه مما أسهم فى إنتاجها على صورتها التى ظهرت بها - غرض النحو الأساسى الذى وجد لأجله وهو صيانة اللسان من الخطأ واللحن. وتجلت لذلك حكاية اللحن فى حكاية الوضع ولازمتها وامتزجت بها. هذا مع أن أغراض أى علم لا يمكن عقلاً أن تقوم فى ذهن أحد من الناس قبل أن يوجد ثم يسارع فى الحال إلى اختراعه وإنشائه ليحقق ذلك الغرض. ثم فضلاً عن ذلك كله ليس غرض النحو شيئاً من الصيانة المزعومة، ولم يقم العلم، بل لا يعقل أن يكون قد قام، لمقاومة اللحن أصلاً؛ لأن ذلك مما تنفيه طبيعة نشوء العلوم كافة، وليس النحو بدعاً من بينها. ذلك أن العلوم كلها إنما تنشأ من نظرات متفرقة متأملة فى الظاهرة وفى أسرار نظامها بدافع الاكتشاف والمعرفة، بقطع النظر عما يحققه العلم فى المستقبل من منافع بعد أن يكتمل على صورة ما غيبية مجهولة لا علم لأحد بها فى زمن البدايات وفى أوائل أزمان التأملات^(٥٦). وتمضى أزمان متعاقبة من النظرات والتأملات لا

(٥٦) يستبعد بعض الباحثين أن يكون قد انحل نظام اللغة وفسدت الألسنة - مما استدعى إنشاء علم يقاوم الفساد - بهذه السرعة وفى فترة لا تتجاوز ثلاثين سنة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: المزينى، حمزة بن قيلان. التحيز اللغوى وقضايا أخرى، ط ١، سلسلة كتاب الرياض، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م (ص ٥٢).

يرى أحد صورة العلم وملامحه مكتملة ولا ناقصة، ولا قدرة لأحد على معرفة تلك الملامح التي سيكتب لها الظهور إن تتابعت الجهود وتراكت وتنامت، وسيقضى عليها إن لم يكتب لها ذلك، دون أن يعلم أحد ماذا كان سيحدث لو تتابعت أو نمت.

ومن ملامح أسطورية الحكاية أنها أشاعت في بنيتها التي نهضت عليها بين عدد من الناس معرفة مسبقة لغاية العلم قبل إنشائه - فضلاً عن تصور العلم وأبوابه ومصطلحاته - بما يشعر أنها تكاد تكون معرفة مشاعة، وأنه لا يستنكر أن يعرف عدد منهم في مكان واحد وزمان واحد مدى الحاجة لعلم ما من العلوم ويعقدون العزم على إنشائه، أو يكلفون من أرادوا بالقيام به. ولو جعلته شيئاً خاصاً ينبئ عن عبقرية وقدرة فذة عند شخص واحد، لربما سايرناها في ذلك - ولو جدلاً - فنضفى على أبي الأسود أو على بن أبي طالب قدرات ليست لأحد. كما أشعرت بشيوع ما يشبه اليقين الجازم المسبق بجدوى ما يكتبه رجل واحد في بيئة يعلم من أحوالها في ذلك الوقت أنها أمية لا تقرأ، ومنعزلة لا سبيل إلى انتشار ما يكتبه ذلك الشخص. بل إن ما يكتبه سيكون بحسب منطق الحكاية مؤثراً بالغ التأثير فيقاوم اللحن الذي جاء نتيجة مخالطة العرب للعجم فأفسد ألسنتهم. أو أنها علمت أن التأثير سيكون بتبني هذا المشروع وسيلتف حوله أعداد كبيرة من الناس وحلقات درس وغير ذلك مما حصل بعد.

لقد صار من الثابت اليوم بين المشتغلين بالفكر العلمي أن توهم إمكان تصور الغاية من الشيء قبل وجوده ومن الظاهرة قبل حدوثها سمة من سمات العقل غير العلمي. يقول فؤاد زكريا في التفكير العلمي: «وأما الغاية فلا يأتي دورها إلا بعد أن يتم إيجاد الشيء أو الظاهرة بالفعل... وكان من المستحيل أن يقوم علم حقيقي في ظل التصور الغائي للطبيعة؛

لأنه يصرف الأنظار عن كشف الأسباب الحقيقية، ويوجهها نحو طبع الصورة البشرية على أحداث الطبيعة... لذلك كان من الطبيعي أن تستبعد الأسباب الغائية، من مجال البحث العلمي»^(٥٧). بل لقد أثبت المشتغلون بالعلم أيضاً أن التفسير الغائي للظواهر حتى بعد وجودها يصرف النظر عن تصور طبيعتها على حقيقته، فالأجرام السماوية القائمة المشاهدة كالشمس والقمر والنجوم ونحوها قد يذهب العقل الأسطوري إلى طمس المعرفة بها إذا ربط حقائقها بغاياتها فقط؛ إذ يمكن أن يفسر شخص ما وجود الشمس بأنها لتدفيء جسمه، والقمر ليضيء طريقه وهو سائر بالليل، والنجوم ليهتدى بها فلا يضل، ونحو ذلك. في حين هو يتكلم في حقيقة الأمر عن طرق استثماره للظواهر الطبيعية الموجودة لحل مشكلاته والانتفاع بها في حياته. وهذه صورة تكاد تنطبق على كثير ممن يتكلمون عن علم النحو من خلال استثماره بعد وجوده في تجنب الخطأ واللحن ومعرفة الصواب والخطأ بتعلمه وحذقه، ويظنون أنهم يتكلمون عن النحو وطبيعته، وأنه إنما وجد لصيانة اللسان من اللحن ولمعرفة الصواب والخطأ في حين أنه ليس كذلك^(٥٨). وتبعاً لذلك أمكن تصور وجود العلم ونشأته

(٥٧) السابق ص ٤٥.

(٥٨) أدرك عدد من الدارسين العرب والمستعربين أن علم النحو العربي لم يرق أبداً في بداياته الأولى على أيدي علمائه الكبار كالخليل وسيبويه على مبدأ معياري لمعالجة الصواب والخطأ في اللغة. بل كان في صورته تلك بعد نهوضه واكتمال أركانه كما يظهر في أول كتاب فيه (كتاب سيبويه) تحليلاً دقيقاً للنظام الذهني اللغوي ومعرفة العربي للغة. ينظر: المزيني، حمزة. مراجعات لسانية (الجزء الثاني)، كتاب الرياض، العدد ٧٥ - فبراير ٢٠٠٠م (ص ٣٠٣). وينظر ص ٣٠٦ فما بعدها. والمزيني، حمزة. مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٥٣ - ذو القعدة ١٤١٧هـ ربيع الآخر ١٤١٨هـ (ص ٥١-٤٢). وانظر المقارنة التي عقدها «أوين» بين فكرة العامل في النحو ومدرسة التعلق الحديثة ص ٤٣. وانظر بصفة خاصة منهج سيبويه كما يراه «أوين» مقارنة بالمدرسة البنوية الأمريكية في الثلاثينيات والأربعينيات ص ٤٩. وعباد، شكري. قراءة أسلوبية في كتاب سيبويه. منشور ضمن وقائع مؤتمر قراءة التراث النقدي في كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) عن نادي جدة الأدبي، سنة ١٤٠٩هـ (١٠٤/٢).

رد فعل لحادثة لحن يستوجب حدوثها نشأته ووجوده . لذا يمكن القول: إن تصور منتجى الحكاية لطبيعة علم النحو من خلال غاياته القائمة فى أذهانهم كان عنصراً مهيمناً على البنية التركيبية للحكاية ومحددأ لصورتها الذى ظهرت به على النحو الموصوف أنفأ. وجاءت الحكاية (الأسطورة) متماشية مع غايات حاكيها محققة لأمانيه كما هو حال كل أسطورة .

غير أن فى قضية (الحكاية/ الأسطورة) هذه جانباً آخر هو أنها كما صبغت تصورات واضعيها عن علم النحو من خلال غاياته كما وصفنا، صبغت هى تصورات متلقيها عن طبيعة علم النحو من خلال غاياته. أى أن المتلقين أصبحوا يعرفون النحو من خلال الحكاية بعد على أساس أنه علم صيانة اللسان من اللحن، لا أنه علم تحليل الظاهرة اللغوية ومعرفة النظام اللغوى القائم فى عقول الجماعة. فأصبحت بذلك الحكاية بالغة الأثر فى بلورة التصورات عن العلم نفسه. وعلى هذا تكون هنا كما أنها «مؤسسة» بناء على تصور معين لمفهوم النحو هى أيضاً «مؤسسة»^(٥٩) للمفهوم فى الوقت نفسه.

(٥٩) فى التراث العربى حكايات نشأة غزيرة شبيهة بحكايات وضع علم النحو لا تكاد تقع تحت حصر. يمكن أن نسميها جميعاً بـ «الحكايات المؤسسة»، تسهم فى بلورة التصورات عن المفاهيم التى تصف هذه الحكايات نشأتها عند متلقى الحكاية، بحيث لا يذهب متلقى الحكاية إلى تعديل فهمه أو تصوراته عن هذه المفاهيم بسبب تثبيت الحكاية للمفهوم على صورة ما معينة. هذا مع أنه ما أملى الحكاية على حالها المحكية هى بها إلا فهم ما لصورة المفهوم قام فى ذهن الحاكي؛ فهى إذا مؤسسة ومؤسسة فى آن معاً. وقد قاربنا ظاهرة «الحكاية المؤسسة» فى التراث فى مقالة منشورة بجريدة الرياض. انظر: الغامدى، محمد ربيع. الحكاية المؤسسة، ملحق ثقافة اليوم، جريدة الرياض، العدد (١٣٢٧١) فى ٧ رمضان عام ١٤٢٥هـ، والعدد (١٣٢٧٨) فى ١٤ رمضان عام ١٤٢٥هـ.

وفى الحكاية - خلاف ما مر من «الغائية» المتحدّث عنها فيما سبق - من المظاهر ما يوضح بجلاء الأسطورية فيها، ويقوى القول بأنها لا تظهر إلا ما استقر في أذهان الدارسين عن علم النحو في العصور المتأخرة بعد نشأته بسنوات طوال^(٦٠). من ذلك أن الدلالة المشتركة في عبارة واحدة للتعجب والاستفهام، بحيث لا يفرق بين الدالتين إلا حركة الإعراب وحدها، مما شاع واشتهر في كتب النحو المتأخرة عند الحديث عن أهمية الإعراب وإيضاح المعنى به. ويمثلون غالباً لذلك بمثال شبيه بما ورد في الحكاية^(٦١)؛ ذلك لأن النحو في صورته المستقرة المتأخرة لم

(٦٠) يمكن النظر من هذه الزاوية إلى ما حكى في الزمن المتأخر عن النحو وعن غيره بحيث يرى أطرافاً مما استقر في الأذهان عن المحكى عنه. من ذلك مثلاً ما يعكس ما استقر عند الناس من استبدال علماء النحو بعلم صعب اللغة والمصطلح، وأنه صار صناعة لا يجيدها إلا فئة قليلة هم النحاة، فأنتج ذلك ما يحكى عن بعضهم، كالفراء وغيره، من تعمد إخفاء العلم وإحاطته بلغة صعبة للاسترزاق به.

(٦١) يمثل النحاة بعدد من الأمثلة المصنوعة لخروج معنى العبارة من حال إلى حال بتغيير العلامة الإعرابية فيها. ويمثلون لذلك غالباً بقوله: «لا تأكل السمك وتشرب اللبن؛ بفتح باء (تشرب) وضمها وكسرها؛ لاشتراك الواو بين العطف والمعية والاستئناف. ويمثلون أيضاً بـ «ما أحسن زيد، وما أحسن زيد، وما أحسن زيداً؛ بسبب اشتراك (ما) بين النفي والاستفهام والتعجب وغير ذلك. وترد هذه المسائل في سياق قية الجواز النحوي واشتراك الألفاظ ومن ثم الحاجة إلى العلامة الإعرابية لتعيين المعنى؛ لأنها الأمثلة التي ينطبق عليها تماماً هذا الأمر. انظر: الطلحي، مراجع عبد القادر بالقاسم. الجواز النحوي ودلالة الإعراب على المعنى، منشورات جامعة قاريونس بليبيا (ص ٥٣٤ - ٥٣٥). وكذا يوردون من الآيات ما يمكن أن يؤدي تغيير الحركات فيه إلى خطأ كبير يخشى من أن يؤدي إلى الكفر أو الشرك نحو ما ورد في الحكاية وهو قوله تعالى «إن الله برىء من المشركين ورسوله، وقوله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء». وهذه مواطن مغرية بإنتاج حكايات تظهر أهمية المعرفة بها. ويمكن هنا أن نستحضر مثلاً ما يحكى عن مناظرة الكسائي وأبي يوسف القاضي عند هارون الرشيد في الفرق بين اعتراف المتهم بقوله (أنا قاتل غلامك) بالإضافة وقوله (أنا قاتل غلامك) بالتنوين، وما يترتب على ذلك من أحكام قضائية غفل عنها القاضي لجهله بالنحو وعرفها النحوي.

يُدرج النعمة الشفوية الفارقة بين أسلوبى الاستفهام والتعجب (التنغيم)، واعتمد في تحليله العبارات والنماذج اللغوية المختلفة على الحركات الإعرابية فقط. هذا في حين أن حكاية أبى الأسود مع ابنته لو افترضنا صحة حدوثها ونقلها بعد لن تتجاهل النعمة الفارقة بكل تأكيد.

ومن ذلك أيضاً ما مر سلفاً من وقوف بعض الباحثين عند استقرار المصطلحات والحدود والتقسيمات والاسم الاصطلاحي للعلم في الحكاية في حين أنها لم تتضح وتستقر بعد عصر الحكاية بسنين طويلة. لكن الملاحظة الجديرة بالعناية هنا هي ملاحظة أباها الدكتور صاحب أبو جناح في مصطلحى الفاعل والمفعول الواردين في الحكاية بقوله: «أليست كتب النحويين المتأخرين التي اعتادت أن تبدأ بالمرفوعات ثم المنصوبات هي التي أوحى لواضعى الخبر بأن أبا الأسود بدأ بباب الفاعل ثم المفعول حين شرع في التفكير في وضع النحو؟»^(٦٢). وتتبع الباحث أيضاً تناقضات أخرى من نحو إيراد الحكايات أخطاء في المفردات، وهو ما يتعارض مع اقتضاء اختراع علم يدرس التراكيب، ومن غير ذلك^(٦٣). ولا أرى داعياً لتتبع الغرائب والمتناقضات في الحكاية؛ لأن كل ما فيها غريب متناقض بالضرورة كما مر. منه ما يتعلق ببناء الحكاية الذى به لا تكون إلا مجرد حكاية للإمتاع والمؤانسة، لا أنها جزء من التأريخ المنهجي للعلم. كأن نسأل مثلاً عن نقل إلى الناس هذه المحادثة الخاصة التى جرت بين ابنة وأبيها، ومتى أصبحت هذه المحادثة ذات جدوى وعبرة وصلة بالعلم بحيث تستحق أن تتذكر فلا تندثر بين محادثات الرجل وأهل بيته على طول الزمان؛ لأن ذلك لن يحصل بالضرورة إلا

(٦٢) أبو جناح، صاحب: دراسات في نظرية النحو العربى وتطبيقاتها، ط ١، عمان: دار

الفكر للطباعة والنشر وتوزيع، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م (ص ٩).

(٦٣) السابق ص ٩ - ١٩.

بعد اكتمال العلم وتبلور صورته ومفهومه في الأذهان، ومن ثم تتضح جدوى الربط بين الحادثة والعلم. ومنه ما يحتمل في دلالاته أن يكون قد أمله فقط عصبية مذهبية تحاول نسبة إنجاز إنشاء العلم إلى أشخاص بأعيانهم أو طوائف معينة^(٦٤).

من هنا لا بد أن تزول الغرابة ويبطل العجب من وجود المتناقضات التي حار في الخروج منها الدارسون. إذ إن أكثرهم قد استسلم للحكاية، وربما وقف فقط عند بعض الغرائب والمتناقضات فيها حائراً في حلها. وكان يمكن للغرائب وعدم المعقولية في حكايات نشأة النحو التي لا بد منها بالضرورة أن تحل بمعرفة السر في حدوثها جملة لا تفصيلاً. ومن المدهش حقاً للمتأمل في موقف الباحثين من هذه العجائب والغرائب أن بعضهم يقف عندها وقوفاً يسيراً لا يكاد يجدي، يسائل الجزئيات دون الكليات. ومنهم من مر بها سريعاً دون وقوف. هذا إلى عدد كثير جداً من الدارسين الذين ربما استولت عليهم متعة القص واستغرقتهم لذته عن التأمل فيه^(٦٥)، أو أنهم لا يرون إلى رد ما أثار في التراث سبيلاً.

(٦٤) تناول بعض الدارسين الشك في الحكايات التي تنسب الفضل في وضع العلم إلى أبي الأسود أو علي بن أبي طالب رضي الله عنه من هذه الزاوية. ينظر مثلاً قول شوقي ضيف: إن هذا الأمر ربما يكون الدافع إليه نسبة الفضل إلى شيعي متقدم، في المدارس النحوية ص ١٦، ورد محمد آل ياسين عليه في الدراسات اللغوية عند العرب ص ٦٤. وأمر آخر تجد الإشارة إليه في هذا السياق هو أن الحكاية جديرة بتأمل جوانب فيها تعكس نفسيات حاكيها ومتناقليها كمنظرتهم لغير العرب ممن يسمون فيها بالأعاجم أو الحمراء، ومفاهيم أخرى كطبيعة اللغة والفصاحة والموقف من السلطة ومن بعض الرموز ونحو ذلك.

(٦٥) من اللافت أن مبحث تأريخ النحو على وجه الخصوص تحول في الدراسات العربية إلى ما يشبه التسلية وترجية الوقت بالظرف والحكايات الطريفة، فمباحثه في أكثر الكتب التي تعرضه تكاد تكون استراحة من عناء الجد في قراءة المسائل والقضايا الجافة الأخرى. انظر مثلاً: مبحث الاحتجاج في كتاب سعيد الأفغاني، في أصول النحو، بيروت: المكتب الإسلامي، سنة ١٤٠٧ هـ (ص ٦ - ١٥)، وانظر بصفة خاصة قوله في ص ١٣ عن حكاية مسلمية من التي تحكى في نشأة النحو: «ولا بأس في إيرادها ففيها طرافة وفيها ظرف».

وبعد فإن السؤال الجدير بأن يسأل الآن: هل يمكن بحث نشأة العلم بعيداً عن الحكاية وبلا ضغط منها؟ تقتضى الإجابة عن هذا السؤال الإقرار أولاً بأن بعض أحاديث النشأة فى العموم لا كلها ينبغى أن يعد من فلسفة العلوم لا من العلم، ولا سيما فى الظواهر التى وجدت ولا سبيل إلى وجود آخر لها أو لمثلها. وذلك مثل حديث نشأة ظاهرة «اللغة» على سبيل المثال؛ إذ أخرجها علماء اللغة اليوم من البحث اللغوى العلمى بعد أن كانت فى الماضى جزءاً منه إلى فلسفة اللغة^(٦٦). أما تأريخ العلوم عامة وتأريخ علم النحو خاصة فيشترك مع بحوث نشأة الظواهر فى أشياء ويختلف عنها فى أشياء أخرى. ويقتضى البحث العلمى المنهجى الوعى بالمشتركات والمختلفات.

يشترك تأريخ العلم مع تأريخ نشأة الظواهر، فيعد لذلك غائباً مجهولاً، فى غياب الملاحظات والنظرات الأولى التى كونته حتى أصبح مكتوباً مسجلاً فى مصادر العلم الأولى. فبالضرورة لا بد أن يكون ما قبل أول وثيقة مسجلة فى العلم مجهولاً، عدا دلالة ما تنص عليه الوثيقة الأولى من نقول ومقولات شفوية يمكن استنتاج ملامح مرحلة ما من العلم منها. ولهذا يمكن القول إن الوثيقة الأولى فى علم النحو هى كتاب سيبويه. ويمكن بناء على ما فى كتاب سيبويه من أقوال ونقول عن سابقه

(٦٦) ينظر: أنيس، إبراهيم. دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤، سنة ١٩٨٠م (ص، ١٣). وعبد التواب، رمضان. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م (س ١٠٩ - ١٢٤). ويلحظ أن بحث نشأة اللغة انحصر فى فرضيات، إما تخمينية بحتة، وإما بدلال مستنتجة من وثائق ونقوش، وإما بمقارنة ظواهر لغوية عرفت مظاهر بعض مراحلها، وإما مقيسة على وجوه شبه فى ظواهر أخرى كلغة الأطفال مثلاً، وهكذا.

أن نقبل منهجياً من أى باحث أن يستنتج ما يرى بعقله وما يوصله إليه
اجتهاده أن الأقوال والنقول تلك تدل عليه، وبناء على ذلك يرسم ملامح
علم نحو ما قبل سيبويه. ولهذا نتفهم من حيث المبدأ رأى إبراهيم
مصطفى الذى يستند فيه إلى أعلى من ذكر فى كتاب سيبويه، وهو ابن
أبى إسحاق، دون أن نلزم أنفسنا بالأخذ به على إطلاقه.

أما ما يختلف به حديث نشأة العلوم عن أحاديث النشأة الأخرى فهو
أن له نظائر من العلوم التى لا تتوقف عن النشأة والتفرع واندثار بعضها
وحلول علوم أخرى بديلة منها وهكذا. وهنا لابد أن نقيس كيفيات النشأة
الأولى لأحدها على نشوء غيره مما نشأ وترعرع تحت أعيننا أو فى
الوقت القريب منا. وأن نقيس المقبول منها على ما يقبل فى غيره ونرد ما
يرد فى غيره. ولذا نستطيع القول: إن تجربة نشأة العلوم التى نعرفها
تنفى أن يعزم فرد أو جماعة على إنشاء علم من العدم لتحقيق غرض ما
قائم فى الذهن وقتذاك. ولا ضرورة فى هذه الحال أن نلجأ فى عصر العلم
إلى الحكايات والأساطير لإثبات شىء من ذلك أو نفيه.

التقابل الدلالي

«دراسة نظرية تطبيقية في سورة النساء»

د. نوال بنت إبراهيم بن محمد الحلوة

الأستاذ المساعد في كلية التربية

قسم اللغة العربية - الرياض

المقدمة :

اتفق جمهور اللغويين على تقسيم علم الدلالة إلى فرعين (علم الدلالة المصغر) ويدرس المفردة ، و(علم الدلالة الموسع) ويدرس العلاقات الدلالية، والتي تعد من أهم النظريات الجديدة في علم الدلالة البنيوي ، حيث تقوم على دراسة أنواع العلاقات التي تنشأ بين الكلمات بعضها بعضاً داخل الوحدة اللغوية ، وهي (الترادف والتقابل الدلالي والتنافر والتكرار والتضمين) ، ومن خلال هذه العلاقات تكون نقطة الالتقاء بين علم الدلالة وعلم التركيب^(١) .

وبهذا نجد أن التقابل الدلالي ظاهرة لغوية مميزة مثلها مثل (الترادف ، والمشارك ، والتضاد) إلا أن الدارسين اللغويين قد غفلوا عنها وتناسوها .

ويرى اللغويون المحدثون أن التقابل متمم للترادف ويقرون بأنه ظاهرة لغوية ، منظمة وطبيعية ، إلا أن الوصف الشامل المرضي لها لم يولد بعد ،

(١) الإسلوبية وعلم الدلالة ، ستيفن أولمان : ٤٥ ، تح : محي الدين محب ، مصر ، المنيا ، دار

الهدى للنشر والتوزيع ، ت ٢٠٠١ م .

فلا يزال هذا الباب مغلقاً ؛ لعدم وضوح الرؤية فيه بسبب انصراف اللغويين عنه^(١) .

والتأمل في سورة النساء لا بد أن تستوقفه تلك الحركة اللغوية والأسلوبية التي يموج بها النص ، ولا بد أن يسترعيه ذلك الجمال اللفظي الذي لا هو بالشعر ولا هو بالثر ؛ بل هو نسق وحده جمع بين جمال هذا وذاك ، وإذا انتهيت من ذلك يقابلك التكرار الذي امتلأت به السورة فلا يؤدي بك إلى زيادة حشو ؛ بل إلى تضاد وتغاير من جانب ، وإيجاز وإعجاز من جانب آخر .

ثم إذا تتبعت سير ذلك كله تجد أن التقابل الدلالي قد تلبس النص بكامله لفظاً ومعنى ، وحبكت السورة منه فأصبحت به نسجاً متحدداً .

ولا يقف جمال التقابل الدلالي على الصورة اللفظية ؛ بل له قيمته المعنوية في النص ، حيث تجد تلك الحركة العقلية العنيفة في نظم من المفردات والجمل المتقابلة ، تتقارب ثم تتباعد في عرض حركي سريع ومتميز بني على قوة إدراك العقل للشيء بضده ، فأنتج بذلك قوالب لفظية جميلة .

وذلك كله يثبت أن التقابل الدلالي يشكل ظاهرة لغوية أسلوبية مميزة في سورة النساء ؛ بل ويعد أحد طرق العرض الرئيسة ، ووسيلة من وسائل الإقناع والاحتجاج التي استخدمها القرآن الكريم ، حيث سيدرك المتبع للسورة أن التقابل الدلالي فيها قد جمع بين قوة الإقناع العقلي ، وجمال الإمتاع اللفظي ؛ لذا كان جديراً بالدراسة والنظر ؛ حيث إن موضوع البحث هو «التقابل الدلالي دراسة نظرية تطبيقية في سورة النساء» ، أما مجال البحث فهو علم الدلالة التركيبي ، ونظرية العلاقات الدلالية ، أما المنهج المتبع في البحث فهو المنهج

(١) مدخل إلى علم الدلالة ، فرانك بالمر : ١٤٤ ، علم الدلالة ، جون لاينز : ٩٥ .

الوصفي التحليلي ، وبالرغم من ندرة البحث الدلالي التطبيقي العربي ، فإنني قد حاولت البحث في دراسات سابقة لغوية جادة في هذا الموضوع ، فلم أعر على ما هو جدير بالتسجيل ، هذا وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول .

أما المقدمة فأشرت فيها إلى أهمية البحث ومنهجه ومصادره أما التمهيد فركز على تفسير «التقابل الدلالي لغة واصطلاحاً» ، ثم جاءت المباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : التقابل الدلالي في التراث العربي .

المبحث الثاني : التقابل الدلالي في الدرس اللغوي الحديث .

المبحث الثالث : التقابل الدلالي «دراسة تطبيقية في سورة النساء» .

ثم الخاتمة ويليه خلاصة البحث ثم مسرد المصادر والمراجع .

التمهيد

التقابل الدلالي لغة واصطلاحاً:

في اللغة:

عند الخليل ت ١٥٧ هـ: «تقول لقيته قبلاً : أي مُوَجَّهَةً ، والمقَابَلَةُ : إذا ضمنت شيئاً إلى شيء . تقول : قَابَلْتُهُ بِهِ»^(١) .

عند ابن فارس ت ٣٩٥ هـ: «القاف ، والباء ، واللام» : أصلٌ صحيحٌ ؛ تدل الكلمة كُلُّهَا على مُوَجَّهَةِ الشيءِ للشيءِ ، وَيَتَفَرَّعُ بعد ذلك»^(٢) .

عند الجوهري ت ٤٠٠ هـ: المُقَابَلَةُ : المُوَجَّهَةُ ، وَالتَّقَابُلُ مثله ، ومُقَابَلَةُ الكتابِ : مُعَارَضَتُهُ^(٣) .

عند ابن منظور ت ٧١١ هـ: «المقابلة : المواجهة ، والتقابل مثله»^(٤) .

في الاصطلاح:

يتوارد في التقابل الدلالي عدة مصطلحات قديمة وحديثة ، فلعل أول من تحدث عنه هو أرسطو وسماه (بالأضداد) و(المتضادات) و(المقابلة) فالتفكير بلغة التضاد والمقابلة وسيلة من وسائل المنطق عنده^(٥) .

(١) العين (ق. ب. ل) .

(٢) مقاييس اللغة : (ق. ب. ل) ، تح : عبد السلام هارون ، مصر ، مكتبة الخاني ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ.

(٣) الصحاح (ق. ب. ل) ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، لبنان ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ .

(٤) اللسان (ق. ب. ل) ، بيروت ، دار صادر .

(٥) الخطابة لأرسطو طاليس : ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٥٣ ، ١٦٢ ، تح : عبد الرحمن بدوي ، الكويت وكالة المطبوعات ، بيروت دار القلم .

- ثم تلاه من العرب عبد الله بن المعتز ت ٢٩٩ هـ وسماه بالمطابقة واستخرج الباب كله من كلام العرب ؛ من القرآن والنثر والشعر^(١) .
- وجاء بعده قدامه بن جعفر ت ٣٣٧ وسماه بالمقابلة ؛ لتأثره بالثقافة اليونانية ونقله عنها ، حتى إنه اعترض على مصطلح المطابقة ؛ لأن المطابقة في اللغة تعني الماثلة والمساواة ، فالأخلق عنده أن تسمى بـ (المقابلة) لأن الضدين يتقابلان ، ولا يتساويان ولا يتمثلان ؛ كالسواد والبياض ، والحركة والسكون^(٢) .
- ثم جاء ابن رشيقي القيرواني ت ٣٩٠ هـ واستخدم المصطلحين معاً (الطباق) و(المقابلة) وفرق بينهما على النحو التالي :
 - ١ - الطباق يقع بين الضدين فقط ؛ أما المقابلة فتقع بين الضدين والمتخالفين .
 - ٢ - الطباق يكون بين مفردتين متضادتين ؛ أما المقابلة فتقع فيما فوق ذلك^(٣) .
- أما القزويني ت ٧٣٩ هـ فتواردت لديه أربعة مصطلحات للتقابل : (المطابقة، الطباق، التضاد، المقابلة) ، وتبع من سبقه في التفريق بين الطباق والمقابلة^(٤) .
- ويردُ عند العلوي ت ٧٤٩ هـ خمسة مصطلحات للتقابل «التطبيق،

(١) البديع لابن المعتز : ١٢٤ ، تح د. محمد خفاجي ، بيروت ، دار الجليل .

(٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر : ١٣٣ ، تح : كمال مصطفى ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .

(٣) العمدة لابن رشيقي : ٥/٢ ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الجليل ؛

ط / ١٤٧٢ م .

(٤) الإيضاح للقزويني : ١٩٤ ، تح : عماد بيوني زغلسول ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية

ط / ١٩٧٢ م .

والتضاد، والتكافؤ، والطباق، والمقابلة» وفرق بين الطباق والمقابلة بأن التضاد إذا كُثِرَ سُمِّيَ مقابلة^(١) .

● ومن المصطلحات التي تتداخل مع المقابلة (التقسيم) ؛ لذا قال القيرواني «إن المقابلة بين التقسيم والطباق»^(٢) ، والتقسيم هو : (تقسيم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ، ولا يخرج منها جنس من أجناسه فمن ذلك قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [سورة الرعد : الآية ١٢] ^(٣) .

وفرق بعضهم بين (الطباق) و(التكافؤ) حيث جعلوا التكافؤ للطباق المجازي نحو قوله تعالى : ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الانعام : الآية ١٢٢] وقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ﴾ ^(٤) [سورة البقرة : الآية ١٦] فالمقابلة تتفق مع التقسيم في التعدد والتنوع ، وتتفق مع الطباق في اجتماع الأضداد .

● وإذا انتقلنا من القدماء إلى المحدثين فإن جمهور اللغويين الغربيين قد أجمعوا على مصطلح «التقابل أو التضاد»^(٥) سوى جورج بول الذي أضاف «المطابقة والطباق» واستخدم مصطلح التضاد أيضاً^(٦) .

(١) الطراز للعلوي : ٣٨٢ ، تح : محمد عبد السلام شاهين .

(٢) العمدة : ٥ / ٢ .

(٣) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري : ٣٤١ ، تح : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، المكتبة المصرية ت ١٤٠٦ هـ .

(٤) معجم البلاغة العربية : ٣٦٣ ، د. بدوي طبانة ، الرياض ، دار الرفاعي ، جدة ، دار المنارة ، ط ٣ ، ت ١٤٠٨ هـ .

(٥) مدخل إلى علم الدلالة : فرانك بالمر : ١٤٤ ، علم الدلالة : جون لايتز : ٩٥ .

(٦) معرفة اللغة : جورج بول : ١٣١ .

أما السلغويون العرب المحدثون ، فقد نقلوا الباب برمته من اللغويين الغربيين ؛ لذا نجد أن المصطلح الذي شاع بينهم هو «التضاد والتقابل»^(١) دون أدنى محاولة للنظر إلى التراث اللغوي البلاغي بما حواه من دراسة مستفيضة لهذا الباب .

المبحث الأول : التقابل الدلالي في التراث العربي :

إن القارئ المتأمل في القرآن الكريم يجد أن التقابل الدلالي ليس قانوناً لغوياً صرفاً ؛ بل سنة لله في خلقه ، قال تعالى : ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ {سورة الذاريات : الآية ٤٩} .

فتقرُّ الآية الكريمة بأن الكون بني على الضدية ، التي أصبحت قاعدة من قواعد الوجود ، فلمَّا بُنيَ عليها الخلق ، بُنيَ عليها الفكر ، ثم بُنيَ على حوار المتضادات قضايا الخلق ، والعبادة ، والكون ، فأصبح التقابل في السياق القرآني عرفاً لغوياً سائداً ؛ فلا يرد لفظ النار إلا وقوبل بالجنة ، ولا السماء إلا بالأرض ، ولا الليل إلا بالنهار ، ولا الشمس إلا بالقمر ؛ فلو تأملت في ذلك لذهلت بكثرة التقابل في السياق القرآني ؛ بل ويعد من أكثر علاقات المعنى شيوعاً وانتشاراً ، رغم عزوف اللغويين عنه ؛ حيث لم يحظ بعناية اللغويين العرب قديماً .

وبالرغم من ذلك فقد نال عناية علماء البلاغة والأصوليين القدماء ، فالبلغيون اهتموا بالتقابل كظاهرة بلاغية ومحسّن بديعي معنوي ، أما علماء الأصول فيرون أن التقابل وسيلة من وسائل الاحتجاج والإقناع . وهذا يقودنا إلى سؤال مُلِحٍّ : كيف اجتمع البديع اللفظي ، والمنطق العقلي في هذا الباب ، وللإجابة عن هذا التساؤل لابد من نبذة تاريخية مختصرة عن نشأة علم البديع

(١) علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر ١٠٢ ، الكلمة (دراسة لغوية معجمية) د. حلمي خليل : ١٢١ .

والمنطق عند العلماء العرب ؛ وذلك أنه عندما نشأت العلوم عند المسلمين بدأ التأمل في بلاغة القرآن ؛ فظهرت البلاغة العربية في أروع صورها ، مستقاة من أساليب القرآن وإعجازه ، ثم ظهرت العناية بعلم الكلام في أواخر القرن الأول الهجري ، وبرز منهج الأصوليين ، الذين اعتنوا بعلم الكلام واستقوا منه الأدلة لاستنباط الأحكام .

فأدلة الأصولي : شرعية ، ولغوية ، لذا جاءت عنايتهم بمشكلة اللفظ والمعنى ؛ حيث إن القرآن لا يخاطب الوجدان وحده ؛ بل يخاطب العقل الذي هو أصل التكليف ومناط التفكير^(١) ، وبهذا كان الأصوليون أكثر الناس عناية بدراسة المعنى متفوقين في ذلك على اللغويين والبلاغيين^(٢) .

من هنا توارد على دراسة المعنى البلاغيون والأصوليون ، واستفاد البلاغيون من دراسات علماء الأصول ؛ حيث لم تعتمد البلاغة على الخيال وحده ؛ بل اعتمدت أيضاً على البراهين العقلية ، فالوجه البلاغية في اللغة وسائل لتدعيم الجملة ، وتقوية المعنى ، وتحريك المشاعر للعمل عن اقتناع^(٣) .

ثم ظهرت طائفة من العلماء يعتنون بمسائل البلاغة لاتصالها بالمناظرة والبراعة في علم الكلام ، فكانوا أصحاب ثقافة عربية أصيلة ، مضيفين إليها ألواناً من الثقافة الأجنبية ؛ وخاصة الفلسفة وما يتصل بها من منطق ، فترجمت كتب اليونان وخاصة أرسطو وكثير التآثر بفكره ، والنقل عنه ، مما دعا ابن المعتز (٢٩٩ هـ) إلى تأليف كتابه البديع ؛ دفاعاً عن البلاغة العربية محاولة منه أن يثبت لمعاصريه ممن بهرتهم الثقافة اليونانية - لا سيما ثقافة

(١) النقد الأدبي الحديث : د. محمد غنيمي خلال : ١٥٤ .

(٢) دراسة المعنى عند الأصوليين : د. طاهر سليمان محمود : ١١ ، التطور اللغوي عند الأصوليين . د. السيد أحمد عبد الغفار : ١٠ .

(٣) النقد الأدبي الحديث : ١٠٣ .

أرسطو - بأن القرآن سبق إلى بعض الأساليب البلاغية التي تحدث عنها أرسطو قبل أن ينقل العلماء عنه ، وأثبت وجود هذه الأساليب - لا سيما الطباق والمقابلة - في بلاغة العرب ؛ فحشد لها الشواهد من القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والشعر العربي ؛ ليردَّ عن بلاغة العرب عند من اتهمها بالقصور ؛ وبهذا نجد أن ابن المعتز قد رمى جماعة المتفلسفة بسهام مصيبة ؛ إذ رد كثيراً مما يلوون به ألسنتهم ويقولون إنه من أثر البلاغة اليونانية إلى مصادره وأصوله العربية القديمة^(١) .

ثم جاء قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) وأنف كتابه (نقد الشعر) ؛ ردًا على ابن المعتز في كتابه (البدیع) ؛ حيث اتَّهم سابقه من مؤلفي علم البلاغة بالتخبُّط والتفسير ؛ لأنهم قد فقدوا الدليل من كتابات أرسطو ، ويبدو تأثر قدامة بن جعفر بالفكر اليوناني جلياً في تقسيمه وتنظيمه لكتابه ؛ حيث قسَّمهُ إلى أبواب وفصول كما فعل أرسطو ، وكذلك أخذ عنه بعض الحدود والتعريفات لبعض الأساليب البلاغية ، وخصوصاً الطباق والمقابلة . وبالرغم من تأثره إلا أنه تأثر عامٌ لا يُخفي أصول صاحبه ، ولا أصالة فكرنا العربي^(٢) . ثم نقل البلاغيون العرب عن قدامة بن جعفر ، وهذا ما سنلاحظه في تتبع الباب عند البلاغيين .

وكل ذلك يفسر تكاثر المناطق وعلماء الكلام والبلاغيين على هذا الباب ، فالتقابل اللغوي يعتمد في أصوله على منطق عقلي أنتج صورة جمالية لفظية ، وبما أن المنطق هو التفكير المنظم الذي يقودنا إلى معرفة الأشياء ؛ فإن اللغة هي القالب والمستودع الرئيس لهذا التفكير ، فالحدث الكلامي هو حدث عقلي صرف .

(١) البلاغة وتطور وتاريخ د. شوقي ضيف : ٧٨ ، القاهرة ، دار المعارف .

(٢) البلاغة العربية بين القيمة والمعيارية ، د. سعد أبو الرضا : ١٠١ ، رقم الإيداع بدار الكتب :

١٣٨٤ هـ ، ط ٨٤ / ٤٦٩١ .

وبالرغم من هذه العلاقة الوثيقة بين اللغة والمنطق إلا أن اللغويين - بناءً على استقراء الواقع اللغوي - يُقَرُّونَ بأن اللغة تتمرد على المنطق وتخرج عن قيوده متى شاءت ، حيث تلجأ إلى حيل معجمية وأسلوبية تعلن بها عن تمردها؛ فما الحمل ، والقياس الخاطئ ، والشذوذ الدلالي ، والتوسع ، والتضيق ، والانتقال الدلالي ، إلا صور شتى لهذا التمرد . ويقرُّ سابير ، وجون لاينز ، وبالمر^(١) بأن هناك علاقة وثيقة بين التقابل الدلالي والمنطق إلا أن هناك صوراً عديدة من التقابل لا يمكن إخضاعها للمنطق ، فاللغة لا تعبر عن العقل وحده ؛ بل تعبر عن الواقع بانفعالاته وتصوراته ورموزه وغموضه ، وكل ما يحتويه الحدث الكلامي ؛ فإذا اعتمدنا على المنطق وحده في دراسة اللغة فسيانه غير كاف وغير مضبوط ؛ بل ظهرت كثير من المشاكل الزائفة في المنطق والفلسفة حينما جعلاهما الوسيلة الوحيدة لتحليل اللغة .

التقابل الدلالي عند المناطقة :

عند أرسطو :

فَصَلَ أرسطو في التقابل ، كوسيلة من وسائل التفكير الذي يقوم على البراهين الموضوعية ، ففي المنطق تدور الحجج على الاستقراء والقياس المضمر ، ومن أهم حجج القياس التضاد الذي هو شقٌّ من التقابل ؛ لذا يرى أرسطو أن التقابل وسيلة من وسائل الإقناع ؛ وأن التفكير بلغة التضاد من وسائل إثبات المعنى ، وهو أيضاً منهج لإقناع الناس وجعلهم يقبلون بشيء لم يقبلوا به مسبقاً ، ويعد التقابل وسيلة للاستيلاء على الفكر حتى يدعن ويسلم بأمر عديدة^(٢) .

(١) علم الدلالة : جون لاينز : ١٠٢ ، مدخل إلى علم الدلالة فرانك بالمر : ١٥٠ .

(٢) الخطابة : لأرسطو طاليس : ١٥٢ ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، لبنان ، دار القلم .

التقابل الدلالي عند المتكلمين العرب :

ورد مصطلحان للتقابل عند المتكلمين هما :

١ - الضد : «وهو ما حُمِلَ حمل التضاد ، والتضاد هو اقتسام الشئين طرفي البعد تحت جنس واحد ، فإذا وقع أحد الضدين ارتفع الآخر»^(١) .

«والضدان في اصطلاح المتكلم : عبارة عما لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة ، وقد يكونان وجودين كما في السواد والبياض ، وقد يكون أحدهما سلباً وعدمًا كما في الوجود والعدم»^(٢) .

٢ - التقابل : «أما المتقابلان فهما ما لا يجتمعان في شيءٍ واحد من جهة واحدة . وهذا إما أن يكون في اللفظ أو في المعنى ؛ فإن كان في المعنى فإما أن يكون بين وجود وعدم ، أو بين وجودين ، وهو تقابل السلب والإيجاب ، وإن كان من القسم الثاني [ويقصد به تقابل المعنى] فمنه تقابل المتضايقين وذلك كما في الأبوة والبنوة ونحوهما . ومنه تقابل الضدين كما في السواد والبياض ، ومن خواص هذا التقابل جواز انتقال طرفيه بالحركة إلى واسطة تكون بينهما . . . وأما ما كان من القسم الثالث فيسمى تقابل العدم والملكّة ؛ كما في العمى والطرش»^(٣) .

● وقد يتصف الضدان بوسط كالفاتر المتوسط بين الحار والبارد ، بحيث لا يخلو المحل منهما معاً ، ويمكن تعاقب الضدين على المحل بحيث لا يخلو المحل من أحدهما .

(١) موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي : ٧٨١/١ ، د. سميح دغيم ، لبنان ، بيروت ، مكتبة

لبنان ناشرون ، ط ١٩٩٨ .

(٢) المصدر السابق : ٧٢١/١ .

(٣) المصدر السابق : ٣٤٣/١ - ٣٤٣ .

- ويشترط المتكلمون لوقوع التضاد أن يكون بين أنواع الجنس الواحد ، فلا تضاد بين أنواع متدرجة من أجناس مختلفة ، فالتضاد بين السواد والبياض واقعٌ تحت جنس اللون^(١) .
- أما المطابقة عند المتكلمين فهي «الاتحاد في الأطراف كطاسين فإنه عند انكباب أحدهم على الآخر تطابق أطرافهما»^(٢) ، فالطباق والمطابقة عند المتكلمين تعني (المماثلة والمساواة) وهذا ضد معناها عند البلاغيين ومن تبعهم ، ومع هذا فإن البلاغيين والمتكلمين قد أجمعوا على مصطلح التضاد والتقابل ؛ لذا يقول التهانوي : «إن هذا الباب قد اتفق فيه علماء البديع والحكماء»^(٣) ويقصد بالحكماء المتكلمين .

التقابل الدلالي عند الأصوليين :

التقابل عند الأصوليين وسيلة من وسائل الاحتجاج والإقناع ؛ يقول ابن تيمية في معرض حديثه عن إثبات صفات الله : «فالتحقيق فيه متوقف على بيان حقيقة المتقابلين ، وبيان أقسامهما ؛ فنقول : (أما المتقابلان فلا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة ، وهو إما لا يصح اجتماعهما في الصدق ولا في الكذب ، أو يصح ذلك في أحد الطرفين ؛ لأنهما متقابلان بالسلب والإيجاب ، وهو تقابل التناقض .

والتناقض : هو اختلاف النقيضين بالسلب والإيجاب على وجه لا يجتمعان في الصدق ولا في الكذب لذاتيهما ؛ كقولنا : «زيد حيوان ، زيد ليس بحيوان» «فالنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان» ولا يمكن حصرهما بالسلب

(١) كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي : ٨٧٣/٢ - ٨٧٦ ، الهند : ١٤٠٤ هـ .

(٢) المصدر السابق : ٩١٨/٢ .

(٣) المصدر السابق : ١٢٠٩/٢ .

والإيجاب فقط ، بل قد يردان في أساليب أخرى ، وقسم ابن تيمية التقابل إلى ثلاثة أقسام :

١ - العدم والملكية . ٢ - المتضايقان . ٣ - السلب والإيجاب .

وذكر بعض أنواعه :

١ - تقابل لا يخلو الموصوف من أحدهما ؛ فإذا انتفى تعين الآخر كما في

: «الحياة / الموت» «الصم / البكم» .

٢ - تقابل إذا خلا الموصوف عنهما وصف بوصف ثالث : كالحمرة بين

السواد والبياض^(١) .

التقابل الدلالي عند البلاغيين :

١ - عند ابن المعتز ت ٢٩٩ هـ

وهو أول من ألف في البديع وعقد باباً عن المطابقة قال : وقال الخليل :
طابقت بين الشئين، إذا جمعتها على حذو واحد، . . . فالقائل لصاحبه :
«أتيناك لتسلك بنا سبل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان قد طابق بين السعة
والضيق في هذا الخطاب»^(٢) ثم أورد أمثلة كثيرة ومتنوعة للتقابل من القرآن،
والحديث، والشعر، والمثل، واقتباسات متعددة، إلا أنه لم يبين له أنواعاً أو
يحدد له أقساماً؛ بل اكتفى بالتمثيل .

٢ - عند قدامة بن جعفر ت ٣٢٧ هـ :

«المقابلة : هي أن يضع الشاعر معانياً يريد التوفيق بين بعضها وبعض أو
المخالفة، فيأتي بالموافق بما يوافق ، وفي المخالف بما يخالف على الصحة ، أو

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن محمد العاصمي : ٩٣/٣ - ١٣٠ ،
الرياض .

(٢) البديع لابن المعتز : ١٢٤ - ١٣٩ .

يشترط شروطاً ، ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين ، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده ، وفيما يخالف بأضداد ذلك»^(١) .

وذكر قدامه أربع صور للتقابل :

١ - الصورة الأولى : المضايقة : وهي أن تتقابل الأشياء عن طريق المضاف ، فلا يحكم على الشيء إلا وبوجود مقابلة المضاف إليه ؛ فالمولى مضاف إلى سيده ، والابن مضاف إلى أبيه ، والنصف إلى ضِعْفِهِ ، فلا يقاس أحدهما إلا بالآخر ؛ لذا كان أحدهما مضافاً ومقابلاً له .

٢ - الصورة الثانية : الضدية : وهي تقوم على النقيض مثل : الخير والشر ، والحر والبارد ، والأبيض والأسود .

٣ - الصورة الثالثة : العدم والكسبة : وهي أن يكون أحد المتقابلين معدوماً من الصفة ، والآخر مكتسباً لها ؛ كالأعمى مقابل البصير ، والأصم مقابل السميع ؛ فالأصم منعدم الصفة ، والسميع كاسب لها .

٤ - الصورة الرابعة : السلب والإيجاب : حيث يحدث التقابل بين لفظين مثلين الأول مثبت ، والآخر منفي مثل : ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَأَخْشَوْا﴾ {سورة المائدة : الآية ٤٤} ^(٢) .

٣ - ابن رشيقي القيرواني : ت ٣٩٠ هـ :

المطابقة : «جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر» .

(١) نقد الشعر : قدامة بن جعفر : ١٣٣ .

(٢) نقد الشعر : قدامة بن جعفر : ١٣٣ ، ١٣٤ .

المقابلة : «فهي بين التقسيم والطباق ، وهي تعرف في أنواع كثيرة ، وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب ؛ فيُعطى أول الكلام ما يليق به أولاً ، وآخره ما يليق به آخراً ، ويؤتى في الموافق بما يوافقه ، وفي المخالف بما يخالفه»^(١) .

وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد ، فإذا جاوز الطباق ضدّين كان مقابلة»^(٢) .

وفرق القيرواني بين المقابلة والطباق بالآتي :

١ - أن الطباق يقع بين الضدين فقط ، أما المقابلة فتقع في الضدين والمتخالفين .

٢ - الطباق أن يكون بين مفردتين متضادتين ، أما المقابلة فتقع فيما فوق ذلك^(٣) .

٤ - عند أبي هلال العسكري ت ٣٩٥ هـ :

«المطابقة : هي الجمع بين الشيء وضده ، في جزء من أجزاء الرسالة ، أو الخطبة ، أو البيت من بيوت القصيدة ، مثل : الجمع بين السواد والبياض ، والليل والنهار ، والحر والبرد»^(٤) .

أما المقابلة : فهي إيراد الكلام ، ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ ، على جهة الموافقة أو المخالفة»^(٥) .

(١) العمدة : ١٥/٢ ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الجيل ، ط ٤ / ١٩٧٢ م .

(٢) المصدر السابق .

(٣) العمدة : ١٥/٢ .

(٤) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري : ٣٠٧ .

(٥) المصدر السابق .

٥ - عند الخطيب القزويني ت ٧٣٩ هـ :

قال : أما المطابقة : وتسمى الطباق ، والتضاد أيضاً ، فهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة^(١) .

وقال في المقابلة «ودخل في المطابقة ما يُخَصُّ باسم المقابلة ، وهو أن يُؤْتَى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب ؛ والمراد بالتوافق خلاف التقابل ، وقد تتركب المقابلة من طباق ملحوق به ، مثال : مقابلة اثنين باثنين مثل : ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٢٢]^(٢) ، فالمقابلة جزء من الطباق عند القزويني ، وقسم الطباق إلى قسمين طباق إيجاب - كما تقدم - وطباق سلب ؛ وهو الجمع بين فعلي كلمتين الأولى مثبتة - وهو طباق الإيجاب - والأخرى منفية - وهو طباق السلب - كقوله تعالى : ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا﴾ [سورة المائدة : الآية ٤٤]^(٣) .

وقسم القزويني الطباق إلى نوعين :

أ - النوع الأول : الطباق بين لفظين من نوع واحد :

١ - اسمين نحو قوله تعالى : ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [سورة الكهف : الآية ١٨] .

٢ - أو فعلين نحو قوله تعالى : ﴿تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٢٦] .

٣ - أو حرفين نحو : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٨٦] .

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني : ١٩٤ .

(٢) المصدر السابق : ١٩٢ .

(٣) المصدر السابق : ١٩٢ .

ب - النوع الثاني : الطباق بين لفظين من نوعين مختلفين نحو قوله تعالى :
﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٢٢] (١) .

٦ - عند حمزة بن العلوِي (صاحب الطراز) ت ٧٤٩ هـ :

وسماه التطبيق {من الطباق} ، ويقال له : التضاد ، والتكافؤ والطباق ،
وهو أن يؤتى بالشيء وبضده في الكلام . وقال : «إذا كثرت الأضداد سميت
مقابلة» (٢) ، وقسم المقابلة إلى :

١ - أن يقابل الشيء بضده من جهة لفظه ومعناه مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ﴾ [سورة النحل : الآية ٩٠] .

٢ - أن يقابل الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه ؛ مثل قوله تعالى :
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧)﴾
[سورة الليل : الآيات ٥ - ٧] فقوله (كذب وصدق) طباق لفظي ، وقوله
(اليسرى / العسرى) طباق لفظي ، أما قوله (أعطى وبخل) فإنما هو طباق
معنوي ؛ لأن معنى (أعطى) (كرم) فطابق «بخل» في معناه دون لفظه .

٣ - أن يقابل الشيء بما يخالفه من غير تضاد ؛ كقوله تعالى : ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح : الآية ٢٩] فضد الشدة اللين وليست
الرحمة ، وإن كانت الرحمة من مسببات اللين فجازت المقابلة ؛ بل
وحسنت .

(١) الإيضاح : ١٩١ .

(٢) الطراز : ٣٨٣ .

٤ - أن يقابل الشيء بما يُماثلُه ؛ مثل : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [سورة الشورى : الآية ٤٠] (١) .

خلاصة البحث :

- ١ - أن مصطلح التقابل مصطلح من مصطلحات منطق أرسطو ، فهو وسيلة من وسائل التفكير وطريقة من طرق الإقناع عنده .
- ٢ - يتفق المناطقة ، والأصوليون ، والبلاغيون على أن التقابل الدلالي يعتمد في أصوله على منطق عقلي أنتج صورة جمالية لفظية ؛ لذا نال عناية هؤلاء جميعاً وتكاثروا عليه ، واتفقوا على كثير من حدوده ومصطلحاته .
- ٣ - أن للتقابل وجهين ؛ وجه معنوي منطقي نال عناية علماء المنطق والأصوليين ، ووجه لفظي جمالي نال عناية البلاغيين ، واحتاروا في موضعه ، فأضافه ابن المعتز في باب البديع وعده محسناً معنوياً وتبعه جمهور البلاغيين من بعده .
- ٤ - أن عبد الله بن المعتز (٢٩٩ هـ) أول لغوي عربي ، تتبع التقابل في كلام العرب من القرآن والنثر والشعر ؛ ولأن الباب بكرراً نجده عنده يفتقر إلى التنظيم والتنظير ؛ حيث لم ينل عناية العلماء بعده .
- ٥ - يعدُّ قدامة بن جعفر (٣٣٧ هـ) أول عربي لغوي أخذ عن الثقافة اليونانية متأثراً ببلاغة أرسطو ؛ حيث مزج بين ثقافتين وتبعه جمهور البلاغيين بعده .
- ٦ - اتفق المناطقة وعلماء الكلام ، وتبعهم قدامة بن جعفر على رفض مصطلح (الطباق) وإطلاقه على التقابل ؛ حيث وقفوا على مصطلحي

(١) الطراز : ٨٣ - ٣٨٧ .

«التضاد ، والمطابقة» وحثّهم في ذلك أن المطابقة تعنى المماثلة والمساواة وهو ضد مصطلح المقابلة والتضاد القائم على المخالفة والبعد .

٧- ميّز علماء العربية بين التقابل الحاد ، والتقابل المتدرّج ، فالتقابل الحاد هو ما سماه البلاغيون والمتكلمون بالتضاد الحقيقي ، ويكون فيه الضدين في غاية الخلاف والبعد كما في «السماء / الأرض» . أما التقابل المتدرج فهو - كما وصفوه - بأنه تضاد قائم على جواز انتقال طرفيه بالحركة إلى وسطه كالفاتر بين الحار والبارد .

٨- يشترط المتكلمون في وقوع التضاد أن يكون المتضادان من جنس واحد - وهو ما يسميه المحذون بالحقل - لذا صح وقوع التضاد بين الأسود والأبيض ؛ لأنهما من جنس واحد هو اللون .

٩- يرى علماء البلاغة أن التقابل الدلالي محسن عرضي معنوي للكلام وليس ذاتياً، وترى الباحثة أن للتقابل دوراً أخطر وغرضاً أبعد فهو ليس حلية لفظية معنوية فقط ، بل منهج فكري ووسيلة عقلية للإقناع والعرض .

نظرية التقابل الدلالي عند العرب القدماء :

• ينقسم التقابل الدلالي عند العرب القدماء إلى قسمين :

١- الطباق .

٢- المقابلة .

• فرّق العلماء بينهما بأن الطباق : يقع في اللفظين يكونان في غاية البعد والخلاف وهو ما يسمى عند البلاغيين والمتكلمين بالتضاد الحقيقي ، أما المقابلة : فتكون بين المتخالفين ويتعدد فيها التضاد بحيث يأتي بأكثر من واحد .

• صور التقابل الدلالي :

- ١- التقابل بين الضدين «الخير / الشر» ، «الليل / النهار» .
- ٢- التقابل بين التضايقين : «الابن / الأب» ، «السيد / المولى» .
- ٣- التقابل بين العدم والمملكة : «الأعمى / البصير» ، «السميع / الأصم» .
- ٤- التقابل بين السلب والإيجاب نحو : ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ﴾ [سورة المائدة : الآية ٤٤] .

• أقسام التقابل الدلالي :

- ١- التقابل الحاد : «الليل / النهار» .
- ٢- التقابل المعنوي : «أعطى / بخل» .
- ٣- التقابل المتدرج : «ساخن - فائر - بارد» .
- ٤- التقابل المتماثل لفظياً : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [سورة الشورى : الآية ٤٠] .

• أنواعه :

- ١- التقابل بين اسمين .
- ٢- التقابل بين فعلين .
- ٣- التقابل بين حرفين .
- ٤- التقابل بين لفظين مختلفين نحو : «اسم / فعل» .

المبحث الثاني: التقابل الدلالي في الدرس اللغوي الحديث :

تميزت الدراسات اللغوية الحديثة بأنها وطدت العلاقة بين فروع اللغة ، لاسيما علم البلاغة وعلم الدلالة ، فقد كانت البلاغة قديماً لائحة وصفية جامدة تشبه قواعد النحو ، أما اليوم فقد اتسع الدرس الدلالي وخاصة علم الدلالة التركيبي الذي تجاوز المفردة إلى الجملة والسياق والنص فأصبحت العلاقة بين الدلالة والبلاغة علاقة تأثير وتأثر^(١) وبهذا صار المعنى وانزلاقاته عاملاً مشتركاً بينهما^(٢) .

ثم تطلع علم الدلالة إلى النص بوصفه حدثاً اتصالياً وشبكة من العلاقات الناتجة عن تضافر الأنظمة اللغوية بمستوياتها المختلفة ، فأصبح النص هو الهدف لا جزئياته من مفردات وصيغ وجمل^(٣) .

وبهذا توثقت العلاقة بين الدلالة والبلاغة يجمعهما التركيب والتوليد والنص ، فإن كان (الطباق والمقابلة) باباً من أبواب البديع ومحسناً معنوياً عند البلاغيين القدماء، فإنه عند الدلالين أحد أنواع نظرية العلاقات ، وإبداع من إبداعات التوليد الدلالي .

التقابل الدلالي عند الغربيين :

(أولاً : عند بالمر)^(٤) :

درس بالمر «التقابل الدلالي» تحت مصطلح «التضاد» ، وهو مصطلح قديم

(١) العلاقات الدلالية في التراث العربي ، دراسة تطبيقية ، د. عبد الواحد حسن الشيخ : ١٧٣ ، الإسكندرية ، مكتبة الإشعاع ، ط ١١/١٤١٩ هـ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) علم لغة النص د. سعيد حسن بحيري : ٧٥٤ ، لبنان ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط ١ / ١٩٩٧ م .

(٤) مدخل إلى علم الدلالة . فرانك بالمر : ١٤٤ - ١٥٥ ، ترجمة : خالد جمعة ، الكويت ، مكتبة دار العروبة ، ط ١ / ١٩٩٧ م .

استخدمه البلاغيون العرب ؛ للتعبير عن «الطباق والمقابلة» وعرفه بقوله :
«التضاد مفهوم يعني «تعاكس الدلالة» ، والكلمات ذات الدلالات المتعاكسة
«متضادات» .

ويرى بالمر أن التضاد ظاهرة لغوية منظّمة وجدُّ طبيعية ، إلا أنها لم تنل
العناية في كتب الدلالة ولم يهتم بها أصحاب المعاجم . وقسم بالمر التقابل
إلى :

١- التضاد المدرج :

وهو التغيير التدريجي في الصفات نحو : (واسع ، وضيق) كما في :
الحجم ، والعمر ، والمساحة ، ويتميز بالآتي :

أ - أنه يستخدم معه (أفعل) التفضيل للتعبير عن التدرج .

ب- يلاحظ في الجمل المتضادة أن علاقة التضمن المتبادلة واضحة فيما بينهما .

ج- وجود عناصر وسيطة بين الطرفين المتضادين ؛ مثل : (حار) و (بارد) ؛
حيث يوجد (ساخن) التي تشكل بدورها تضاد آخر ، وثالث لهما .

د- أن أخذ المتضادين يكون هو المُعلّم أو المُميّز في علاقة التضاد ؛ ف «طويل»
و«واسع» ، وصحيح» هي التي تحمل الصفات المُعلّمة ، والمميّزة ؛ حيث
أنها تتمتع بصفة عالية ، وخاصية متميزة أمام : «قصير» ، ضيق ،
مزيف» .

٢- التضاد غير المدرج :

«وهو ما يسمى بالتضاد الحاد عند اللغويين» ويتميز بالآتي :

١- أن أزواج المتضادات فيه غير قابلة للتعاكس ؛ مثل : «مذكر / مؤنث» ،

«مبي / مست» ، «متزوج / أعزب»

- ٢- أن نفي أحد المتضادين يعني صلاحية الآخر .
- ٣- هذه المتضادات متكاملة دلاليًا .
- ٤- تتضمن علاقة التناظر فيما بينها .
- ٥- ثنائية التضاد لاقتصارها على احتمالين فقط .
- ٦- واسعة الانتشار .
- ٧- أنها تشبه المتضادات المتدرجة نسبياً ففى إمكانية قبولها للتدرج على نحو واضح لا على نحو ضمنى .

٣- التضاد المتعكس :

وهو يرتبط بالقلب الدلالي على نحو «اشترى / باع» ، «زوج / زوجة» وله أنواع مختلفة :

١- الأفعال المتقابلة : نحو : «باع / اشترى» «أعار / استعار» «أجر / استأجر» «أعطى / أخذ» .

٢- الأسماء المتقابلة : «زوج / زوجة» «مدرس / طالب» .

٣- الظروف المكانية : «فوق / تحت» «أمام / خلف» «جنوب / شمال» .

٤- بعض المصطلحات النحوية المتقابلة «مبني للمعلوم / مبني للمجهول» .

وقد درس علماء المنطق هذا النوع من العلاقات ؛ ووجدوا أنها تتميز وفق مجموعة من الأسس هي :

أ- التناظر : حينما تكون العلاقة بين عنصرين متناظرين ، حيث يتلازم طرفا التناظر مثل «زوج / زوجة» «أب / ابن» .

ب- التعدية : حينما يتم إنتاج أكثر من عنصرين متقابلين ، وأكثر ما يقع في الظروف المكانية «شمال / جنوب / شرق / غرب» .

ج- المطاوعة : حينما يتولد عنصر من عنصر آخر مرتبطاً به ، مساوياً أو معادلاً له .

٤- التضاد النسبي : ويقع فى :

١- أسماء القرابة : فهي تحظى برعاية كاملة في دراسة حقل المتضادات النسبية لجملة من الأسباب :

أ - عدم اكتفاء كثير من هذه الأسماء بالإشارة إلى طبيعة القرابة ، بل لامتداد وظيفتها إلى توضيح جنس الشخص المعني ، فالوالد الذكر هو أحد الأبوين ، والبنت هي المولود الأنثي فينحصر التعاكس على هذا النحو .

ب- ارتباط المسألة في اللغة المقابلة بإمكانية تناظر التعابير وعدم تناظرها . .

٢- ومن التضاد النسبي أيضاً : ذلك الموجود في الأزواج المتقابلة أو المتعاكسة ، مع أنها لا تتميز عن بعضها نسبياً ، حيث إن الرابط بينها ليس قوياً ، من ذلك :

أ - التضاد الاتجاهي : في «جاء / ذهب» «جاء / أتى» «أقبل / أتى» . حيث تكون الحركة باتجاه السامع والمتكلم هي الفيصل .

ب- وهناك أزواج من الألفاظ تبدو فيها التعابير مترابطة على نحو مماثل في التضاد الاتجاهي ؛ كانتظار المرء الإجابة بعد السؤال ، والقبول بعد العرض .

ويرى بأن أن هناك صوتاً من التضاد الحقيقي المتدرج ، يمكن أن تدرس تحت التضاد النسبي ؛ بوصفه تضاداً متقابلاً نسبياً ؛ كما في (أوسع) فقد تعد «أوسع من» فننظر إلى المعيار، وكذلك في أفعال التفضيل ؛ فهي تشكل أزواجاً مترابطة ، متقابلة ، متعدية .

ثانياً: عند جون لاينز^(١) :

يرى جون لاينز أن التضاد من أكثر العلاقات الدلالية أهمية ؛ إلا أنه لم يحظ بعناية الدلالين ؛ لاسيما أن اللغويين يرون أنه متمم للترادف وبالرغم من ذلك لم يأخذ حقه من الدراسة كالترادف .

● وقسم جون لاينز التضاد إلى ثلاثة أقسام :

- ١- التباين . ٢- التخالف . ٣- التعاكس .

(١) التباين :

مثل (أعزب / متزوج) و «ذكر / أنثى» فمن خصائص التضاد المتباين ما يلي :

١- أن نفي أحد الأزواج المتضادة يتضمن تأكيد الآخر ، وكذلك تأكيد أحدهما يتضمن نفي الآخر .

٢- يقوم على ثنائية التضاد؛ فهو يقع بين طرفين نقيضين فقط، لا يقابل بثالث .

٣- أن التضاد المتباين غير قابل للوصف أو التدرج .

(٢) التخالف :

١- المتخالفات الحادة :

مثل (كبير / صغير) و(طويل / قصير) ، ومن خصائص التخالف :

١- أن التضاد فيه قابل للتدرج .

(١) علم الدلالة : جون لاينز : ٩٥ - ١١٠ ترجمة مجيد الماشطة وآخرون ، كلمة الآداب جامعة البصرة ،

٢- أن المقارنة في التخالف تنقسم إلى علنية وضمنية، والمقارنة العلنية تقع في نوعين:

أ - أن يقارن بين شيئين في خاصية معينة ؛ يكون فيها أحد الزوجين المتضادين أعلى من الآخر .

ب- أن يقارن بين حالتين للشيء نفسه تكون إحدى الحالتين أكثر من الأخرى ، ويمكن الجمع بين النوعين في الجملة نفسها .

ب- المتخالفان المتدرجة ضمناً:

وترتكز على ما يلي :

١- أن المتقابلات التي تقوم على (صغير / كبير) و(قليل / كثير) و(جيد / رديء) قائمة على التدرج ؛ إلا أن التدرج الكامن فيها غير مثبت بنويًا .

٢- أنها ألفاظ نسبية تفقد كل أهميتها عندما تجرد من مدلولاتها التي يعطيها السياق .

٣- أنها مجرد نقاط انطلاق تتغير كثيراً بحسب النص .

٤- أنها ليست معياراً حقيقياً بل هي نقطة تماس تلتقي فيه الخواص المتدرجة باتجاهات متضادة ، فهي لا تشير إلى خواص التضاد بذاتها ، لكنها مجرد وسائل معجمية للتدرج .

٥- أن التقابل الضمني بين عضوي زوج معين لا يقع في المسائل غير المميزة ، حيث إن أحد الزوجين قد وضع باتجاه إحدى نهايتي المقياس دون الأخرى ، لذا يطلب تحديداً أكثر لمكان الشيء على المقياس الملائم .

٦- أن لأحد المتخالفين قطب موجب ، والآخر سالب ؛ لأن المتخالف المميز يستعمل معيار = (أكثر) ، وليس (أقل) .

٣- التعاكس :

مثال : (يشترى / يبيع) (قَتَلَ / قُتِلَ) (زوج / زوجة) فكل عضو في زوج عكس الآخر :

- ١- التعاكس الواقع في الفعل نحو (باع / اشترى) .
- ٢- التعاكس الواقع في البنية النحوية بين الفاعل والمفعول به (ضرب محمد زيد / وضرب زيد محمد) .
- ٣- التعاكس الواقع في البناء للمعلوم مثل (قَتَلَ . قُتِلَ) .
- ٤- التعاكس الواقع في حروف الجر (له / عليه) .
- ٥- التعاكس الواقع في ألفاظ القرابة .
- ٦- التعاكس الواقع في الفعل الذي يقتضي إيجابتين مثل : (قدم) ← (رفض) ← ، سأل ، و(سأل) : ← أجاب ← (رد) .

العلاقات بين التخالف والتباين :

يتشابه التخالف والتباين بأن الجملة التي تحتوي على أحدهما تتضمن نفى جملة مناظرة لها . ولكن هذا لا يعني أننا نستطيع الاستغناء عن حل أمثلة التخالف والتباين في اللغة ؛ لأن الاستعمال أثبتها وإن كان المنطق يدعي عدم الحاجة إليها ، مما يثبت أن اللغة لا تخضع دائماً للمنطق ؛ بل تزخر اللغة بكم هائل من ألفاظ التخالف والتباين وهذا يؤكد نزعة اللغة البشرية إلى التفكير بلغة التضاد ؛ لاستقطاب الخبرة والرأي مثال : هل كان الكتاب جيداً : فلو قال : لا ، فكانه يثبت بأن الكتاب رديئاً ، ما لم يوضح بعد النفي بـ (لا) بأنه سيصدر حكماً بلغة التقابل الاستقطابي . لكلُّ من جيد ورتي ؛ لذا يلجأ إلى التخالف المتدرج عندما يكون الاختيار المثالي بين (نعم) و(لا) غير كاف .

يرى كروز أن الوصف الشامل والمرضي للتقابل لم يولد بعد ؛ والواضح أن هنالك سمتين مكونتين في جوهر كل علاقة تقابلية :

الأولى : الثنائية ؛ وهي ثنائية الجوهر .

الثانية : أن فكرة التقابل في حالتها الأساسية البسيطة هي فكرة مكانية صرفة .

وقسم التقابل إلى أنواع هي :

١- المتممات :

مثال «حي / ميت» ، «مفتوح / مغلق» ويرى أن الصورة التي يعرضها زوج من المتممات هي مساحة إدراكية واحدة مقسومة كاملاً إلى جزأين ، فما يقع في الجزء الأول لا يقع في الجزء الثاني ؛ منعاً لحدوث الغموض ف «فلان حي» تنفي «ميت» وليس ميتاً تستلزم «حي» .

٢- المتضادات :

مثاله «كبير / صغير» ، و«قصير / طويل» والفرق بين المتممات والمتضادات :

١- أن إنكار أحد الزوجين لا يعني تأكيد الآخر ؛ فعندما أقول «ليس قصيراً» فلا ينتج من ذلك أنه طويل .

٢- أن أعضاء هذا الزوج من المتقابلات يشير إلى درجات من صفة متغيرة ومتدرجة .

(١) اللغة والمعنى ومعنى الكلمة : علم الدلالة : د. آكروز : ١٥٨ الموسوعة اللغوية ، المجلد الأول ، تحرير الأستاذ الدكتور : ن ، ي . كولنج ، ترجمة د. محي الدين حميدي - د. عبد الله الحميدان ، جامعة الملك سعود ، النشر العلمي والمطابع / الرياض .

٣- أن هذا النوع من التقابل يقبل الفاظ التعزيز .

٤- أنه يقع في تراكيب المقارنة والتفضيل .

٣- المنعكسات :

مثاله : «يدخل / يخرج» «يحل / يربط» .

وتتميز المنعكسات بأنه لا يُشترطُ فيها أن يكون أحد الزوجين عكس الآخر

تماماً ، المهم أن يعكس اتجاه التغيير في الحالات النهائية .

٤- المتناقضات :

مثال : «فوق / تحت» و«بيع / يشتري» .

وتسمى بالمتضادات العلائقية فكلها ألفاظ تعبر عن علاقة بين شيئين أو أكثر

كما في «تحت / فوق» «أمام / خلف» فالعلاقة هنا بين شيئين فقط ، أما في

«باع / اشترى» فالعلاقة بين أربعة أشياء «البائع / المشتري / السلعة / المال»

ومن المتناقضات العلائقية : الأفعال المبنية للمعلوم والمبنية للمجهول .

٥- الوسم . والقطبية :

أما الوسم : ويقصد به العلاقة . فموسوم تعنى مُعلّم ؛ فأحد طرفي

التضاد يكون موسوماً (مُعلِّماً) والآخر غير موسوم ، فالزوج الإيجابي من

زوجي التضاد غير موسوم ، أما السليبي فهو الموسوم أو المُعلِّم ، ف (كبير /

كثير / سريع / طويل) هي أحد زوجي التضاد غير الموسوم ، إلى جانب أن

المتضادات غير الموسومة يمكن وصفها بعبارات مثل (أطول بمرتين ، أسرع بكثير)

ولكن من غير المقبول لغوياً أن تقول (أقصر بمرتين / أصغر بمرتين) .

ثانياً : القطبية : وهي أنه في معظم حالات التضاد المعجمي هناك مصطلح

إيجابي وآخر سليبي ؛ عندما لا توجد سابقة نفي مثال [طويل / نظيف /

صحيح] فهذه إيجابية يقابلها سلبياً [قصير / وسخ / مزيف] ، فمصطلح

(إيجابي) يرتبط - غالباً - بقيمة عالية مرتفعة من صفة أو خاصية مقيسة أو متدرجة مثل : (الطول والسرعة والوزن) ، أما مصطلح : (سليبي) فيتميز بالآتي :

١- أنه ضد الإيجابي .

٢- أنه يُظهرُ انعكاساً في القطبية عندما يطبق على نفسه وهذا لا يحدث في المصطلح الإيجابي .

٣- أن المصطلح السلبي لا يقبل سابقة النفي فمثلاً تقول : (غير جيد) ، (غير نظيف) ؛ هاتان عبارتان مستقيمتان لغوياً ؛ أما (غير سيئ) (غير قدر) ؛ فهاتان عبارتان غير مستقيمتين .

رابعاً: التقابل عند كلود جرمان وريمون لويلون^(١) :

يرى المؤلفان بأن جون لا ينز قد طور «نظرية العلاقات الدلالية» ، من بينها دراسته للتضاد ؛ وقسما التضاد إلى ثلاثة أنواع :

١- التضاد التام أو الحاد مثل (أعزب / متزوج) (ذكر / أنثى) .

٢- التضاد المتدرج : (كبير / صغير) .

٣- التضاد المتبادل (اشترى / باع) .

خامساً: التقابل عند برند شبلنر^(٢) :

يركز المؤلف على التقابلات التي تحدث في الأسلوب والبنية وأثرها في النص ؛ ويعرض المؤلف لعدد من المتقابلات التي تحدث لأسباب منها :

(١) علم الدلالة : ٦٦ ، ترجمة نور الهدى لوشن ، منشورات جامعة قار يونس ، بغازى .

(٢) علم اللغة والدراسات الأدبية ، برند شبلنر : ١١٣ - ١٢١ ، ترجمة : محمود جاد الرب ، دار الفنية للنشر والتوزيع ، ط .١٩٨٧م .

١- أن التقابل يحدث من خلال السلوك غير المتوقع للوحدات اللغوية التي تأتي مضادة للسياق .

٢- أنه يحدث بتغير الأجناس النحوية ؛ كالأبنية التركيبية وبتغير الوزن .

٣- أنه يحدث من خلال اختلافات كمية الوحدات اللغوية .

٤- أنه يحدث بتغير الشفرة اللغوية أو المستوي اللغوي كإقحام لغة داخل لغة ، أو مستوى لهجي داخل فصحي ، أو تداخل لهجتين أو مستويين .

وفى النص الأدبي قد تسود مقابلات أسلوبية مزدوجة حينما تأتي المقابلة بين عدد من المتضادات . وقد يُحَدِّثُ الكاتبُ تلاعباً في النص فيما بين التضاد من خلال الترتيب كأن يأتي في نص بالتقابل بين شيئين من خلال المميزات والعيوب . فيأتي بثلاث مميزات ، ثم يقابلها بثلاثة عيوب ، وفي التضاد الأخير يعكس الترتيب فيأتي بميزة تجعل المقابلة الأخيرة مميزة بشكل واضح عما قبلها .

● أما التقابل في كمية الوحدات فقد يحدث بين وحدتين إحداهما صغيرة والأخرى كبيرة ، حيث يأتي تركيب طويل ثم يظهر فجأة تركيب متواز قصير غير متكامل ، إن هذه الظاهرة من التطابق تأتي متقابلة في السياق ، ومن ثم يفرز كظاهرة أسلوبية واضحة .

● ويرى المؤلف أن ظاهرة التقابل في الأسلوب ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجنسين رئيسيين من الجمال ؛ هما الانسجام والاختلاف .

● كذلك عرض المؤلف للتقابل في الموقف وهذا النوع لم يتطرق إليه سابقه أمثال بالمر وجون لاينز؛ حيث أضاف إلى الظواهر المتقابلة سياقياً ، التقابلات الموقفية ، التي تحدث خاصة في الموقف ، ولا تخلو من أهمية أسلوبية في اتصال الأدبي .

• ويتطرق المؤلف إلى أثر المقابلة في النص حيث يرى أن التعارض الذي يحدثه أسلوب المقابلة له قيمته الإيجابية في النص بشرط ألا يتجاوز الحد المعقول .

سادساً: عند جورج بول^(١) :

واصطلح عليه اسم (المطابقة والطباق) ، وعرفه بقوله : (يطلق الطباق علي الكلمتين المتضادتين في المعنى) نحو : (سريع / بطيء) وقسم الأضداد إلى نوعين :

١- متفاوت نحو: كبير / صغير ، ويستعمل معه أفعل التفضيل ، ومن سماته أن نفي أحد الضدين لا يعني بالضرورة ثبوت الضد الآخر .

٢- غير متفاوت : ويطلق على الأزواج المتنامة ، فلا يستعمل معها أفضل التفضيل ، ونفي أحد أفراد التضاد يعني بالضرورة ثبوت الآخر . نحو «ميت / حي» .

سابعاً: عند كارل دينز بونتيج^(٢) :

- أن التقابل البدلالي يقوم بحسب المعيار الاجتماعي أو إجمالي .
- البحث في التضاد مهم للبحوث النفسية ، وإيضاحات السلوك .
- أن التقابل بين النفي والإثبات لا يدخل ضمن التضاد ؛ كما في قولنا: «غبي / ليس غبي» ، و«ذكي / ليس ذكي» ، فهو بذلك يُخرجُ طباق السلب والإيجاب من التقابل .

(١) معرفة اللغة : جورج بول : ١٣١ . ترجمة محمود عبد الحافظ ، الإسكندرية ، دار الوفاء ، ط ١ ، ٢٠٠٠ .

(٢) المدخل إلى علم اللغة ، كارل دينز بونتيج ٢٧٥ - ٢٥٨ ، ترجمة د. سعيد بحيري ، القاهرة ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع .

٢- التقابل الدلالي عند اللغويين العرب المحدثين :

- التقابل الدلالي عند أحمد مختار عمر^(١) :

قسم التضاد إلى ثلاثة أنواع متأثراً وناقلاً عن (بالمر وجون لاينز) :

١- التضاد الحاد «غير المتدرج» : ويقوم على نفي أحد عضوي التقابل وإثبات الآخر .

٢- التضاد المتدرج : يقع بين نهايتي معيار متدرج ، أو بين أزواج من المتضادات الداخلية ، وإنكار أحد عضوي التقابل لا يعني الاعتراف بالعضو الآخر ؛ مثال : (حار / دافئ / معتدل / مائل للبرودة/ بارد / قارس / متجمد) .

٣- التضاد العكسيّ : مثاله : «باع / اشترى» «زوج / زوجة» .

٤- التضاد الاتجاهي : مثاله : «أعلى / أسفل» «يصل / يغادر» «يأتي / يذهب» .

٥- التضادات العمودية أو التقابلية أو الامتدادية : مثاله : «شمال / شرق / غرب» أما التقابلية فمثل : «الشمال / الجنوب» و«الشرق بالنسبة للغرب» .
وذكر رأي «لاينز» في أن أحد المتقابلين ذو معنى إيجابي والآخر سلبي ، لذا فإن المعاني السلبية هي التي تتجه نحو التحديد أو نقطة الصفر .

- التقابل الدلالي عند حلمي خليل^(٢) :

يرى المؤلف أن التقابل أحد أبواب العلاقات الدلالية التي تتصل بتعدد دلالة الكلمة ؛ حيث تنظر «نظرية العلاقات» إلى أن المعنى المعجمي للكلمة

(١) علم الدلالة : ١٠٢ - ١٠٥ القاهرة / عالم الكتب ، ط ٥ / ١٩٩٨ م .

(٢) الكلمة (دراسة لغوية معجمية) : ١٢١ ، الاسكندرية دار المعرفة الجامعية .

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

الأولى التي بنيت على وجود علاقة تحويلية بين التركيبين ، اللذين تربطهما علاقة التقابل ؛ مثال ذلك : (اشترى خالد الكتاب من محمد) (باع محمد الكتاب لخالد) .

فهاتان جملتان متقابلتان: فإذا اشترى خالد شيئاً من محمد ، فإن محمد يكون قد باع خالداً ذلك الشيء . فالفعلان متواردان «متقابلان» ، وفي إطار الافتراض الأول فينبغي الربط بينهما من خلال عملية تحويل يُعدُّ أحدهما أصلاً للثاني ، هذا في «باع / اشترى» ؛ أما في «أعطى / حصل» فإنهما بالفعل متقابلان إلا أن التقابل هنا يختلف عن صورته في «باع / اشترى» فالتوارد الذي يبين «باع / اشترى» يحتاج إلى انتقال بين متوازيين ، وهو انتقال مزدوج ، انتقال البضاعة من البائع إلى المشتري ، وانتقال المال من المشتري إلى البائع ، أما في «أعطى / تلقى» فهو انتقال واحد من المصدر إلى الهدف^(١) .

إذن الأفعال «اشترى / تلقى / نال» أفعال تملك [سمة + قلب] ؛ ويقصد بالسمة: «التناوب الضديّ الموجود بين عدد مهم من أزواج الأفعال في جميع اللغات» مما يؤكد وجود فرضية ثالثة يشق منها التركيبان كلاهما ، وهذا يفند الفرضية الأولى القائلة بأصلية أحد التركيبين^(٢) .

التقابل الدلالي عنده د. محمد علي الخولي^(٣) :

عرض المؤلف لتسعة أنواع من التضاد :

- ١- التضاد الحاد مثل : «ذكر / أنثى» ، «حي / ميت» .
- ٢- التضاد العكسي مثل : «باع / اشترى» ، «علّم / تعلم» .

(١) المصدر السابق ٨٩ .

(٢) مدخل إلى الدلالة الحديثة : ٩٠ ، تونس ، دار تويقال للنشر ط١ ت ٢٠٠٠ .

(٣) علم الدلالة : ١١٦ - ١٢٧ ، الأردن ، دار الفلاح للنشر والتوزيع ، ت (٢٠٠١م) .

- ٣- التضاد المتدرج مثل : «سهل / صعب» ، «حار / بارد» .
- ٤- التضاد العمودي مثل : «شمال / شرق» ، «جنوب / غرب» .
- ٥- التضاد الامتدادي مثل : «شمال / جنوب» ، «فوق / تحت» .
- ٦- التضاد الجزئي مثل : «غلاف / كتاب» ، «حائط / غرفة» .
- ٧- التضاد الدائري مثل : «الليل / النهار» ، «السبت / الجمعة» .
- ٨- التضاد الرتبي مثل : «نقيب / عميد» ، «أستاذ مساعد / أستاذ» .
- ٩- التضاد الانتسابي مثل : «تفاح / موز» ، «كتاب / موسوعة» .

ويقسم المؤلف التضاد إلى قسمين :

- ١- التضاد الثنائي : وهو الذي يقع بين ضدين فقط لا ثالث لهما .
- ٢- التضاد المتعدد : وهو الذي يقع بين أكثر من ضد .

أما التضاد الثنائي فيدخل تحته الأنواع التالية :

- ١- التضاد الحاد .
- ٢- التضاد المتدرج .
- ٣- التضاد العكسي .
- ٤- التضاد العمودي .
- ٥- التضاد الدائري .
- ٦- التضاد الجزئي .

أما التضاد المتعدد فيدخل تحته الأنواع التالية :

- ١- التضاد الرتبي .
- ٢- التضاد الدائري .
- ٣- التضاد الانتسابي .

وأغلب العلماء يجعل التضاد المتعدد تحت باب التنافر .

التقابل الدلالي واثره في صناعة المعجم عند المحدثين :

يعد التفسير بالمقابل (الضد) أحد أهم وسائل شرح المعنى في المعجم قديماً وحديثاً^(١) ، وعندما تطورت نظرية العلاقات الدلالية وأصبحت ركيزة أساسية في صناعة المعجم كان (التقابل الدلالي) أو (الستضاد) أحد أسس هذه النظرية^(٢) ، حيث تغيرت النظرة القديمة للمعجم من مجرد رصف للكلمات وأصبح معنى الكلمة حديثاً «هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في نفس الحقل المعجمي»^(٣) ، وكان للنظرية دورها في رصد العلاقات في المعجم وفقاً لنظرية الحقول الدلالية^(٤) ، وبهذا أصبحت المعاجم الحديثة تُبنى بشكل يمثل العلاقات المختلفة التي تربط بين مدخل وآخر ، وترصد كل أنواع العلاقات الدلالية المطردة حتى ينتهي المعجم بشبكة من الحقول المتقاطعة المحددة دلاليًا^(٥) ، ثم صارت المعاجم تصنف مفرداتها إلى طبقات معجمية تنظمها حقول دلالية لكل حقل علاقاته الدلالية التي حددها الاستعمال ، ومن هنا نستطيع أن نشمن دور نظرية العلاقات الدلالية ثم دور التقابل الدلالي في صناعة المعجم الحديث .

نظرية التقابل الدلالي عند اللغويين المحدثين :

● تعريفه : هو تعاكس الدلالة والكلمات .

(١) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديثة د. محمد أحمد أبو الفرج : ١٠٢ ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ت ١٩٦٦ م .

(٢) المصدر السابق : ١١٠ ، المصاحبة في التعبير اللغوي ، د. محمد عبد المنعم : ١١ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ت ١٤٠١ هـ .

(٣) التوليد الدلالي د. حسام البهناوي : ١٩ ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، ط/٢٠٠٣ م .

(٤) المصدر السابق : ١٥ .

(٥) التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم : ١٧١ ، المعرفة اللسانية (أبحاث ونماذج) ، المغرب البيضاء ، ط/١٩٨٧ ، دار توبقال للنشر .

● شروطه :

- ١- الشائبة : حيث يقع بين زوجين من الكلمات المتضادة في المعنى .
 - ٢- المكانية : وهى اتحادهما في مكان واحد وسياق واحد .
 - ٣- اتحادهما في حقل واحد .
- أنواع التقابل : طرح اللغويون المحدثون مسميات متعددة وأنواعاً كثيرة للتقابل ، سنقف على أشهرها .
- ١- التقابل الحاد .
 - ٢- التقابل المتدرج .
 - ٣- التقابل المتعكس .

صور التقابل الدلالي :

- ١- التقابل بين مفردتين متضادتين أو متخالفتين .
- ٢- التقابل بين الأجناس النحوية .
- ٣- التقابل بين ألفاظ القرابة .
- ٤- التقابل بين كمية الجمل أو الوحدات .
- ٥- التقابل بين لهجتين أو مستويين لغويين .
- ٦- التقابل بين لغتين في سياق واحد .
- ٧- التقابل بين موقفين .

اهميته واثره :

- ١- أنه من أكثر العلاقات الدلالية أهمية .
- ٢- أن في اللغة نزعة للتفكير بلغة التضاد ؛ لاستقطاب الخبرة والرأي .
- ٣- أن ظاهرة التقابل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجنسين رئيسين من الجمال هما الانسجام والاختلاف .

- ٤- أن أسلوب التقابل له قيمته الإيجابية في النص .
 ٥- أنه ينتج صورة جمالية لفظية .
 ٦- أنه ظاهرة لغوية منظمة .
 ٧- أن دراسة التقابل الدلالي في ضوء النظرية الدلالية التركيبية لها أثرها
 وخطرها في المعجم العربي ؛ حيث سيغير صورته إلى الأفضل :

خلاصة البحث :

- ١- يتفق جمهور اللغويين الغربيين على أن شقاً كبيراً من باب التقابل الدلالي
 قائم على المنطق الذي تحدث عنه أرسطو وأفلاطون ، وبالرغم من ذلك
 فهم يقرون بأن اللغة لا تخضع دائماً للمنطق ، بل وتتبع حياً لغوية عدة
 للخروج عنه .
 ٢- يُعدُّ باب التقابل الدلالي من أكثر أبواب العلاقات الدلالية أهمية ، إلا أنه
 لم يحظ بعناية اللغويين .
 ٣- إن التقابل الدلالي يقوم على الشائبة اللفظية ويقع بين زوجين من
 المتضادات في مكان واحد وسياق واحد .
 ٤- يجمع اللغويون الغربيون على أن للتقابل أثراً في جمال النص من حيث
 الانسجام والاختلاف وله قيمة إيجابية فيه ، وأنه - أيضاً - وسيلة
 لاستقطاب الخبرة والرأي .
 ٥- طَوَّرَ برند شبلنر باب التقابل الدلالي القائم على المفردات إلى التقابل الذي
 يحدث في الأسلوب والموقف وفي بنية النص الكامل ، حيث تجاوز
 التقابل بين المفردتين إلى تقابل الجمل والأساليب والموقف والسياق .
 ٦- ابتدع برند شبلنر أنواعاً جديدة من التقابل الدلالي ؛ كالتقابل بين لغتين في
 النص الواحد ، والتقابل بين لهجتين وبين مستويين في السياق .

السلب والايجاب حيث تؤيد الباحثة العرب القدماء في عدّ (السلب والايجاب) من التقابل ؛ لأن أداة النفي تقلب الدلالة فيقع التقابل بين الزوجين ، وإن كان كارول بونتج قد رفض إدخال (السلب والإيجاب) في باب التقابل . ومن هنا نجد أن التقابل الحاد يقوم على قاعدتين :

١ - الضدية التامة وعدم القابلية للتدرج .

٢ - استحالة اجتماع الضدين .

١- التضاد الواقع بين لفظين :

أ) في الأسماء :

١- (الدنيا / الآخرة) :

ورد التقابل بينهما في قوله : ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

بِالْآخِرَةِ﴾ {الآية ٧٤} .

٢- (الخيث / الطيب) :

في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ﴾ {الآية ٢} .

٣- (غني / فقير) :

في قوله : ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ {الآية ١٣٥} .

٤- (كافر / مؤمن) :

في قوله تعالى : ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ {الآية

١٤١} .

في قوله تعالى : ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ {الآية ١٤٤} .

٥- (الأمن / الخوف) :

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾
{الآية ٨٣} .

ب) المشتقات :

٦- (مُحْصِنِينَ / مسافحين) :

في قوله : ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ﴾ {الآية ٢٤} .

٧- (مُجَاهِدِينَ / قاعدين) :

في قوله : ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
{الآية ٩٥} .

٨- في الأمثال :

١- (قَلَّ / كَثُرَ) :

في قوله : ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيحًا مَفْرُوضًا﴾ {الآية ٧} .

٢- (حَرَّمَ / أَحَلَّ) :

في قوله : ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ ضَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ {الآية ١٦٠} .

٣- (تَهْدِي / أَضَلَّ) :

في قوله : ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ
اللَّهُ﴾ {الآية ٨٨} .

ثانياً: التقابل الحاد الواقع بين جملتين :- ١- مثبتتين :

أ - مكررة تكرر تاماً :

١- ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضِ الْكِتَابِ / وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ الآية ١٥٠ .

٢- أ - ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ الآية ٨٥ .

ب - ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ الآية ٨٥ .

ب- تكرر مقدمة التقابل الدلالي فقط:

٣- ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية ٦

٤- ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ الآية

. ٧٩

٥- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

الطَّاغُوتِ﴾ الآية ٧٦ .

٦- أ - ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثَلَاثُ مَا تَرَكَ﴾ الآية ١١ .

ب - ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ الآية ١١ .

٧- أ - ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾

. الآية ٤٦ .

ب - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ

وَأَقْوَمَ﴾ الآية ٤٦ .

ج- تقابل جملتين دون تكرار:

٨- ﴿أُحْصِنَ فَإِنِ اتَّيْنَا بِفَاحِشَةٍ﴾ {الآية ٢٥} .

٩- ﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ {الآية

. ١١٧.

١٠- أ- ﴿وَإِن خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ

أَهْلِهَا﴾ {الآية ٣٥} .

ب - ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ {الآية ٣٥} .

١١- أ- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ

رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ﴾ {الآية ١٣٦} .

ب - ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ

ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ {الآية ١٣٦} .

١٢- أ- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ

...﴾ {الآيات ١٥٠ - ١٥١} .

ب - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ

يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ {الآية ١٥٢} .

التقابل الدلالي الحاد في الموقف:

١- أ- ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ {الآية ١١٣} .

ب - ﴿وَمَن يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ

عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ {الآية ١١٤} .

٢- أ- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ
بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا
حَكِيمًا﴾ {الآية ٥٦}.

ب - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ {الآية ٥٧} .

٣- أ- ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبْتَغَىٰ فِيمَنْ أَصَابَكُمْ مِصْيبَةً قَالُوا لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ
أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ {الآية ٧٢} .

ب - ﴿وَلَنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفْزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ {الآية ٧٣} .

٤- أ- ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ {الآية ٧٨} .

ب - ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ {الآية ٧٨} .

ج - ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾
{الآية ٧٩} .

٥- أ- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ {الآية ٧٨} .

ب - ﴿وَمَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ {الآية ٧٨} .

٦- أ- ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ
شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ
سَبِيلًا﴾ {الآية ١١٥} .

ب - ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ {الآية ١٦} .

٧- أ - ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ {الآية ٩٥} .

ب - ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ {الآية ٩٥} .

٨- أ - ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ {الآية ١٢٣} .

ب - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ {الآية ١٢٤} .

التقابل الدلالي الحاد بين الإيجاب والسلب :

أ - بين جملتين ذات إيقاع قصير :

١ - ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ {الآية ١١٣} .

٢ - ﴿وَلَا تَكْفُرُوا مَا نَكَّحَ آبَاؤُكُمْ﴾ {الآية ٢٢} .

٣ - ﴿لَمْ يَصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكُمْ﴾ {الآية ١٠٢} .

ب - بين جملتين متوسطتين :

٤ - ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ {الآية ١٠٤} .

٥ - ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ {الآية ١٢٠} .

٦ - ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ {الآية ٦٦} .

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

٨- إن التكرار اللفظي بين المتقابلات جاء في صورتين :

الأولى : التكرار التام : كما في قوله تعالى : ﴿مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ ﴿وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ الآية ٨٥ .

الثانية : تكرار مقدمة التقابل ، كما في قوله تعالى : ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ الآية ٧٩ .

٩- في التقابل الموقفي يتداخل عدد من المتقابلات بأنواعها مثل قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ الآية : ٧٨ ، ثم عقب بعد هذا التقابل بجملتين متقابلتين أيضاً ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ الآية : ٧٩ ، كذلك في قوله : ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ الآية : ١٥ ، و ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ﴾ الآية : ١٦ ، فقد تداخل مع تقابل الجملتين تقابل لفظين أيضاً في قوله : ﴿فَاسْتَشْهِدُوا / شَهِدُوا﴾ الآية : ١٥ ، ﴿فَأَذُوهُمَا / فَأَعْرِضُوا﴾ الآية : ١٦ ، فهنا نجد أن تقابل الموقف قائم على عدد من المتقابلات بين المفردات والجمل اجتمعت لتبني بذلك تقابل الموقف .

١٠- أن التقابل المثلث والمنفي (السلب والإيجاب) يعد نوعاً من أنواع التقابل ، كما ذكر ذلك اللغويون العرب ، وإن رده اللغويون الغربيون .

١١- يقوم تقابل السلب والإيجاب على جملتين مكررتين إحداهما مشبته والأخرى منفية متساويتان في الكمية والإيقاع الصوتي .

١٢- استخدم القرآن الكريم في سورة النساء تقابل السلب والإيجاب ؛ كطريقة من طرق عرض المادة ، ووسيلة من وسائل تقويتها بتكرار اللفظ نفسه ؛

ليشتد التقابل بال تكرار وبحركة سريعة عنيفة يؤديها (النفى والإثبات) ،
فيمتزجان في سياق واحد مما يضيف على النص قوة وجمالاً .

١٣- وقع التقابل الحاد في سورة النساء في ثمانية وأربعين موضعاً .

ثانياً: التقابل الدلالي المتدرج :

يقع بين زوجين متخالفين لا ضديين ؛ بما يعني أن نفي أحد الزوجين لا يؤكد إثبات الآخر ، وهو يشير إلى صفات متدرجة للشيء نفسه ، وقد تنبه العرب القدماء إلى هذا النوع من التقابل وسموه بالتضاد الواقع في وسط المعيار كالفاتر بين الحار والبارد ، من هنا نجد أن التقابل المتدرج يقوم على قاعدتين :

١ - أن الزوجين المتقابلين متخالفين لا ضديين ، وهو بهذا يختلف عن التقابل الحاد القائم على الضدية التامة .

٢ - أنه يقع في وسط المعيار ، بخلاف التقابل الحاد الذي يقع على نهايتي المعيار .

١- الواقع بين مفردتين :

١- (آمن / كفر / ازدادوا كفراً) في قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ {الآية ١٣٧} .

٢- (عدل / لوى / أعرض) في قوله : ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ {الآية ١٣٥} .

٣- (بيدى / يخفي / يعفو) في قوله : ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخْفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ {الآية ١٤٩} .

٤- (قيام / قعود / على جنوب) في قوله : ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ {الآية ١٠٣} .

٥- (محصنة / مسافحة / متخذة خدن) في قوله : ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ
مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ {الآية ٢٥} .

٢- الواقع في الجملة :

٦- (آمن / صد) في ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ
سَعِيرًا﴾ {الآية ٥٥} .

٧- (آمن / استنكف + استكبر في ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فِيُوقِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا واسْتَكْبَرُوا
فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ {الآية ١٧٣} .

٨- (طاع / تولي) في ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا
أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ {الآية ٨٠} .

٩- (طاع / نازع) في ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾
{الآية ٥٩} .

١٠- (نشوز / أطاع) في ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ
فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾
{الآية ٣٤} .

١١- (نشوز + إعراض / صلح) في ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ
إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾ {الآية ١٢٨} .

١٢- (عدل / مال) في ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ
فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ {الآية ١٢٩} .

١٣- (آذي / أعرض) في ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ الآية ١٦ .

١٤- (شجر / سلم) في ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الآية ٦٥ .

١٥- (كره / خيراً) في ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ الآية ١٩ .

٣- الواقع في الموقف :

١٦- أ- ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الآية ١٧ .

ب - ١- ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ﴾ الآية ١٨ .

٢- ﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الآية ١٨ .

١٧- أ- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غُفُورًا رَحِيمًا﴾ الآية ١١٠ .

ب - ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الآية ١١١ .

١٨- أ- ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ الآية ١١٢ .

ب - ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفُوهُ أَوْ تَعَفُّوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ {الآية ١٤٩} .

١٩- أ- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ﴾ {الآية ٢٦} .

ب - ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ﴾ {الآية ٢٧} .

ج- ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ {الآية ٢٧} .

د - ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ {الآية ٢٨} .

نتائج التقابل المتدرج :

١- بما أن التقابل الحاد يقوم على زوجين متقابلين متضادين تضادًا حادًا حقيقيًا، فإن التقابل المتدرج يقوم على زوجين متخالفين لا ضدين أحدهما تدرج الآخر ، والعلاقة بينهما علاقة تفاوت .

٢- يقوم التقابل عامة على قطبين متضادين وفي التقابل المتدرج توجد حالات متوسطة بينهما يتجاذبها القطبان ، فمثلاً «يجهر ، يبدي ، يخفي ، يكتم» فد (يجهر) ضد (يكتم) وكذلك (يبدي) ضد (يخفي) ، وهما حالتان متوسطتان لما قبلهما ؛ ففي قوله تعالى : ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ، ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفُوهُ أَوْ تَعَفُّوا عَنْ سُوءٍ﴾ {الآيات: ١٤٨ - ١٤٩} ، نجد التقابل واقع بين (يجهر + يبدي / يخفي) .

٣- من صور التقابل المتدرج أن يزدوج أحد طرفي التقابل فيأتي بلسفطين أو بجملتين متدرجتين أمام لفظ واحد أو جملة واحدة كما في ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرِضُوا﴾ {الآية ١٣٥} ، (عدل) يقابلها (لوى + أعرض) وكذلك في الجملة في {الآيات: ١٧ - ١٨}

٤- اتخذ التقابل المتدرج صورتين في العرض :

أ - أن يبدأ بالمعنى الإيجابي وينتهي بالسلب كما بدأ في (آمن / عدل / طاع) وانتهى بـ (كفر / مال / تولّى) .

ب- أن يجمع ويوالي بين القطبين المتضادين ثم يليهما المتدرج من أحدهما كما في ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ {الآية ٢٥} فالمحصنة يقابلها (الزانية) (المسافحة) وهي المرأة التي لا تمتنع من أي رجل ، أما (متخذة الخدن) فهي التي لا تعاشر إلا رجلاً واحداً هو صاحبها ؛ فالخدن : (الصاحب) ، وهي أيضاً زانية في الإسلام وكانت العرب في جاهليتها تكره السفاح وتبيح (الخدن) فجاء الإسلام وحرمه في هذه الآية^(١) .

٥- يستخدم القرآن التقابل المتدرج عندما يعزف عن التقابل الحاد ، تحاشياً للحدة اللفظية فيه . ونوعاً من التلطف في التعبير لاسيما إذا تقدم المعنى الإيجابي على السلب فمثلاً نلاحظ في زوج التقابل (أ) من (آمن / أطاع / عدل) لم يرد التضاد الحاد فيها في الآيات التالية (٥٥ ، ١٧٣ ، ١٢٩) .
فالتضاد الحاد لها (كفر / عصي / ظلم) وإنما جاء زوج التقابل (ب) (آمن) يقابلها : (صدّ ، استنكف^(٢) ، استكبر) و (أطاع) يقابلها (تولي ، نازع) و(ظلم) يقابلها (مال) فاستخدم التقابل المتدرج من باب عدم المبالغة في الظم ، وكذلك للتلطف في التعبير .

(١) روح المعاني للألوسي : ٤/٣ ، لبنان - بيروت ، دار الفكر ، اللسان (خ ، د ، ن) .

(٢) استنكف : امتنع وانتفض أنفاً وحمية (اللسان) (ن . ك . ف) ، وقال الزجاج : الاستنكاف :

تكبر مع إنفغه ، وليس الاستكبار كذلك ، والاستكبار دون الاستنكاف ، روح المعاني للألوسي :

٣٧ ، ٤١/٣ .

٦- أما المواضع التي تقدمت فيها المعاني السلبية فنجد أنه سلك مسالك عدة :

أ - (نشوز + إعراض) يقابلها : (صلح) ولم يستخدم (طاعة) وهي التضاد الحاد للنشوز ، مع أنه عندما تحدث عن نشوز المرأة استخدم التضاد الحاد معها وهي (طاعة) في قولت : ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَإِنَّ أَطْعَنَكُمْ﴾ [الآية ٣٤] ، لأن المرأة ملزمة بطاعة زوجها وهذا يتوافق مع طبيعتها ، أما في نشوز الرجل فهو غير ملزم بطاعتها لأن هذا لا يتوافق مع طبيعته ، لذا استخدم (الصلح) ، ونجد أن القرآن عقب بعد النشوز بالإعراض والنشوز أشد . فابتدأ بالأشد لعظمه .

ب- (آذى / أعرض) فالإعراض يقابله (الإقبال) وليس الإيذاء ، وإنما استخدم القرآن (الإعراض مع الإيذاء) للدلالة على شدة المطالبة بكف الأذى والمبالغة في تحقيقه فالإعراض أبلغ وأشد من الترك .

ج- (شاجر / سلّم) لأن الضد الحاد لشاجر «صالح» إلا أن القرآن استخدم ما هو أشد منه وهو «التسليم» ، لأنه يدل على الانقياد والخضوع وهذا يتناسب مع سياق الآية ، لاسيما وأن الصلح مع معانيه (السلم) .

د - (كره / خيّر) وال ضد الحاد للكره (الحب) إلا أن القرآن استخدم (الخير) لأنه أعم من الحب ؛ ولأن الحب لا يؤدي دائماً إلى الخير ، فعزف عن التقابل الحاد لأنه يؤدي إلى تقييد النص واستخدام (الخير) لأنه أعم وأشمل .

٧- تعتقد الباحثة أن التقابل المتدرج يقوم في بنيته التحتية على تداخل دلالي بين تقابليين تم نحتهما ونتج منهما تقابل واحد ، وهذه المتقابلات الأربع

قطباها هو التضاد الحاد ووسطها هو التقابل المتدرج (أطاع ← قبل ← تولى ← أعطى)، فتحاشى القرآن (عصى) وتحول في درجات المعنى إلى (تولى) تطلقاً في التعبير . (أ - أطاع / ب - عصى) (ج - قبل / د - تولى) .

٨- في التقابل المتدرج في الموقف نجد عدة تقابلات متداخلة ، مما يثبت ما قلناه سابقاً في التقابل الحاد بأن تقابل الموقف يقوم على تقابلات متداخلة تبني تقابلاً متشعباً متعددأ يسمى بـ (الموقف) وهذا نلاحظه في الآيات التالية :

أ - في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ (الآية ١٧)، ثم قال : ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ ، ثم قال : ﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ . نجد أن التقابل تدرج في الإثم مع التوبة وذكر ثلاث حالات فيها :

١- يستحق التوبة الذين يعملون سوء بجهالة ثم يتوبون

(جمية مثبتة)

٢- ولا تحق للذين يعملون السيئات ويموتون عليها (جملة منقبة)

٣- ولا تحق للكفار (جملة منفية)

وهنا نجد التدرج من الأعلى ثم الوسط ثم الأدنى؛ فبني بذلك تقابلاً موقفياً .

ب- في قوله : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الآية ١١٠) .

ثم قال : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ (الآية ١١١) .

ثم قال : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ .

الدرجة الأولى : من يعمل سوءاً ثم يستغفر «وهي الأعلى سلوكاً والأعظم أجراً» .

الدرجة الثانية : من يكسب إثماً ولم يتب عنه (الأدنى سلوكاً مما قبلها والأقل ذنباً مما بعدها) .

الدرجة الثالثة : من يكسب إثماً ثم يرم به بريئاً (الأسوأ سلوكاً والأعظم ذنباً) .

ف نجد الآية قد عدت مراتب الإثم في تدرج وعرض عقلي جميل لم يكن ليبدو بهذا التناسق لولا أسلوب التقابل الدلالي .

ج- في قوله : ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ الآية ١٤٨ .

﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا / أَوْ تُخَفُّوهُ / أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ الآية ١٤٩ .

نجد أن القرآن قد ابتداءً بالنهي عن الجهر بالسوء للتشديد على كراهته ، ثم تدرج فجاء بـ (تبدؤوا) وهو أقل درجة من الجهر ثم انتهى إلى الإخفاء وهو أحب وأعظم أجراً ، ثم انتهى إلى الأعلى والأحب عند الله وهو (العفو) ، والعفو يعني (الصمت وتحمل السوء برضا) ويقابله (الجهر بالسوء) ، وتجد هنا التقابل ابتداءً بالجهر وانتهى بالعفو ، والنفو يتضمن السكوت ، بهذا نجد أربع ألفاظ متقابلة (الجهر ← الإبداء ← الإخفاء ← السكوت) فالطرفان حادان (الجهر / العفو) والوسط متدرج (إبداء / إخفاء) .

د - في قوله : (أ) (١) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾ {الآية ٢٦} .

(٢) ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾

(ب) (٣) ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا

عَظِيمًا﴾ {الآية ٢٧}

(٤) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ

ضَعِيفًا﴾ {الآية ٢٨} .

يلاحظ هنا أن جملة : (١) (٢) (٤) / تقابلها جملة (٣) ؛ فنجد هنا تقابلاً مفروقاً يختلف عن سابقه ، حيث عهدنا تتابع جمل التقابل لأحد الزوجين دون فاصل ، فنجد (١-٢) يقابلها ، وأن (٤) يقابلها (٣) أيضاً فهنا نوع من الالتفاف للزوج (أ) على مقابلة (ب) ومحاولة للسيطرة عليه وإضعافه من خلاله التقابل كوسيلة لغوية فكرية بالتقابل المفروق أيضاً والالتفاف المتناسق تتمازج الألفاظ مع الأساليب المتقابلة ؛ لتصور الحدث وتعمق المعنى .

٩- يتسع التقابل المتدرج - كما سبق - لتعدد حالات أحد زوجي التقابل بحيث تؤدي حروف العطف لاسيما (الواو) و (أو) بالجمع بين حالات التدرج ، مثال ذلك :

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا / وَإِنْ تَلَوُّوا / أَوْ تَعْرِضُوا﴾ {الآية ١٣٥} .

﴿مُحْصِنَاتٍ / غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ / وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ {الآية ٢٥} .

وفي الجملة قوله : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ {الآية ١١٠} ، و / ﴿مَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ، و / ﴿مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ

يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ {الآية ١١٢} .

١٠- يشيع في التقابل المدرج استخدام أسلوب التعزيز الدلالي لأحد زوجي التقابل كما في : ﴿يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ الآية ١٢٨ ، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الآية ٦٥ ، ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ الآية ١٩ ، ﴿فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ الآية ١١٢ ، ﴿أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ الآية ٢٧ .

ف (صلحاً ، وتسليماً ، وكثيراً ، وإثماً مبيناً ، وميلاً عظيماً) جميعها ألفاظ تعزيز وتقوية للمفرد أو للجمله قبلها ، ونلاحظ في بعضها استخدام المصدر المشتق من الفعل (صلحاً ، تسليماً ، ميلاً) .

١١- وقع التقابل المدرج في سورة النبأ في تسعة عشر موضعاً

ثالثاً: التقابل الدلالي المتعاكس:

ويقوم على :

- ١ - زوجين متضادين .
- ٢ - إمكان اجتماع الضدين معاً ، بخلاف التضاد الحاد الذي يستحيل فيه اجتماعهما .

أولاً: التقابل الدلالي المتعاكس بين مفردتين :

أ- في الضمائر :

١- بين هاء الغائب / وكاف الخاطب :

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ الآية ٢٢ .
﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ الآية ٩١ .

٢- في هاء الغائب للمذكر والمؤنث (التذكير / والتأنيث) :

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾
الآية ٣٥ .

ب- فى الحروف :

٣ - (عن / من) :

﴿وَأْتُوا النِّسَاءَ صِدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [الآية ٤] .

٤ - (إلى / على) :

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية ٦] .

٥ - (من / إلى) :

﴿فَإِن آَنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [الآية ٦] .

٦ - (به / عنه) :

﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [الآية ٥٥] .

٧ - (عليهم / لهم) :

﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [الآية ١٦٠] .

ج- فى الأزمنة النحوية :

٨ - (حكم / تحكم) ماضى + مضارع :

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [الآية ٥٨] .

٩ - (جادل / يجادل) ماضى + مضارع :

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ﴾ [الآية ١٠٩] .

١٠ - (حى / حىي) ماضى + أمر :

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ [الآية ٨٦] .

١١ - (استشهد / شهد) أمر محذوف بحروف الطلب + ماضى مجرد :

﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِن شَهِدُوا﴾ الآية ١٥ .

١٢ - (تألم + يآلم) مضارع بالتاء + مضارع بالياء :

﴿الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ الآية ١٠٤ .

١٣ - (تكفرون / كفروا) مضارع + ماضى :

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾ الآية ١٨٩ .

١٤ - (يخادع / خادع) مضارع + اسم فاعل :

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ الآية ١٤٢ .

١٥ - (يطيع / أطاع) مضارع + ماضى

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ الآية ٨٠ .

١٦ - (يقتل / يغلب) (فعل مبنى للمجهول + فعل مبنى للمعلوم)

﴿يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ الآية ٧٤ .

د- أسماء الجنس والقراة :

١٧ - (ذكر / أنثى) :

وردت في ثلاثة مواضع أولها ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾

آيات ١١، ١٧٦، ١٢٤ .

١٨ - (رجل / امرأة) :

في قوله ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ﴾ الآية ١٢

١٩ - (رجال / نساء) :

في قوله ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ الآية ١

وفى قوله ﴿وَالْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ {الآية ٧٥}

٢٠- (آباء / أبناء) :

فى قوله ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ {الآية ١١} .

٢١- (أم / ابنة) :

فى قوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ {الآية ٢٣} .

٢٢- (بنات الأخ / بنات الأخت) :

فى قوله ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ {الآية ٢٣} .

٢٣- (عماتكم / خالاتكم) :

فى قوله ﴿وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ﴾ {الآية ٢٣} .

هـ - (السماء / الأرض) :

٢٤- فى قوله : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ {الآية ١٢٦} وكذلك فى

الآيات : {١٣١ ، ١٣٢ ، ١٧٠ ، ١٧١} .

٢٥- (مبشرين / منذرين) :

فى قوله ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ {الآية ١٦٥} .

ثانياً: التقابل الدلالي المتعاكس بين جملتين :

٢٦- ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ {الآية ١٧٦}

أ - ﴿أَمْرٌ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ {الآية ١٧٦} .

ب- ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ {الآية ١٧٦} .

كلاله (رجل) ترثه أخته ولها النصف .

كلاله (امراة) يرثها أخوها .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

٦- يتفاعل التقابل مع التنافر كعلاقتين دلالتين في سياق السورة حيث يجتمعان في قوله ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدَانِ﴾ {الآية ٧٥} ، فالرجال مع النساء تقابل ، ومع الوالدان تنافر ، وكذلك في (أم / ابنة + أخت) آ ٢٣ ، فالأم مع الأبنة تقابل ، ومع الأخت تنافر .

٧- يشترك التكرار مع التقابل كنوعين من أنواع العلاقات الدلالية في سبك النص ؛ حيث تتعاضد الظاهرتان معاً في صياغة السورة في عرض حركي مميز أدى إلى تماسك السياق ، وهذا ما أكدته علماء النص بأن التكرار يهدف إلى تدعيم التماسك النصي من جانب وتحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص من جانب آخر^(١) . ونلاحظ التكرار في قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ حتى أنها وردت في آيتين متواليتين وفي موضعين من السورة الآية ١٣١ / ١٣٢ ، والآية ١٧٠ / ١٧١ . وكذلك نلاحظه في تكرار مقدمة التقابل في قوله : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَ﴾ {الآية ٣٢} وأيضاً في الآية ٧ .

٨- نلاحظ وجود التقابل الكمي بين الجملتين في آ ٧ ، حيث حدث التقابل بين (أ/ب) بطول واحد ، ثم عقب بعده بتقابل بين الجملتين المتساويتين طولاً ثم تلاه بالتقابل بين المفردتين وجاء قصيراً جداً ، وهو قوله : ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ وهذا التقابل القصير في الجملة أعطى الإيقاع جمالاً بعد جملتين متقابلتين .

٩- كما عهدنا سابقاً بأن التقابل في الموقف يبنى على تقابلات متنوعة يلتفت بعضها على بعض : فنجد في قوله : ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ...﴾ {الآية ١٢} أن الزوج (أ) من المتقابلين يبنى على الزوج (ب) بالبناء نفسه ، ثم قابل بين الجملتين حيث يبنى التقابل من جملة (جملة

مثبتة + جملة منفية) «تقابل حاد (١)» + (جملة مثبتة + جملة منفية) +
(تقابل حاد (٢) = تقابل متعاكس موقفي» .

١٠- وقع التقابل المتعاكس في سورة النساء في ثمانية وثلاثين موضعاً .

التقابل الدلالي بين مستويين لغويين أو بين لغتين :

وهو نوع من أنواع التقابل الذي أشار له برندشبلنر ؛ حيث يأتي بعده
صور :

الصورة الأولى : التقابل بين مستويين لغويين أو لهجتين ، في اللغة
الواحدة .

الصورة الثانية : التقابل بين لغتين مختلفتين .

١- الصورة الأولى : (راعنا / انظرنا) :

في قوله : أ- ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا
بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ [الآية ٤٦] .

ب- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾
[الآية ٤٦] .

أ- (راعنا) : من جهة الطلب والمراعاة أي : التفت إلينا ، وكان هذا
بلسان اليهود سباً ، فهو عندهم من الرعونة حيث كانوا يخاطبون بها النبي
ﷺ ، استهزاءً فيما بينهم^(١) .

ب- انظرنا : هي المقابل الدلالي الأرقى لـ (راعنا) / لذا استخدمها القرآن
فهنا حدث تقابل دلالي بين لهجتين (راعنا) بلهجة اليهود ويقصد بها (السب)

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي : ٥٧/٢ ، بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ت ١٤٠٥ هـ .

(وانظرننا) وهي اللهجة التي نزل بها القرآن ، مرادفة وبديلاً لـ (راعنا) تجنباً للألفاظ التي تحمل النقيص والتعريض ؛ فالآية قابلت بين مستويين لغويين لترفع بذلك الدلالة من الانحطاط إلى الرقي .

٢- الصورة الثانية : (حوباً / إثمًا) :

في قوله : ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [الآية ٢٠] .

الحوب : الإثم بلغة أهل الحبشة^(١) ونجد أن القرآن قد استخدم (الإثم) و(الحوب) في السورة علماً بأن الحوب لم يرد في القرآن الكريم إلا في سورة النساء في هذا الموضع فقط ، وقد استخدم (الإثم) في تحريم استرجاع مهر المرأة المطلقة حيث قال : ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الآية ٢٠] . وفي خمسة مواضع أخرى (آ ٤٨ ، آ ٥٠ ، آ ١١١ ، آ ١٢٢ ، آ ١٠٧) فالتقابل ههنا بين لغتين في معنى واحد ، فالحوب بالحبشية ، هو الإثم بالعربية ، فلعله استخدم الأعجمي هنا لما فيه من إيهام وغموض ، للدلالة على تعظيم أكل مال اليتيم ظلماً .

كما سبق نجد أن التقابل الدلالي يرتقي ليصل إلى مستوى الظاهرة في القرآن الكريم ؛ لاسيما في سورة النساء حيث ورد في خمسة وتسعين موضعاً مما يجعله جديراً بالدراسة والنظر .

ومما أثبتته الدراسة أن التقابل نتاج اختيارٍ واعٍ للغة ، ومنهج عقلي فكري يسعى إلى أغراض شتى تفوق بكثير ما حصره البلاغيون فيه فهو وسيلة للإيجاز واختزال اللغة ، وهو أيضاً متشعب ومتفرع لا يقف عند تقابل المفردتين كما يرى القدماء بل تجاوزهما إلى تقابل الجمل والسياقات والنصوص ليبلغ في ذلك

(١) المصدر السابق ، ١/٥ .

غايته في النص وهي الإقناع والعرض ، ليلون بذلك المعنى المعرفي للكلمة والنص ويعمق أثرها ، ثم يضيف على النص جمالاً لفظياً وإيقاعاً صوتياً ، ولعل الناظر إلى هذه الدراسة يجد فيها ما يستنبطه لبحوث أخرى في التقابل ، كإعداد معجم إحصائي لغوي لألفاظ التقابل بين المفردتين في القرآن الكريم ، وكذلك البحث في التقابل في السياق والنص ، كالتقابل بين الجنة والنار ، والإيمان والكفر في القرآن الكريم كذلك التقابل بين السور مما يوقفنا على فهم أسرار القرآن الكريم وتراكيبه فلا نقف على حدود وعينا به ، بل نتجاوز ذلك إلى قدرتنا على الإبداع اللغوي فكرياً وأدبياً لاسيما أننا في زمن أصبح للكلمة فيه قوة خطيرة لم يعهد لها مثل من قبل .

وفي الختام إذا أردت أن تؤمن بأن الحضارة الإنسانية بتتاجها الفكري والعلمي ليست ملكاً لأحد ، بل موروث فكري للجميع فانظر في باب التقابل وتتبع تاريخه من مجرد فكرة ومنهج حتى أصبح ظاهرة ونظرية ، حيث اجتمعت فيه ثلاث ثقافات: ثقافة يونانية ابتدأها أرسطو ثم ثقافة عربية أصلها ابن المعتز ، وقدامة بن جعفر ، وآخرها ثقافة غربية نظَّرها سابير ، وبالمر ، وجون لاينز ؛ ومع العرب المحدثين يتغيب الإبداع ويضعف الاعتزاز بالهوية في عصر يتطلب عقلاً أكثر قدرة ، ووعياً أكثر نضوجاً ، حتى نتخطى الهزيمة ؛ لاسيما وأننا نملك ثقافة وفكراً ربيعاً لهما القدرة على الاحتواء والتفاعل الحضارى ، واللغة هي وعاء ذلك كلمة ورحمته .

والله الموفق ،

خلاصة البحث

يتناول البحث ظاهرة لغوية دلالية هي ظاهرة «التقابل الدلالي» ، أحد أنواع العلاقات الدلالية ، وفي مجال خصب من مجالات الدلالة ، وهو علم الدلالة التركيبي وإبداع من إبداعاته هو التوليد الدلالي ، مع العلم بأن الوصف الشامل والمرضى لهذه الظاهرة لم يولد بعد - كما يُقَرُّ بذلك اللغويون - بسبب عزوف اللغويين عنها ؛ بالرغم من أنها لا تقل عن أي ظاهرة من ظواهر الثروة اللفظية كالترادف ، والمشارك ، والتضاد ، فذلك العزوف أدى إلى قلة الدراسات السابقة وشحها .

وينقسم البحث في الظاهرة إلى مقدمة وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، وخلاصة البحث ، ومسرود للمصادر والمراجع .

وقد تناولت المقدمة نبذة عن علم الدلالة ، ونبذة عن الحركة اللغوية والأسلوبية التي يموج بها النص في سورة النساء ، والتي ارتكزت على التقابل الدلالي .

وفي التمهيد تعرض البحث لمصطلح التقابل : لسغةً واصطلاحاً عند اللغويين ، والبلاغيين ، والمتكلمين .

أما المبحث الأول فتناول : «التقابل الدلالي في التراث العربي»

تناولت المقدمة : العلاقة بين البلاغة والمنطق عند القدماء ، ثم التقابل عند المناطق ، والأصوليين ، والمتكلمين ، ثم «باب الطباق والمقابلة» عند البلاغيين من القرن الثالث (عبد الله بن المعتز تـ ٢٩٩هـ) وحتى القرن الثامن (حمزة بن الجلبوي تـ ٧٤٩هـ) وانتهى المبحث بخلاصة تضم أبرز نتائجه ، يليه تصور لنظرية التقابل الدلالي عند العرب القدماء .

أما المبحث الثاني فتناول «التقابل الدلالي في الدرس اللغوي الحديث» تناولت المقدمة التغيرات التي شهدتها علم الدلالة الحديث من الانتقال من المفردة إلى الجملة ثم السياق ثم النص ، فأصبحت العلاقة بين البلاغة والدلالة علاقة تأثير وتأثر ؛ لذا كانت ظاهرة التقابل الدلالي باباً يتجاذبه الدالليون ، والبلاغيون ، حتى أصبح مبحثاً حيويًا عند علماء الدلالة كـ (بالمر) و(جون لايتز) وغيرهم ، ثم أصبح مبحثاً أسلوبياً نصياً عند (برند شبلنر) .

أما علماء الدلالة العرب المحدثون فقد تلقفوا ما كتبه الغربيون ، وحاولوا ترجمته وتعريب تطبيقاته دون أدنى إضافة أو تجديد ، فقد كتب فيه د. أحمد مختار عمر ، ود. حلمي خليل وغيرهما ، وكتب فيه د. عبید المجيد جحفة (من المغرب) وتناوله تناولاً إبداعياً جديداً حيث ربطه بالمعجم ، ثم ختم المبحث بخلاصة تضم أهم نتائجه، وتصورٍ لنظرية التقابل الدلالي عند المحدثين .

أما المبحث الثالث فهو (التقابل الدلالي دراسة تطبيقية في سورة النساء) حيث تم حصر آيات التقابل في سورة النساء في خمسة وتسعين موضعاً ثم تم تصنيفها على النحو التالي : «التقابل الدلالي الحاد / المتدرج / المتعاكس/» ثم قسم كل نوع إلى ثلاثة أقسام «التقابل في المفردة / التقابل في الجملة / التقابل في الموقف» ثم ختم بالتقابل الدلالي بين مستويين لغويين وبين لغتين ، مع الإشارة إلى التقابل الكمي في الجمل والسياق في كل نوع من أنواع التقابل . وانتهى البحث بخاتمة وتوصيات وخلاصة ومسرد للمراجع والمصادر . والله الموفق .

مسرد المصادر والمراجع

- ١- إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي د. محمد العبد، القاهرة ، دار المعارف ، ط١ / ١٩٨٨ م .
- ٢- الأسلوبية وعلم الدلالة ، ستيفن أولمان ، تح محيي الدين محسب ، مصر/ المنيا / دار الهدى للنشر والتوزيع ت ٢٠٠١ م .
- ٣- الإيضاح في علوم البلاغة ، لسلخطيب القزويني ، تح عماد بسيوني زغلول، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ط ٤ ، ١٤١٥ هـ .
- ٤- البديع ، عبد الله بن المعتز ، تح محمد خفاجي ، بيروت ، دار الجليل .
- ٥- البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف ، القاهرة ، دار المعارف .
- ٦- البلاغة العربية بين القيمة والمعيارية ، د. سعد أبو الرضا ، جدة / دار عكاظ ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .
- ٧- التصور اللغوي عند الأصوليين ، د. السيد أحمد عبد الغفار ، جدة / دار عكاظ ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .
- ٨- التوليد الدلالي د. حسام البهنساوي ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، ط١ / ٢٠٠٣ م .
- ٩- التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم (المعرفة اللسانية) : أبحاث ونماذج ، المغرب، الدار البيضاء ، دار تويقال للنشر ، ط١ / ١٩٨٧ .
- ١٠- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥ هـ .
- ١١- الخطابة ، لأرسطو طاليس ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، الكويت ، وكالة المطبوعات / لبنان ، دار القلم .

- ١٢- الدلالة والنحو د. صلاح الدين صالح حسنين القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥م ،
رقم الإيداع ٧٠٣٥ .
- ١٣- دراسة المعنى عند الأصوليين ، د. طاهر سليمان حمودة ، الإسكندرية ،
الدار الجامعية للطباعة والنشر ، ١٤٠٣هـ .
- ١٤- رُوح المعاني للألوسي ، لبنان ، بيروت ، دار الفكر .
- ١٥- الصحاح ، الجوهري ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، دار
العلم للملايين ، ط ٣ / ١٤٠٤هـ .
- ١٦- الطراز العلوي ، تح : محمد عبد السلام شاهين ، بيروت ، دار الكتب
العلمية ت ١٤١٥هـ .
- ١٧- العلاقات الدلالية في التراث العربي ، دراسة تطبيقية ، د. عبد الواحد
حسن الشيخ ، الاسكندرية ، مكتبة الإشعاع ، ط ، ١٤١٩هـ .
- ١٨- علم الدلالة ، جون لاينز ، ترجمة ، مجيد الماشطة ، حلیم فالح ،
كاظم باقر ، العراق ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، ١٩٨٠م .
- ١٩- علم الدلالة ، كلود جرمان ، ريمون لوبلون ، ترجمة د. نور الهدي
لوشن ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي .
- ٢٠- علم الدلالة ، د. محمد الخولى ، الأردن ، دار الفلاح للنشر والتوزيع
ت ٢٠٠١م .
- ٢١- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، د. صبحي إبراهيم الفقي ،
القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .
- ٢٢- علم اللغة والدراسات الأدبية ، برنند شبلنر ، ترجمة محمود جاد الرب ،
دار الفنية للنشر ، ١٩٨٧م .

- ٢٣- علم لغة النص ، د. سعيد بحيري ، لبنان مكتبة لبنان ، ناشرون ، ط١ ، ١٩٩٧ م .
- ٢٤- العمدة ، لابن رشيق القيرواني ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الجيل ، ط٤ ، ١٩٧٢ م .
- ٢٥- العين ، الخليل بن أحمد ، تح : د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ، بغداد ، وزارة الثقافة والإرشاد ، ت١٩٨٠ م .
- ٢٦- كشف اصطلاحات الفنون ، التهانوي ، الهند ، ١٤٠٤ هـ .
- ٢٧- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تح : محمد علي البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة المكتبة العصرية ، ١٤٠٦ هـ .
- ٢٨- الكلمة (دراسة لغوية معجمية) د. حلمي خليل ، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية .
- ٢٩- لسان العرب ، لابن منظور ، بيروت ، دار صادر .
- ٣٠- اللغة والمعنى ومعنى الكلمة (علم الدلالة) د. آروز ، الموسوعة اللغوية، المجلد الأول ، تحرير الاستاذ الدكتور ن. ي ، كولنج ، ترجمة محيي الدين حميدي ، د. عبد الله الحميدان ، الرياض ، جامعة الملك سعود ، النشر العلمي والمطابع .
- ٣١- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن محمد العاصي ، الرياض .
- ٣٢- مدخل إلى علم الدلالة الحديثة ، د. عبد المجيد جحفة ، تونس ، تويقال للنشر ، ط١ ، ٢٠٠٠ م .
- ٣٣- مدخل إلى علم اللغة ، كارل ديتز بونتنج ، ترجمة د. سعيد بحيري ، القاهرة، مؤسسة المختار ، للنشر والتوزيع .

- ٣٤- المصاحبة في التعبير اللغوي ، د. محمد حسن عبد العزيز ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٤١٠هـ .
- ٣٥- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، د. محمد أحمد أبو الفرج ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م .
- ٣٦- معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، الرياض ، دار الرفاعي ، جدة ، دار النار ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ .
- ٣٧- المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ، لبنان ، بيروت ، دار المعرفة .
- ٣٨ - مقاييس اللغة لابن فارس ، تح . عبد السلام هارون ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ط ٣ ، ١٤٠٢هـ .
- ٣٩- موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي تح : سميح دغيم ، لبنان ، مكتبة لبنان ناشرون ، ١٩٩٨م ..
- ٤٠- النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، القاهرة ، نهضة مصر للطباعة والنشر .
- ٤١- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: كمال مصطفى ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .

إعراب الاسم المرفوع بعد «إن» و«لو» دراسة في ضوء المنهج المقارن

د. نهلة حسين إمام
قسم اللغة العربية
كلية الألسن - جامعة عين شمس

مقدمة

هذا الموضوع من الموضوعات التي شغلت أذهان دارسي اللغة العربية قديما وحديثا، وقد تعددت، بل واختلفت آراؤهم فيه كما أن هذا النمط من أنماط الشرط ورد في القرآن الكريم والنثر والشعر القديم، وما زال مستخدما في الشعر المعاصر^(١)، والنثر الحديث والنثر المعاصر.

وهذا الموضوع يرتبط بعدة قضايا في اللغة العربية، منها قضية العامل عند النحاة القدماء، وما سنوه من قواعد تحدد الأدوات التي تختص بالعمل في الفعل فقط، والأدوات التي تختص بالعمل في الاسم فقط، وكذلك قضية الاشتغال. ولما كان مفهوم الشرط هو «ترتيب وقوع أمر علي أمر آخر بواسطة اداة ملفوظة»^(٢)، فقد ارتبط هذا الموضوع بدلالة الزمن في الجملة العربية أيضا. فهل دلالة الزمن تنحصر في الفعل فقط، وعلي هذا الأساس ربط النحاة القدماء بين مفهوم الشرط والجملة الفعلية؟^(٣) وكذلك يرتبط هذا الموضوع بتركيب الجملة وأثره في معناها. والسؤال المطروح هو: هل هناك فرق في المعني بين الجملة الاسمية المتحولة عن الجملة الفعلية والجملة الفعلية أو أنهما متساويتان في المعني كما ذكر ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) في أماليه؟^(٤) وهناك سؤال آخر يطرح نفسه، وهو: هل لهذه الأدوات نظير في اللغات السامية الأخرى، ومن ثم هل جاء معها هذا النمط من أنماط الشرط؟

يحاول هذا البحث الإجابة عن هذه الأسئلة. وقد خص البحث

الأداتين (إن) و(لو) بالدراسة؛ لأن لهما نظير في بعض اللغات السامية، وسيتناول (إذا) بالدراسة أيضاً، علي الرغم من أن هذه الأداة موجودة في اللغة العربية فقط^(٥)؛ لاشتراكها في هذا النمط مع (إن) و(لو). كما سيتناول (لولا) بالدراسة كذلك؛ لأن المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ذكر أن لولا إنما هي (لو) و(لا)، جعلتا شيئاً واحداً وأوقعنا علي هذا المعني^(٦)، وهو ما حدث في اللغة العبرية أيضاً^(٧). ولن يتناول البحث الأداة (لوما)؛ لأن النحاة اختلفوا فيها فمنهم من عدها أداة شرط^(٨). ومنهم من عدها أداة تحضيض^(٩)، وهي لم ترد في القرآن إلا في آية واحدة بقصد التحضيض^(١٠).

ويبدأ البحث بعرض استخدام الأدوات (إن، ولو، ولولا، وإذا) في اللغة العربية، وما يقابلها في اللغات السامية، ثم يتناول موضوع مفهوم الشرط وارتباطه بالزمن، وكذلك ارتباط أدوات الشرط بنظرية العامل ثم يتناول قضية إعراب الاسم المرفوع بعد هذه الأدوات، فيعرض آراء النحاة القدماء في هذا النمط من أنماط الشرط، ثم رأي المحدثين، ورأي البلاغيين في قضية تقديم الفاعل وتحويل الجملة الفعلية إلي جملة اسمية، والفرق الدلالي بين الجملتين مع عرض بعض النماذج لهذا النمط الشرطي في الشعر القديم والنثر القديم والقرآن الكريم، والنثر الحديث، والنثر المعاصر. وأخيراً يتناول البحث هذا النمط من أنماط الشرط في اللغات السامية.

ورموز الأصوات في اللغات السامية المستخدمة في هذا البحث علي النحو التالي: للهمزة (ʾ) وللباء (b) وللپاء (P) والتاء (t) وللثاء (t) وللجيم (g) وللحاء (h) وللحاء (h) وللدال (d) وللذال (d) وللراء (r) وللزاي (z) وللسين (s) وللسامخ العبرية (ś) وللشين (š) وللصاد (š) وللضاد (d) وللطاء (t) وللظاء (d) وللعين (ʿ) وللغين (g) وللفاء (f) وللثاء (v) وللقاف (q) وللكاف (k) ولللام (l) وللميم (m) وللنون (n) وللهاء (h) وللواو (w) وللياء (y). وللفتحة القصيرة (a) والطويلة (ā) وللكسرة القصيرة الخالصة (i) والطويلة (ī) وللكسرة القصيرة المماله (e) والطويلة (ē) وللضمه القصيرة الخالصة (u)

والطويلة (ii) وللضمة القصيرة الممالة (i) والطويلة (ō) وللفتحة المخطوفة (ā) وللكسرة المخطوفة (ǎ) وللضمة المخطوفة (ǝ) وللمد غير الأصلي (a). (ii).

أولاً: «إن» و«لو» في اللغة العربية واللغات السامية الأخرى:

(إن) أداة شرط جازمة تجزم فعلين إذا كانا مضارعين في اللغة العربية وذكر النحاة أن «(إن) أبداً مبهمة»^(١١) وأن «مخرجها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر»^(١٢) ورفض الإستراباذي (ت ٦٨٦هـ) الرأي القائل بأنها لا تستعمل إلا فيما كان مشكوكاً في وجوده^(١٣) فقال «ليست للشك بل لعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها وعدم وقوعها»^(١٤)، وقد تدخل على المستحيل أبهم زمانه كقوله تعالى «أفإن مت فهم الخالدون»^(١٥)، وقد تدخل على المستحيل^(١٦) كقوله تعالى «قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين»^(١٧) ويذكر الإستراباذي ثلاثة استعمالات أخرى لـ (إن) فيقول: «وقد تستعمل إن الشرطية في الماضي على أحد ثلاثة أوجه إما على أن يجوز المتكلم وقوع الجزاء ولا وقوع فيه كقوله تعالى «إن كان قميصه قد من قبل فصدقت»^(١٨) وإما على القطع بعدمه فيه، وذلك المعنى الموضوع له (لو) كقوله تعالى «إن كنت قلته فقد علمته»^(١٩) وإما على القطع بوجوده نحو: زيد وإن كان غنياً لكنه بخيل، وأنت وإن أعطيت جاهاً للئيم، واستعمالها في الماضي على خلاف وضعها، ولا تستعمل فيه في الأغلب إلا وشرطها كان لما يأتي في الجوازم»^(٢٠).

و(إن) في العربية يقابلها في العبرية בְּ (im) ، والعبرية المتأخرة

(hen) ، وفي الآرامية بְּ (in) ، وفي الآرامية الفلسطينية (hen) ، والسريانية (en) ، والمندعية (hin) ، والعربية الجنوبية בְּ (hm) ، والحبشية ኢ (emma) أو (em) (٢١).

أما (لو) فأداة شرط غير جازمة في العربية، ويذكر سيبويه (ت ١٨٠هـ) أنها لما كان سيقع لوقوع غيره^(٢٢)، ويربطها المرادى (ت ٧٣٩هـ) بالفعل، فيقول «(لو) حرف يدل على تعليق فعل بفعل، فيما

مضى، فيلزم من تقدير حصول شرطها حصول جوابها، ويلزم كون شرطها محكوماً بامتناعه^(٢٣)... وأما جوابها فلا يلزم كون ممتنعاً، وقد أتى بمعنى (إن) فتدل على المستقبل كما في قوله تعالى ﴿وليشخس الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم﴾^(٢٤)، وقد تدل على التمني بمنزلة «ليت» في المعنى لا في اللفظ والعمل^(٢٥). كما في قوله تعالى ﴿وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم﴾^(٢٦) وقد تكون للاستمرار أيضاً كما في قوله (صلى الله عليه وسلم) (لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً)^(٢٧).

وقد ربط النحاة بين (لو) و(لولا)، فذكر سيبويه أن «لو بمنزلة لولا»^(٢٨)، وأما (لا) فتكون كما في التوكيد واللغو... وقد تغير الشيء عن حاله كما تفعل (ما) وذلك قولك (لولا) صارت (لو) في معنى آخر^(٢٩).

و(لو) في العربية يقابلها في العبرية ל (lo) والآرامية القديمة ל (lo)

(lō)، والآرامية نب: ل (lō) ، وقد استعارتها العبرية الحديثة من الآرامية. وتأتي هذه الأداة في العبرية مع النفي فتصير ל (lo) ، أو ל (lo) (lō) ، وهي تقابل (لولا) في العربية. والدلالة المشتركة بين العربية واللغات السامية الأخرى في هذه الأداة هي التمني^(٣٠).

أما (إذا) فهي أداة خاصة باللغة العربية^(٣١)، وهي غير جازمة. ذكر النحاة أنها ظرف للمستقبل مضمنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية^(٣٢)، وهي تجيء وقتاً معلوماً^(٣٣)، ولذلك فهي غير جازمة لأن حروف الجزاء مبهمه^(٣٤). وقد أشار العالم الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة إلى مجيئها في بعض آيات القرآن الكريم مستعملة استعمال (إذا) للزمان الماضي^(٣٥). كما في قوله تعالى ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾^(٣٦)، وكذلك قد تفيد الاستمرار كما في قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا﴾^(٣٧) ﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذناك أولو الطول منهم﴾^(٣٨).

ثانيا : مفهوم الشرط و ارتباطه بالزمن :

عرف ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) الشرط بقوله :

فعلين يقتضين : شرط قُدِّمًا .. يتلو الجزاء ، وجواباً وسماً

و يعلق الأشموني (ت ٩٢٩ هـ) على هذا الرأي فيذكر أنه إنما قال فعلين و لم يقل جملتين للتبويه على أن حق الشرط و الجزاء أن يكونا فعلين ، و إن كان ذلك لا يلزم فى الجزاء ، و يبرر الصبان (ت ١٢٠٦ هـ) استخدام ابن مالك للفظ (فعلين) ، فيرى أن التعبير بجملتين يوهم كون الشرط جملة اسمية مع أنه ليس كذلك^(٣٩) و إنما ارتبط هذا الرأي بمفهوم النحاة عن الشرط لأن " معنى تعليق الشيء على الشرط إنما هو وقوف دخوله فى الوجود على دخول غيره فى الوجود " ^(٤٠) و لذلك يرى النحاة أن " الشرط و الجزاء لا يصحان إلا بالأفعال ، أما الشرط ؛ فلأنه علة و سبب لوجود الثانى ، و الأسباب لا تكون بالجوامد إنما تكون بالأعراض و الأفعال ، و أما الجزاء فأصله أن يكون بالفعل أيضا؛ لأنه شئ، موقوف دخوله فى الوجود على دخول شرطه ، و الأفعال هى التى تحدث و تنقضى و يتوقف وجود بعضها على وجود بعض لاسيما و الفعل مجزوم ؛ لأن المجزوم لا يكون إلا مرتببا بما قبله ، و لا يصح الابتداء به من غير تقدم حرف الجزم عليه " ^(٤١) و هكذا ارتبط مفهوم الشرط عند النحاة بالتعليق و السببية و الحدوث و الانقضاء و التجدد ، و لكن هل ترتبط هذه الدلالات بالأفعال و الجمل الفعلية فقط ؟ إن الإسترابادى عند حديثه عن إضافة ظرف الزمان- الجائز الإضافة- إلى الجمل يذكر أن إضافة ظرف ، الزمان إلى الجملة الفعلية أكثر منها إلى الاسمية ، و الاسمية المضاف إليها إما أن يستفاد الزمان منها بكون ثانى جزئها فعلا كقوله تعالى (يوم هم على النار يفتنون) ^(٤٢) أو يكون مضمونها مشهور الوقوع فى أحد الأزمنة الثلاثة . و إن كان جزاها اسمين ، أما فى الماضى فنحو : أتيتك حين الحجاج أمير ، و فى المستقبل نحو : لأخذنك حين لا شئ لك ، و قوله تعالى (يوم هم بارزون) ^(٤٣) كما يعترض الإسترابادى على قول المبرد إن الزمان الجائز الإضافة لا يضاف إلى الاسمية إلا بشرط كونها ماضية المعنى حملا على (إذ) الواجبة الإضافة إلى الجمل ، و يحتج الإسترابادى بالآيات القرآنية السابق ذكرها ^(٤٤) فالمبرد و الإسترابادى يقران بأن الجملة الاسمية يمكن أن

تكون ماضية أو مضارعية المعنى ، بل إن الإستراباذى يشير إلى أن الجملة الاسمية المكونة من اسمين يمكن أن يستفاد منها الزمن إذا كان مضمونها مشهور الوقوع فى أحد الأزمنة الثلاثة . و ما أشار إليه الإستراباذى هو ما يسميه تمام حسان الزمن النحوى ، و زمن الاقتران ، فالزمن الذى يقترن بالفعل هو ما يطلق عليه تمام حسان الزمن الصرفى ، و لتمام حسان رأى فى الزمن فى اللغة العربية جدير بالذكر يمكن تلخيصه فيما يلى :

يرى تمام حسان أن الزمن الصرفى هو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق ، فكان من السهل على النحاة أن يحدوده من أول وهلة ، و لكن هذا لا ينفى أن هناك زمنا يمكن أن يفهم من السياق ، و هو وظيفة يمكن أن يؤديها الفعل و غيره من أقسام الكلم التى تنقل معناه ، مثل الصفة و المصدر . و هناك زمن الاقتران ، و هو الذى يكون بين حدثين ، و هذا الزمن يستفاد من الظروف الزمانية فى أقسام الكلم ، مثل : إذ ، و إذا ، و إن ، و لما .. الخ . و هذا المعنى وظيفى كالزمن النحوى و لكن الفرق بينهما هو إفادة الاقتران و عدمها . و لما نظر النحاة إلى الجمل الإنشائية وجدوا صيغة (فَعَلَّ) تفيد الاستقبال فى التحضيض و الدعاء و الشرط مثلا ، فنسبوا اختلاف الزمن إلى الأدوات فقالوا : إن (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان ، و هكذا لم يدرك النحاة طبيعة الفرق بين مقررات نظام الزمن التى وضعوا قواعدها و مطالب السياق . و كان عليهم أن ينسبوا الزمن الصرفى إلى النظام الصرفى ، و ينسبوا الزمن النحوى إلى مطالب السياق ، و هى الظواهر الموقعية ، و مادام الزمن النحوى وظيفية فى السياق يؤديها الفعل و الصفة .. الخ . فلا بد أن تلعب القرائن الحالية و المقالية دورها كاملا فى تحديد هذا الزمن ، كما أن يستخدم اسم الفاعل فى الجملة فى علاقات سياقية كعلاقة الإسناد و التعدية كما فى نحو (أضارب أخوك زميله) فكلمة ضارب فى هذا التركيب محتملة للحال و الاستقبال دون تعيين لأحدهما بواسطة قرينة لفظية مثل ظرف الزمان الدال على الحال مثل (الآن) أو الاستقبال مثل (غدا) ، فلا بد أن تتعين لأحدهما هنا بقرينة الحالية ، كان تقال الجملة أثناء وقوع الضرب ، فتكون القرينة هى المقام و إلا كان فى الكلام لبس . أما إذا أضيف الوصف إلى ما بعده ، ففى معناه من جهة الزمن احتمالات .

١- الدلالة على الماضى بقريئة حالية أو مقالية كقولك (أبو بكر قاهر المرتدين) أو (هذا ضارب زيد أمس) على الترتيب .

٢- الدلالة على مطلق الوصف كقولك فى الله تعالى : (واهب النعم) . و هكذا تضيف القرانن الحالية و المقالية إلى الصفات و المصادر معانى جديدة لم تكن لها فى الصرف ، و هذا مظهر من مظاهر تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد .^(٤٥)

و بعد أن تناولنا باختصار رأى تمام حسان فى الزمن فى الجملة و الذى يتفق مع واقع اللغة العربية ، ينبغى أن يعاد النظر فى رأى النحاة فى ارتباط الشرط بالجملة الفعلية ، خاصة أن بعض النحاة مثل المررد و الإسترابادى قد تنبهوا إلى أن الزمن يمكن أن يستفاد من الجملة الاسمية أيضا .

ثالثا : ارتباط أدوات الشرط بنظرية العامل عند النحاة :

إن ربط النحاة الشرط بالأفعال و بنظرية العامل جعلهم يرفضون فكرة مجيء الاسم بعد حروف الجزاء؛ لأن المجازاة لا تكون إلا بفعل^(٤٦) ، بل منهم من رأى أن الأصل فى الجزاء أن تكون أفعاله مضارعة ؛ لأنه يعربها ، و لا يعرب إلا المضارع .^(٤٧) بصرف النظر عن نسبة شيوع كل نمط من أنماط الشرط ، و إن رتب ابن مالك أنماط الشرط حسب نسبة شيوعها^(٤٨) ، و لذلك رفض النحاة فكرة أن يلى الاسم أدوات الشرط التى تختص بالفعل فقط . فسيبويه يذكر أن حروف الجزاء يقبح أن تتقدم الأسماء فيها قبل الأفعال ، و ذلك لأنهم شبهوها بالأدوات التى تجزم فعلا واحدا^(٤٩) ، و لكنه عندما وجد هذا النمط موجودا فى الشعر القديم قال " إلا أن حروف الجزاء قد جاز ذلك فيها فى الشعر ؛ لأن حروف الجزاء يدخلها فَعَلٌ و يَفْعَلٌ " ^(٥٠) أى يدخلها الفعل الماضى و المضارع . و يرى النحاة أنه لا يكون ذلك فى غيرهن من العوامل ، كما يرون أن هذا النمط لا يأتى إلا إذا اضطرب الشاعر فيجوز له أن يفصل بين أداة الشرط و الفعل، سواء جزمت أو لم تجزم.^(٥١)

و نظرية العامل جعلت النحاة يرفضون نمطا من أنماط الشرط . هو مجيء الاسم مرفوعا بعد أداة شرط يليها فعل ، إذا جاء بعدها فعل ينصب ضميرا يعود

على هذا الاسم ، و هو ما يعرف عند النحاة بالاشتغال كما فى نحو " إن زيدا تراه
تضرب " لأن (إن) عندهم أبعد من الرفع ؛ لأنه لا يبنى فيها الاسم على مبتدأ^(٥٢)
و هذا الرأي ينطبق على (إذا) أيضا كما فى نحو " إذا عبد الله تلقاه فأكرمه^(٥٣)
على إضمار فعل يفسره الفعل بعده . و إذا وجدوا فى هذا النمط اسما مرفوعا
أولوه بما يتناسب مع المعنى .^(٥٤)

رابعا : رأى النحاة القدماء فى الاسم المرفوع بعد (إن ، و إذا ، و لو ، ولولا) :

اختلف رأى النحاة فى كيفية إعراب الاسم إذا جاء مرفوعا بعد هذه الأدوات ،
بل إن النحوى الواحد قد يختلف رأيه فى كيفية إعراب الاسم المرفوع بعد أداة
شروط عنه بعد أداة شرط أخرى ، و لذلك سيتناول البحث آراء النحاة فى كيفية
إعراب هذا الاسم بعد كل أداة على حده ، و سيبدأ بـ (إن) لأنها من وجهة نظرهم
أم حروف الجزاء كما ذكر الخليل (ت ١٧٥ هـ) .^(٥٥)

رأى النحاة فى الاسم المرفوع بعد (إن) :

يرى سيبويه أنه يجوز الفرق بين (إن) و الفعل باسم ، إذا لم تجزم فى اللفظ ،
كأن يكون الفعل الذى بعد الاسم التالى لها فعلا ماضيا ، فإن جازمت فى الشعر^(٥٦) .
و قد اختلفت الآراء فى إعراب هذا الاسم فهناك ثلاثة آراء :

الرأى الأول : و يمثله سيبويه و البصريون فيرى أن هذا الاسم مرفوع
بإضمار فعل بين (إن) و الاسم ، يفسره الفعل الظاهر التالى للاسم^(٥٧) ، و ذلك
لارتباط حروف الجزاء - و منها (إن) بالطبع - عندهم بالفعل . فـ (إن) لا
ينتصب شئ بعدها و لا يرتفع إلا بفعل ، كما يرى سيبويه^(٥٨) ، فهذا الاسم ، عند
سيبويه و البصريين ، فاعل لفعل مضممر يفسره الفعل التالى للاسم .

الرأى الثانى : و يمثله الكوفيون ، و هم يرون أن الاسم المرفوع بعد (إن)
الشرطية يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير الفعل^(٥٩) . و يذكر ابن يعيش
(ت ٦٤٣ هـ) أن الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ذهب إلى أن الاسم فى نحو قوله تعالى

(إن امرؤ هلك) (٦٠)، و (إن أحد من المشركين استجارك) (٦١) مرتفع بالضمير الذي يعود إليه من هلك و استجارك. (٦٢)

الرأي الثالث : هو رأى الأخفش (ت ٢١٥ هـ) و بعض الكوفيين ، و يرون أن هذا الاسم مرفوع على الابتداء ، لكنه مبتدأ يجب كون خبره فعلا لطلب كلمة الشرط الفعل سواء وليها أو لا . و لكن الأخفش يرى أن العامل في هذا المبتدأ هو الابتداء ، أما من ذهب مذهبه من الكوفيين فيرون أن العامل فيه هو الخبر أو الضمير في الخبر. (٦٣)

و يحدد الإستراباذي زمن الفعل الذى يكون بعد الاسم الذى يلى (إن) و ما تضمن معناها من الأسماء فيرى أن حق هذا الفعل أن يكون ماضيا سواء كان ذلك الاسم مرفوعا أو منصوبا نحو " إن زيد ذهب " و " إن زيدا لقيت أو لقيتته " و قد يكون مضارعا على الشذوذ . ذلك لضعف مجيء المضارع " لحصول الفصل بين الجازم مع ضعفه و بين معموله " (٦٤)

رأى النحاة فى الاسم المرفوع بعد (إذا) :

يذكر المرادى أن المذهب المشهور عن سيبويه هو أن (إذا) لا يليها إلا فعل ظاهر ، أو مقدر ، فالظاهر نحو (إذا جاء نصر الله و الفتح) (٦٥) و المقدر نحو (إذا السماء انشقت) (٦٦) و لا يجيز غير ذلك ، و لكن السهيلي (ت ٥٨٣ هـ) نقل أن سيبويه يجيز الابتداء بعد (إذا) الشرطية ، و أدوات الشرط ، إذا كان الخبر فعلا. (٦٧) و الحق أن عبارة سيبويه تحتل المعنيين ، فسيبويه يقول " و مما يقبح بعده ابتداء الأسماء و يكون الاسم بعده إذا وقعت الفعل على شىء من سببه نصبا فى القياس : إذا و حيث ، تقول : إذا عبد الله تلقاه فأكرمه ، و حيث زيدا تجده فأكرمه ؛ لأنهما يكونان فى معنى حروف المجازاة ، و يقبح إن ابتدأت الأسم بعدهما إذا كان بعده الفعل . لو قلت : اجلس حيث زيد جلس ، و إذا زيد يجلس . كان أقبح من قولك : إذا جلس زيد و إذا يجلس ، و حيث يجلس ، و حيث جلس ، و الرفع بعدهما جائز ؛ لأنك قد تبدئ الأسماء بعدهما فتقول : اجلس حيث عبد الله جالس ،

و اجلس إذا عبد الله جلس . " (١٨) فسيبويه يتحدث في هذه العبارة عن استخدامين لإذا ، إذا الشرطية و إذا الظرفية ، وهو على الرغم من وصفه لنمط وقوع الاسم بعد (إذا) الشرطية بالقبح، و كذلك بعد (إذا) الظرفية ، إذا كان بعد الاسم فعل ، إلا أنه يجيز أن تبتدأ الأسماء بعد (إذا) الظرفية لأنه مثل بذلك بجملة (إذا) فيها ظرفية ، و لكن الملاحظ أن الجملة المستخدمة مع حيث (اجلس حيث عبد الله جالس) لم يرد بعد (حيث) فعل ، و هذا يتفق مع كلام سيبويه ، أما مع (إذا) فالجملة المستخدمة . (اجلس إذا عبد الله جلس) و هى لا تتفق مع كلامه ، فهل هناك خطأ فى هذا المثال ، و كان من المفروض أن يقول (اجلس إذا عبد الله جالس) كما ذكر فى المثال مع حيث ؟ و بذلك يستقيم الكلام ، و يكون الرأي المشهور هو الرأي الصحيح . و أن سيبويه لا يجيز الابتداء بعد (إذا) الشرطية ، و كذلك (إذا) الظرفية إذا تلى الاسم الواقع بعدها فعل . و على هذا الرأي يكون التقدير فى الآية (إذا السماء انشقت) إذا انشقت السماء ، من وجهة نظر البصريين (١٩)

أما الأخفش فقد أجاز وقوع المبتدأ بعد (إذا) و يبدو أن ابن مالك يؤيده فى هذا الرأي ؛ لأنه يرى أن طلب (إذا) للفعل ليس كطلب (إن) . و يستشهد على صحة رأى الأخفش بقول الشاعر :

إذا باهلى تحته حنظلية : له ولد منها فذاك المذرع (٧٠)

فهذا البيت يخلو من الأفعال تماما ، و قد حاول النحاة تأويل هذا البيت على أن التقدير : استقرت تحته حنظلية . فحنظلية : فاعل ، و باهلى : مرفوع بفعل يفسره العامل فى (تحته) . (٧١)

رأى النحاة فى الاسم المرفوع الواقع بعد (لو) :

لأداة الشرط غير الجازمة (لو) حالتان . الحالة الأولى : أن يليها اسم مرفوع ، أو ضمير رفع منفصل . و الحالة الثانية : أن يليها مصدر مؤول مكون من أن و اسمها و خبرها ، و قد اختلفت آراء النحاة فى إعراب الحالتين . فسيبويه يقول " لو بمنزلة إن ، لا يكون بعدها إلا الأفعال ، فإن سقط بعدها اسم ففيه فعل

مضمّر في هذا الموضع تبني عليه الأسماء " (٧٢) " ولا تبدأ بعدها الأسماء سوى
أن " (٧٣) فسيبويه يرى أن الاسم الواقع بعد (لو) في الحالة الأولى فاعل لفعل
مضمّر ، و المصدر المؤول في الحالة الثانية مبتدأ . و قد خالف بعض البصريين
رأى سيبويه .

و فيما يلي عرض لأراء النحاة في كل حالة على حدة .

١- الاسم المرفوع أو ضمير الرفع المنفصل بعد (لو) :

اتفق أغلب البصريين على أن الاسم الظاهر بعد (لو) فاعل لفعل مضمّر ،
بل إن المرادى ينقل عن ابن عصفور (ت ٦٦٣ هـ) أنه قال : لا يليها فعل مضمّر
إلا في الضرورة ، أي في الشعر أو نادر كلام ، و يعقب المرادى على قول ابن
عصفور بقوله : و الظاهر أن ذلك لا يختص بالضرورة ، و النادر ، بل يكون في
فصيح الكلام ، كقوله تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) (٧٤) .
و يرى ابن مالك و الإسترأبادي أن (لو) قد يجيء شرطها جملة اسمية ، و إن
خص الإسترأبادي هذا النمط بالضرورة . و استشهد على صحة رأيهما بقول
الشاعر عدى بن زيد :

لو بغير الماء حَلَقَى شَرِقٌ : كنت كالغصان ، بالماء اعتصاري (٧٥)

و ذكر المرادى أن هذا مذهب الكوفيين . و قد تأول بعض البصريين هذا البيت ،
فذهب ابن خروف (ت ٦٠٩ / ٦١٠ هـ) إلى أنه على إضمار (كان) الشانية ،
و تأوله الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) على أن (حلقى) فاعل فعل مقدر ، يفسره
(شرق) ، و (شرق) خير مبتدأ محذوف ، أي هو شرق ، و يعلق المرادى على
هذا التأويل بأنه فيه تكلف . (٧٦)

و هكذا حاول البصريون تأويل كل ما خالف رأيهم من نصوص شعرية ، أو
نثرية ، أو آيات قرآنية جاء فيها الاسم بعد (لو) . و تلخصت هذه التأويلات في أن
الاسم الذي يلي (لو) إما مرفوع معمول محذوف يفسره ما بعده أو اسم منصوب
كذلك ، أو خبر لكان محذوفة - أي الجملة الاسمية الملفوظ بها خبر كان الشانية (٧٧) .
و لكن بعض نحاة البصرة وجدوا في بعض هذه التأويلات تكلفا .

و مما ورد في النثر على هذا النمط قول حاتم الطائي " لو ذات سوار
لطمنتي " و قول عمر (رضى الله عنه) : " لو غيرك قالها يا أبا عبيدة " (٧٨)

٢- المصدر المؤول بعد (لو) :

سبق ذكر أن سيويوه يرى أن (لو) إذا تلاها مصدر مؤول من أن و اسمها
و خبرها ، فهو يعرب على الابتداء ، و تبعه جمهور البصريين في ذلك الرأي ،
و لكنهم اختلفوا في خبر هذا المبتدأ فيرى سيويوه أن هذا المبتدأ لا يحتاج إلى خبر
لاشتمال صلتها على المسند و المسند إليه . و قيل الخبر محذوف ، فقيل يقدر مقدما
أي (و لو ثابت إيمانهم) ، و قال ابن عصفور يقدر مؤخرا . أي (و لو إيمانهم
ثابت) .

و ذهب المبرد ، و الزجاج (ت ٣١٠ هـ) ، و الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)
و الكوفيون إلى أنه على الفاعلية و الفعل مقدر بعدها ، أي و لو ثبت أنهم آمنوا ،
و يرى ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) أن هذا أرجح؛ لإبقاء لو على الاختصاص بالفعل (٧٩)
كما يرى ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) أن الدليل على صحة هذا الرأي مجيء (أن)
مفتوحة الهمزة (٨٠) ، و يرى السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) أنه لا يحتاج إلى تقدير
الفعل ، و لكن (أن) تقع نائبة عن الفعل الذي يجب وقوعه بعد لو؛ لأن خبر (أن)
إذن فعل ينوب لفظه عن الفعل بعد لو ، فإذا قلت : لو أن زيدا جاءني ، فكانك قلت
لو جاءني زيد . (٨١)

و يرى الزمخشري أن خبر (أن) يجب أن يكون فعلا؛ ليكون عوضا عن
الفعل المحذوف . (٨٢) و قد ورد في القرآن الكريم خبر (أن) جامدا كما في قوله
تعالى (و لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام) (٨٣) و جاء اسما مشتقا في قوله
تعالى (يودوا لو أنهم بادون) (٨٤) و جاء في الشعر أيضا كما في قول كعب :

أكرم بها خلة لو أنها صدقت .. موعودها أولو أن النصيح مقبول

و لذلك عقب الإستر اباذى على هذا الراى بقوله " فلاشك ان استعمال الفعل فى خبر (ان) الواقعة بعد (لو) أكثر ، و إن لم يكن لازما " (٨٥) كما قال أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) و هو وهم ، و خطأ فاحش (٨٦) و هكذا يتضح كيف اختلفت آراء النحاة فى الاسم التالى للأداة (لو) و كذلك المصدر الموزول ، بل إن أصحاب المذهب الواحد قد اختلفوا فى تأويل ما ورد فى القرآن الكريم و الشعر و النثر . و هذا التأويل لم يلق أحيانا قبولا من أصحاب المذهب الواحد .

راى النحاة فى الاسم المرفوع الواقع بعد (لولا) :

١- الاسم المرفوع أو ضمير الرفع المنفصل بعد (لولا) :

يرى سيويه و البصريون أن (لولا) تنبتأ بعدها الأسماء (٨٧) ، و أن الاسم بعدها خبره محذوف لما يدل عليه (٨٨) ، أو لنيابة الجواب منابه (٨٩) و يفصل ابن هشام القول فى حكم حذف خبر المبتدأ بعد (لولا) ، فيذكر أن أكثر البصريين يوجب كون الخبر كونا مطلقا محذوفا ، فإذا أريد الكون المقيد لم يجز أن تقول (لولا زيد قائم) و لا أن تحذفه ، بل تجعل مصدره هو المبتدأ ، فنقول (لولا قيام زيد لأتيتك) أو تدخل (أن) على المبتدأ فنقول (لولا أن زيدا قائم) . و ذهب الرماني (ت ٣٨٤ هـ) و ابن الشجرى و الشلوبين (ت ٦٤٥ هـ) و ابن مالك إلى أنه يكون كونا مطلقا كالوجوب و الحصول فيجب حذفه ، و كونا مقيدا كالقيام و القعود فيجب ذكره إن لم يعلم نحو (لولا قومك حديثو عهد بالإسلام لهدمت الكعبة) ، و يجوز الأمران إن علم (٩٠)

و الاسم المرفوع بعد لولا يرتفع عند الكوفيين على تقدير فعل نابت (لا) منابه ، فإذا قلت (لولا زيد لأكرمك) و قوله تعالى (لولا أنتم لكانا مؤمنين) (٩١) فالمعنى : لو انعدم زيد ، و لو انعدمتم . و يؤيد المالقي (ت ٧٠٢ هـ) راى الكوفيين بقوله " و هذا هو الراى الصحيح ؛ لأنه إذا زالت (لا) و لى (لو) الفعل ظاهرا أو مقدرأ ، و إذا دخلت (لا) كان بعدها الاسم فهذا يدل على أن (لا) نائبة مناب الفعل " (٩٢)

يرى سيبويه أن المصدر المؤول بعد (لولا) يرفع على الابتداء كما هو الحال مع (لو) فيقول "فإن مبنية على (لولا) كما تبنى عليها الأسماء" (٩٣) ويؤيده في ذلك البصريون. ويرى السيرافي أن الاسم أو المصدر المؤول بعد (لولا) يرتفع لا بـ (لولا)، فـ (لولا) "مقدمة عليه وليست بعاملة فيه، ولزومها للاسم بعدها بالمعنى الذى وضعت عليه كلزوم العامل للمعمول به فشبهت به، ففتحت أن ولم تكسر؛ لأن (إن) المكسورة إنما تدخل على مبتدأ مجرد لم يغير معناه بحرف قبله" (٩٤) وفي رأى السيرافي رد على حجة المالكى على صحة رأى الكوفيين إذ يقول "و مما يدل على أن ما بعد (لولا) من الظواهر و المضمرة المنفصل ليس مبتدأ أن (أن) المفتوحة تقع فى موضعه... ولا يقع فى موضع المبتدأ إلا المكسورة" (٩٥) وكذلك هو رد على حجة ابن الحاجب على كون المصدر المؤول بعد (لو) فاعلا. (٩٦)

و بعد تناول آراء النحاة فى هذا النمط من أنماط الشرط مع هذه الأدوات يلاحظ الاختلاف الشديد بين أصحاب المذهب الواحد، و وقوفهم أمام بعض الشواهد التى تتعارض مع آرائهم عاجزين عن التاويل، و إذا تأولوا كان فى تأويلهم تكلف شديد انتقده المتفقون معهم فى المذهب.

و يمكن تلخيص هذه الآراء بعامة فى ثلاثة آراء :

- الراي الأول : هو أن هذا الاسم فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل التالى لهذا الاسم.
- الراي الثانى : أن هذا الاسم فاعل . و هو يرتفع بما عاد إليه من الفعل التالى له من غير تقدير الفعل .
- الراي الثالث : أنه مبتدأ .

أما المحدثون فقد اختلفت آراؤهم فى إعراب هذا الاسم أيضا . و لكن هذه الآراء لم تخرج عن إطار هذه الآراء الثلاثة و فيما يلى عرض لآراء المحدثين.

خامسا : آراء المحدثين فى الاسم المرفوع بعد أدوات الشرط :

ممن رأى صحة القول بأن الاسم المرفوع بعد هذه الأدوات فاعل لفعل مقدر محمد محيى الدين عبد الحميد فى (إذا) و (إن) ، أما مع (لو) فالاسم المرفوع مبتدأ . و السبب فى هذا أنه لا يوجد اسم مرفوع ولى (إن) أو (إذا) الشرطيتين إلا بعده فعل ، أما فى (لو) فقد ذكروا بعده اسما مرفوعا و لم يذكروا بعده فعلا .^(٩٧) و يرد على هذا الرأى قول الشاعر :

إذا باهلي تحته حنظلية : له ولد منها فذاك المذرع

كما أيد هذا الرأى عباس حسن^(٩٨) و كذلك أيده مجمع اللغة العربية و السبب هو أن القول بكون الاسم بعد هذه الأدوات مبتدأ يؤدى إلى دخول أداة الشرط على ما يفيد الثبوت ، و هو يضاد التعليق الذى تفيده أداة الشرط ، كما أن القول بأنه فاعل مرفوع بما عاد إليه من الفعل يترتب عليه مخالفة قواعد كثيرة تتعلق بالضمائر المتصلة بالفعل المتأخر ، و عودتها ، و مطابقتها للفعل المتقدم ، و عدم مطابقتها .^(٩٩)

و وصف الجملة الاسمية بالثبوت ، و ربط الجملة الشرطية بالجملة الفعلية أو الفعل ؛ لأنها تفيد التعليق و التجدد رأى يقصر الزمن فى اللغة العربية على الزمن الصرفى الذى يمثله الفعل ، و يتجاهل الزمن النحوى المستفاد من سياق الجملة ، و هذا ما سبق أن أشار إليه المبرد و الإستراباذى قديما^(١٠٠) و تمام حسان حديثا^(١٠١) و هو رأى يتنافى مع واقع اللغة العربية .

أما إعراب هذا الاسم على أنه فاعل مرفوع بما عاد إليه من الفعل ، فيؤيده من المحدثين برجستراسر ، و ذلك عندما تحدث عن الجملة الشرطية فى اللغة العربية فقال " إلا أنه يمكن تقديم الضمائر المؤكدة على الفعل نحو : (إن أنت فعلته) و يقدم الفاعل نادرا ، إذا كان اسما ، مثاله من القرآن الكريم : (إن امرؤ هلك)^(١٠٢) (١٠٣)

كما يتفق مع هذا الرأى أصحاب المذهب التوليدي إذ يرون أنه فى ضوء نظرية (حرك ألفا Move A) قدم الفاعل إلى الموقع م^٥ و هو موقع تداولى .

نظراً لأن الفاعل يحمل وظيفة المحور الحقيقي ، أو المحور الداخلى real topic و قد نقل هذا العنصر – أي الفاعل – مع المحافظة على بنية الجملة ، و يترك هذا العنصر المنقول – أي المحور أو الفاعل – أثراً فارغاً أو مملوءاً يعود على الاسم المقدم ؛ ليرشد إلى مكانه الأساسي فى البنية العميقة ، و التقديم إلى م^٤ يحافظ على الوظيفة التركيبية للعنصر المنقول . (١٠٤)

أما الراى القائل بأن هذا الاسم مبتداً فيؤيده محمد حماسة عبد اللطيف بدليل أن هناك أداتين أخريين يرى النحاة أن أصلهما (لو) زيدت عليهما (لا) و (ما) فصارتا (لولا) و (لوما) لا تليهما إلا الجملة الاسمية ، على خلاف كل أدوات الشرط (١٠٥)

كما يؤيد هذا الراى طيبة صالح الشذرى فى بحثها (الأنماط الشرطية فى الشعر الكويتى المعاصر) ، و التى أحصت فى بحثها ثلاثة و عشرين موضعاً من المواضيع البالغة سبعمانه جاءت فيها جملة الشرط اسمية ، و هى ترى أن الأفضل و الأصوب أن نقول إن الشرط فى العربية يبنى فى نسبه المطلقة على تآلف جمل فعلية ، و فى نسبه القليلة على ما عداها . و أن الجمل الاسمية تفيد التركيب الشرطى دلالة مضافة بنقل خصائصها إليها . (١٠٦) و قد أثارت نقطة مهمة ، و هى أن آراء النحاة فى الأنماط الشرطية كانت ذات نظرية جزئية جعلت من المعنى و التركيب الشكلى له فرعاً ثانوياً من القرينة الإعرابية . و هذه النظرة قصرت عن إدراك طبيعة الشرط و نظامه التركيبى و الأسلوب الذى ينطوى عليه ؛ لأنها انصببت على إدراك الآثار الإعرابية فقط (١٠٧) ، و قد سبق أن أشار محمود فهمى حجازى إلى هذه النقطة حين ذكر أن النحاة اقتصروا فى بحثهم لأسلوب الشرط على بحث العامل ، و أنهم فى الآية (إذا السماء انشقت) (١٠٨) قدروا لاعتبارات نظرية بحثة فعلا بين (إذا) و الفاعل و انصرف اهتمامهم إلى الإعراب و العامل و تقديره و عمله (١٠٩)

كما لاحظت طيبة صالح الشذرى عند دراستها لأنماط الشرط فى الشعر الكويتى المعاصر أن مجيء جملة الشرط اسمية كان للتأكيد على من يقوم بالحدث

، و ليس الحدث نفسه ، و إذا لم تكن الجملة الاسمية ، فى الشعر ، تضيف إلى التركيب الشرطى دلالتها تلك كان وقوعها لضرورة الوزن .^(١١٠) و هذه النقطة أشار إليها صلاح الدين صالح حسنين أيضا حين قال " فقد أشار البلاغيون إلى المبتدأ الذى أصله فاعل ، و أوضحوا أنه يفيد التخصيص أو التوكيد ، و أشاروا إلى المبتدأ الذى أصله المفعول به ، و أوضحوا أنه يثير المتلقي إلى القضية التى تاتى بعده"^(١١١) و هذه الملحوظة جديرة بالاهتمام . فلماذا يلجأ النص القرانى ، أو الشاعر ، أو الكاتب ، أو المتحدث بصفة عامة إلى تحويل الجملة الفعلية إلى جملة اسمية و ما الفرق فى الدلالة بين الجملة الاسمية و الجملة الفعلية ؟ هذه أسئلة تحتاج إلى الإجابة عنها و لذلك سيعرض البحث فيما يلى رأى البلاغيين فى الفرق بين دلالة الجملة الاسمية المتحولة عن جملة فعلية ، و الجملة الفعلية .

سادسا : رأى البلاغيين فى الفرق الدلالي بين الجملة الاسمية المتحولة عن جملة فعلية ، و الجملة الفعلية :

لا يمكن إغفال هذه النقطة عند دراسة لغة مثل اللغة العربية التى يلعب فيها الإعراب دورا كبيرا منح هذه اللغة الخرية فى تعدد تراكيب الجملة فيها ، و كل تركيب يعطى دلالة مختلفة عن التركيب الأخر . و هذا سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم و بلاغته . و فى هذا الموضوع تحدث عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١/٤٧٤ هـ) بشيء من التفصيل الدال على إحساس قوى و دقيق بالفرق فى الدلالة بين تراكيب الجمل المختلفة . و فى حديثه عن التقديم و التأخير يذكر أنه إذا عمدت إلى الذى أردت أن تحدث عنه بفعل فقدمت ذكره ، ثم بنيت الفعل عليه فقلت : (زيد قد فعل) و (أنا فعلت) و (أنت فعلت) : اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل : إلا أن المعنى فى هذا القصد ينقسم قسمين :

أحدهما جلى لا يشكل : و هو أن يكون الفعل فعلا قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له ، و تزعم أنه فاعله دون واحد آخر ، أو دون كل أحد ، و يمثل لهذا القسم بقولهم فى المثل (أتعلمني بضرب أنا حرشته) .

و القسم الثانى : أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى ، و لكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل ، و تمنعه من الشك ، فأنت لذلك تبدأ بذكره ، و توقعه أولا - و من قبل أن تذكر الفعل - فى نفسه ؛ لكى تباعده بذلك من الشبهة ، و تمنعه من الإنكار ، أو من أن يظن بك الغلط أو التزويد .^(١١٢) كما يذكر أن تقديم المحدث عنه يفيد التنبيه له ، فإن ذلك من أجل أنه لا يؤتى بالاسم معرى من العوامل إلا لحديث قد نوى إسناده إليه ، فجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة غفلا ، مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه و التقدمة له ؛ لأن ذلك يجرى مجرى تكرير الإعلام فى التأكيد و الإحكام ، و من ههنا قالوا : إن الشيء إذا أضمر ثم فسر ، كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمه إضمار . و أن تقديم المحدث عنه يقتضى تأكيد الخبر و تحقيقه له ، و مما يحسن ذلك فيه و يكثر ، الوعد و الضمان ، و فى المدح . و غرض التأكيد ينطبق أيضا على الخبر المنفى ، كما أنه لا يجوز أن يكون لتنظم الكلام و ترتيب أجزائه فى (الاستفهام) معنى لا يكون له ذلك المعنى فى (الخبر) .^(١١٣) هذا هو رأى عبد القاهر الجرجانى و هو رأى يدل على إحساس مرهف و دقيق باختلاف الدلالة لاختلاف تركيب الجملة فى اللغة العربية ، و ما يحويه هذا من جمال .

و إذا طبقنا هذا الرأى على بعض النماذج التى جاءت فيها جملة الشرط جملة اسمية سواء من الشعر القديم أو النثر القديم ، أو القرآن الكريم ، و كذلك من النثر الحديث و النثر المعاصر . نجد أن أغلب الأبيات التى استشهد بها النحاة على مجيء الاسم المرفوع بعد أداة الشرط تنتمى إلى القسم الثانى من المعانى التى تدل عليها الجملة الاسمية ، و الذى أشار إليه عبد القاهر الجرجانى ، و هو التحقيق على السامع من أن المسند إليه قد فعل . و تمنعه من الشك فىك أو أن يظن بك الغلط أو التزويد من أمثلة ذلك قول الشاعر هشام المرى :

فمن نحن نؤمنه يبيت و هو آمن .. و من لا نجره يمس منا مفزعا^(١١٤)

و أداة الشرط هنا (مَنْ) لم يخصها البحث بالذكر ؛ لأن هذا النمط لم يرد إلا فى الشعر كما ذكر القدماء^(١١٥) ، و الملاحظ أن الفعل (نؤمنه) قد جزم للضرورة الشعرية .

كما نجد هذه الدلالة فى قول زهير :

إذا أنت لم تنزع عن الجهل و الخنا .. أصبت حليما أو أصابك جاهل (١١٦)
وفى قول المتنبى :

و لو قلم ألقيت فى شق رأسه .. من السقم ما غيرت من خط كاتب (١١٧)
و كذلك قول الشاعر :

* عاود هراة و إن معمورها خربا * (١١٨)

و ينتمى إلى هذا القسم أيضا من النثر القديم قول حاتم الطائى " لو ذات سوار
لطمتنى " ، و قول عمر (رضى الله عنه) " لو غيرك قالها يا أبا عبيدة " (١١٩)

كما ينتمى إلى هذا القسم من آيات القرآن الكريم الآيات الواردة فى سور
التكوير و الانفطار و الانشقاق . (١٢٠) فبالإضافة إلى المحافظة على الفاصلة
القرآنية فى هذه الآيات ، و هى تاء التانيث الساكنة فى هذه الآيات ، فقد أراد النص
القرآنى التنبيه إلى البطواهر الطبيعية المحيطة بالإنسان ثم الإخبار بما سيحدث لها
يوم القيامة ، و التأكيد أن هذا سيحدث ، و لا مجال هنا للمبالغة أو التزديد . و كذلك
قوله تعالى (إن أنتم ضربتم فى الأرض) (١٢١) و قوله تعالى (قل لو أنتم تملكون
خزائن رحمة ربى) (١٢٢) فى هاتين الآيتين يريد النص القرآنى التنبيه إلى المسند
إليه و التأكيد عليه .

أما الآيات القرآنية (و إن امرأة خافت) (١٢٣) ، و (يستفتونك قل الله يفتيك
فى الكلالة ، إن امرؤ هلك) (١٢٤) ، (و إن أحد من المشركين استجارك) (١٢٥)
(و إن طائفتان من المؤمنين اقتتاوا) (١٢٦) فهى تنتمى إلى القسم الأول ، و هو
تخصيص حالة معينة يريد النص القرآنى أن يتحدث عنها؛ لأن هذه الآيات نصت
على أحكام أو أوامر فى حالات خاصة و قد وردت معانى هذه الآيات مع جملة
شرطية فعلية كما فى نحو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر
أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) (١٢٧) و قوله تعالى (فإذا انشقت
السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان) (١٢٨) و لكن الملاحظ أن
الجملة الشرطية عندما تجاءت اسمية فى الآيات السابقة ، كانت فى استئناف كلام
و لم يكن هناك تمهيد للحكم أو للمسند إليه فى قوله تعالى (إن امرؤ هلك) ، لكن

فى قوله تعالى (إذا حضر أحدكم الموت) فالجملة اعتراضية بين المبتدأ (الشهادة) والخبر (اثنان) (١٢٩) كما أن الحكم فى الآية (إذا حضر أحدكم الموت) حكم عام وهو ترك الوصية . و هذا هو الملحوظ أيضا فى الفرق بين آيات سور التكويد و الانفطار و الانشقاق من ناحية ، و سورة الرحمن من ناحية أخرى . فهذه السور الأولى تبدأ آياتها الأولى بهذا النمط الشرطى الذى فيه جملة الشرط جملة اسمية ؛ لتشد انتباه المستمع إلى الظواهر الكونية حوله التى يعلمها جيدا ، ثم يبنى عليها الجملة الفعلية التى تصف تغير حال هذه الظواهر فى يوم القيامة . و هذا ما جاء فى سورة الرحمن أيضا ، و لكن النمط الشرطى الذى فيه جملة الشرط جملة فعلية جاء فى تتابع الأحداث التى ستتوالى على الإنسان يوم القيامة .

و مما ينتمى للقسم الثانى من النثر الحديث قول توفيق الحكيم : " و إن هى سمعت الكلمة ، فتق أنها نسيت المعنى " (١٣٠) و قوله : " إذا أنا لم أذهب فقد خسرت دراستى ، فالفائدة كل الفائدة من حيث الفن الروائى هى فى حضور واقعة السطو نفسها " (١٣١)

و من النثر المعاصر قول أنيس منصور : " فإذا أنت نبهتهم إلى ذلك تضايقوا " (١٣٢) ، و قوله : " و إذا أنا أمسكت لسانى ، فهل يفعل الآخرون ...؟ " (١٣٣) و قوله : " لو أنت حبيبى لوضعتك فوق " (١٣٤)

و مما ينتمى إلى القسم الأول من النثر المعاصر قول أنيس منصور : " و خاف الناس إن أحد تسلق الشجرة أن يفرع الطفل فيسقط على الأرض " (١٣٥)

و هذا إن دل على شىء فهو يدل على صندوق إحساس عبد القاهر الجرجانى بدلالات تراكيب الجمل فى اللغة العربية ، كما يدل على أن هذا النمط من أنماط الشرط مازال موجودا فى الاستخدام اللغوى ، و إن كان قليلا نسبيا بالنسبة لأنماط الشرط الأخرى .

وأخيراً فهناك سؤال يطرح نفسه ، و هو بما أن هناك أدوات شرط مشتركة بين اللغة العربية و أخواتها من اللغات السامية ، وهى (إن ، ولو ، ولولا) فهل ورد هذا النمط ، وهو مجيء جملة الشرط جملة اسمية ، مع أدوات الشرط التى رأى النحاة أنها لا يليها إلى جملة فعلية فى لغات سامية أخرى ؟ فيما يلي الإجابة عن هذا السؤال .

سابعاً: مجيء جملة الشرط اسمية بعد (إن ، ولو ، ولولا) فى اللغات السامية :

يتضح من أنماط الشرط فى اللغات السامية أن جملة الشرط قد تكون اسمية مع أدوات الشرط فى بعض اللغات السامية . فيذكر برجشتراسر (١٣٦) وبروكلمان (١٣٧) أنه فى اللغات السامية غير العربية ، تجوز الجملة الاسمية فى الشرط .

مثال ذلك فى العبرية مع (إن) :

אִם-כִּנִּים אֲתֶם אֲחֵיכֶם אַחַד יֵאָסֵר
'im kēnīm 'atten 'ahīhēm 'ehād yē'āšer

إن كنتم أمناء فليحبس أخ واحد منكم فى بيت حبسكم . (١٣٨)

ومثال ذلك فى آرامية العهد القديم مع (إن) : (١٣٩)

הֵן אִתְּחִיבֶנּוּן עֲתִידִין
hen 'itēhōn 'ātīdīn

فإن كنتم الآن مستعدين . (١٤٠)

وفى السريانية :

ʿen layt kēnē 'āvđīn 'awwālē

إن لم يوجد منصفون كذا يهلك الجنة .

وفى المنذعية :

hen 'itbah ḥaylā tašnē dēmūtāk

إن كان فيك قدرة ، كذا غير شكلك . (١٤١)

أما مع (لو) فمثال ذلك فى العبرية :
לֹא יֵשׁ-הֶרֶב בְּיָדַי כִּי עָתָה הִרְגִיתִיךָ :
lū yeš herēv bēyādī kī 'attā hāragtīh

لو كان فى يدى سيف لكنت الآن قد قتلتك (١٤٢)
و مع (لولا) :

לֹאֵלֵי פְנֵי יְהוֹשָפָט מֶלֶךְ-יְהוּדָה אֲנִי נֹשֶׁה
lūlē penē Yēhōšāfāt meleh Yēhūdā 'anī nōšē

إنه لولا أنى رافع وجه يهوشافاط ملك يهوذا لما كنت أنظر إليك و لا أراك (١٤٣)

و مثال ذلك فى السريانية مع (لولا) :

'ellū lā 'ītayhōn beh bč'ālmā meštērē 'ālmā
لولا وجودهم فى العالم ، لتفكك العالم . (١٤٤)

و هكذا فقد جاءت جملة الشرط اسمية إلى جانب الجملة الفعلية مع هذه الأدوات فى اللغات السامية أيضا. مما يؤكد صحة الراي القائل بأن الاسم المرفوع فى هذا النمط مبتدأ .

نتائج البحث :

من المعلومات التي وردت في هذا البحث يتبين ما يلي :

١- أن من أنماط الشرط مجيء جملة الشرط جملة اسمية ، وإن كان هذا النمط قليلا نسبياً في اللغة العربية إلى جانب أنماط الشرط الأخرى ، و لكن لأن النحاة القدماء قصرُوا الزمن في اللغة العربية على الزمن الصرفي الذي يمثله صيغ الفعل و تجاهلوا الزمن النحوي المرتبط بالسياق ، و ارتباط أسلوب الشرط بالتعليق و السببية و الحدوث و الانقضاء و التجدد ، و ارتباط الجملة الاسمية عندهم بالثبوت و الجمود ، و كون أغلب أنماط الشرط جاءت مؤلفة من جمل فعلية ، و سيطرة نظرية العامل على تفكيرهم ، و تجاهلهم لاختلاف المعنى باختلاف تركيب الجملة ، كل هذا أدى إلى اشتراطهم كون جملتي الشرط و الجزاء فعليتين ، و إن أجازوا مجيء جملة جواب الشرط اسمية .

٢- أن النحاة القدماء اختلفوا اختلافاً شديداً فيما بينهم إلى حد أن الاختلاف كان بين أصحاب المذهب الواحد ، و أن منهم من اختلف رأيه من أداة إلى أداة ، بل من نمط إلى نمط مع الأداة الواحدة ، كما رأينا موقف سيبويه من جملة الشرط مع الأداة (لو) .

٣- أن النحاة القدماء عندما وجدوا شواهد قرآنية و شعرية و نثرية تتعارض مع ما سنوه من قواعد لأسلوب الشرط لجأوا إلى التأويل ، و قد وصل بهم هذا التأويل إلى حد التكلف الذي جعل بعض أنصار المذهب الواحد ينتقد هذا التأويل .

٤- أن مجيء جملة الشرط جملة اسمية تضيف دلالة خاصة للنمط الشرطي كالتخصيص ، أو التنبيه و التأكيد و إزالة الشك .

٥- جملة الشرط الاسمية جاءت في القرآن الكريم و في الشعر القديم و النثر القديم ، و مازالت تستخدم في الشعر و النثر حتى عصرنا الحالى لتضيف لجملة الشرط الخصائص الدلالية التى تتميز بها .

٦- أن مجيء جملة الشرط اسمية مع أدوات الشرط المشتركة بين العربية و اللغات السامية الأخرى إلى جانب الجملة الفعلية ، يؤكد أن هذا النمط موجود فى اللغة العربية و لا داعى إلى اللجوء إلى التأويل .

و بعد فارجو أن يكون هذا البحث قد وَفَى هذا الموضوع حقه من الدراسة ، و أن يكون خطوة موفقة فى خدمة اللغة العربية و دارسيها . و الله الموفق .

الإحالات :

- ١- طيبة صالح الشذر : الأنماط الشرطية فى الشعر الكويتى المعاصر .
(القاهرة - مجلة علوم اللغة ، المجلد الثانى ، العدد الثانى ، ١٩٩٩ م ،
ص ٢١٠ - ٣٤٦) . ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
- ٢- المنجد : مادة (شرط) ، و انظر : الوسيط : مادة (شرط) .
- ٣- الصبان : حاشية الصبان على شرح الأشمونى على الفية ابن مالك .
(القاهرة - دار إحياء الكتب العربية) ج ٤ ، ص ١٥ .
- ٤- ابن الشجرى : الأمالي الشجرية (بيروت - لبنان ، دار المعرفة) ج ١ ،
ص ٢١١ .
- ٥- برجستراسر : التطور النحوى للغة العربية (القاهرة - مكتبة الخانجى ،
الرياض - دار الرفاعى ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، تصحيح و تعليق :
رمضان عبد التواب) ص ٢٠٠ .
- ٦- المبرد : المقتضب (القاهرة - المجلس الأعلى للشنون الإسلامية ، ١٣٨٦ هـ ،
تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة) ج ٣ ، ص ٧٦ .
- ٧- برجستراسر : التطور النحوى للغة العربية . ص ٢٠٠ .
- ٨- سيبويه : الكتاب (القاهرة - الخانجى ، الرياض - دار الرفاعى ، ط ٢ ،
١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون) ج ٤ ، ص ٢٣٥ .
- ٩- المالقى : رصف المبانى فى شرح حروف السعانى (حلب - مطبوعات مجمع
اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٤ هـ ، تحقيق : أحمد محمد الخراط) ص ٢٩٧ .
- ١٠- سورة الحجر : الآية ٦ ، ٧ .
- ١١- سيبويه : الكتاب (القاهرة - مكتبة الخانجى) ج ٣ ، ص ٦٠ .

١٢- المبرد : المقتضب (القاهرة - المجلس الأعلى للشنون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٣٩٩ هـ ، تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة) ج ٢ ، ص ٥٥ .

١٣- ابن يعيش : شرح المفصل (القاهرة - مكتبة المتنبى) ج ٩ ، ص ٤ .

١٤- الإستراباذى : شرح الكافية (بيروت - لبنان ، دار الكتب العلمية) ج ٢ ، ص ٢٥٣ .

١٥- الأنبياء : الآية ٣٤ .

١٦- المزادى : الجنى الدانى فى حروف المعانى (بيروت - لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل) ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

١٧- الزخرف : الآية ٨١ .

١٨- يوسف : الآية ٢٦ .

١٩- المائدة : الآية ١١٦ .

٢٠- الإستراباذى : شرح الكافية . ج ٢ ، ١٠٩ .

٢١- برجشتراسر : التطور النحوى . ص ١٩٧ - ٢٠١ .

Brockelmann , Carl : Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen , Verlag von Reuther & Reichard , Berlin 1913 . B .2 & 420 - 425 , S . 636 - 642 .

Gesenius , Wilhelm : Hebräisches und aramäisches Handwörterbuch , über das Alte Testament , Springer - Verlag , 17 . Auflage , Berlin / Göttingen / Heidelberg 1962, S . 45.

٢٢- سيبويه : الكتاب ج ٤ . ص ٢٢٤ .

- ٢٣- المرادى : الجنى الدانى . ص ٢٧٤ .
- ٢٤- النساء : الآية ٩ .
- ٢٥- ابن يعيش : شرح المفصل ، ح ٩ ، ص ١١ .
- ٢٦- البقرة : الآية ١٦٧ .
- ٢٧- الإستراباذى : شرح الكافية ، ح ٢ ، ص ١٠٩ .
- ٢٨- سيبويه : الكتاب . ح ٣ ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
- ٢٩- سيبويه : الكتاب . ح ٤ ، ص ٢٢٢ .
- ٣٠- برجشتراسر : التطور النحوى . ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .
Brockelmann : Grundriss : B.2 , & 426 – 429 , S . 642 – 645 .
و Gesenius , ٦٥ S.380 , ٨٥٦٥ , S.382 .
- ٣١- بزجشتراسر : التطور النحوى . ص ٢٠٠ .
- ٣٢- ابن هشام : مغنى اللبيب (القاهرة – دار إحياء الكتب العربية) ح ١ ، ص ٨٤ .
- ٣٣- سيبويه : الكتاب . ح ٣ ، ص ٦٠ .
- ٣٤- المبرد : المقتضب . ح ٢ ، ص ٥٤ .
- ٣٥- محمد عبد الخالق عزيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم (القاهرة ... دار الحديث) القسم الأول ، الجزء الأول ، ص ١٧٤ .
- ٣٦- الكهف : الآية ٩٣ .
- ٣٧- البقرة : الآية ١١ .
- ٣٨- التوبة : الآية ٨٦ .

- ٣٩- الصبان : حاشية الصبان . ج ٤ ، ص ١٤ ، ١٥ .
- ٤٠- ابن يعيش : شرح المفصل ، ج ٨ ، ص ١٥٥ .
- ٤١- المرجع السابق . ج ٩ ، ص ٢ .
- ٤٢- الذاريات : الآية ١٣ .
- ٤٣- غافر : الآية ١٦ .
- ٤٤- الإستر اباذى : شرح الكافية . ج ٢ ، ص ١٠٣ .
- ٤٥- تمام حسان : اللغة العربية معناها و مبناها . (القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م) ص ٢٤٠ - ٢٥٧ .
- ٤٦- المبرد : المقتضب . ج ٢ ، ص ٤٨ .
- ٤٧- المرجع السابق . ج ٢ ، ص ٤٨ .
- ٤٨- ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (القاهرة - مكتبة محمد علي صديح ، ط ١٥ ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٨ م ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد) ج ٤ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .
- ٤٩- سيبويه : الكتاب . ج ٣ ، ص ١١٢ ، ١١٣ .
- ٥٠- المرجع السابق . ج ٣ ، ص ١١٢ ، ١١٣ .
- ٥١- المبرد : المقتضب . ج ٢ ، ص ٧٣ .
- ٥٢- سيبويه : الكتاب (القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون) ج ١ ، ص ١٣٤ .
- ٥٣- المرجع السابق : ج ١ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

- ٥٤- المبرد : المقتضب . ج ٢ ، ص ٧٤ - ٧٥ .
- ٥٥- سيبويه : الكتاب . ج ٣ ، ص ٦٣ .
- ٥٦- المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١١٢ .
- ٥٧- المبرد : المقتضب . ج ٢ ، ص ٧٢ .
- ٥٨- سيبويه : الكتاب . ج ١ ، ص ٢٦٣ .
- ٥٩- الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف . (القاهرة - دار الفكر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد) ج ٢ ، المسألة ٨٥ ، ص ٦١٥ ، ٦١٦ .
- ٦٠- النساء : الآية ١٧٦ .
- ٦١- التوبة : الآية ٦ .
- ٦٢- ابن يعيش : شرح المفصل . ج ٩ ، ص ١٠ .
- ٦٣- الإستراباذي : شرح الكافية . ج ٢ ، ص ٢٥٥ .
- ٦٤- المرجع السابق . ج ٢ ، ص ٢٥٥ .
- ٦٥- النصر : الآية ١ .
- ٦٦- الانشقاق : الآية ١ .
- ٦٧- المرادي : الجنى الدانى . ص ٣٦٨ .
- ٦٨- سيبويه : الكتاب . ج ١ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .
- ٦٩- المبرد : المقتضب . ج ٢ ، ص ٧٦ .

٧٠- البيت للفرزدق ، و المذرع : الذى أمه أشرف من أبيه .

٧١- المرادى : الجنى الدانى . ص ٣٦٨ .

٧٢- سيبويه : الكتاب . ج ١ ، ص ٢٦٩ .

٧٣- سيبويه : الكتاب . ج ٣ ، ص ١٢١ ، ١٣٩ .

٧٤- الإسراء الآية ١٠٠ .

٧٥- الإستر اباذى : شرح الكافية . ج ٢ ، ص ٣٩٠ .

و المرادى : الجنى الدانى . ص ٢٨٠ .

٧٦- المرادى : الجنى الدانى . ص ٢٨٠ .

٧٧- ابن هشام : مغنى اللبيب ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

و الصبان : حاشية الصبان . ج ٤ ، ص ٤٠ .

٧٨- ابن هشام : مغنى اللبيب . ج ١ ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

و الصبان : حاشية الصبان . ج ٤ ، ص ٣٩ .

٧٩- ابن هشام : مغنى اللبيب . ج ١ ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

و الصبان : حاشية الصبان . ج ٤ ، ص ٤٠ ، ٤١ .

٨٠- الإستر اباذى : شرح الكافية . ج ٢ ، ص ٣٩٠ .

٨١- الإستر اباذى : شرح الكافية . ج ٢ ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

٨٢- ابن يعيش : شرح المفصل . ج ٩ ، ص ٩-١١ .

٨٣- لقمان : الآية ٢٧ .

٨٤- الأحزاب : الآية ٢٠ .

- ٨٥- الإستراباذى : شرح الكافية . ج ٢ ، ص ٣٩١ .
- ٨٦- المرادى : الجنى الدانى . ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .
- ٨٧- سيبويه : الكتاب . ج ٣ ، ص ١٢٩ ، ١٤٠ .
- ٨٨- المبرد : المقتضب . ج ٣ ، ص ٧٦ .
- ٨٩- الملقى : رصف المبانى فى حروف المعانى . ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .
- ٩٠- ابن هشام : مغنى اللبيب ، ج ١ ، ص ٢١٥ .
- ٩١- سبأ : الآية ٣١ .
- ٩٢- الملقى : رصف المبانى . ص ٢٩٤ .
- ٩٣- سيبويه : الكتاب ، ج ٣ ، ص ١٢٠ .
- ٩٤- المرجع السابق . ج ٣ ، ص ١٢٠ .
- ٩٥- الملقى : رصف المبانى . ص ٢٩٤ .
- ٩٦- الإستراباذى : شرح الكافية . ج ٢ ، ص ٣٩٠ .
- ٩٧- ابن هشام الأنصاري : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (صيدا - بيروت ، المكتبة العصرية ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد) ج ٤ ، ص ٢٠٧ .
- ٩٨- عباس حسن : النحو الوافى . (القاهرة - دار المعارف ، ١٩٦٩ م) ج ٢ ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .
- ٩٩- مجمع اللغة العربية - مجموعة القرارات العلمية فى خمسين عاماً ١٩٣٤ م - ١٩٨٤ م أخرجها وراجعها : محمد شوقى أمين ، إبراهيم الترسى ، ص ١٥٣ .

- ١٠٠- الإستر اباذى : شرح الكافية . ح ٢ ، ص ١٠٣ .
- ١٠١- تمام حسان : اللغة العربية معناها و ميناها . ص ٢٤٠ - ٢٥٧ .
- ١٠٢- النساء : الآية ١٧٦ .
- ١٠٣- برجشتراسر : التطور النحوى . ص ١٩٩ .
- ١٠٤- صلاح الدين صالح حسنين : الاشتغال و التقديم بين التوليديين و السيوطى (القاهرة - مجلة علوم اللغة : المجلد السادس ، العدد الثانى ٢٠٠٣ ، ص ١٦٥ - ٢٠٧) ، ص ١٧٤ - ١٨٢ ، ٢٠٧ .
- ١٠٥- محمد حماسة عبد اللطيف : بناء الجملة العربية . (القاهرة - دار غريب ، ٢٠٠٣ م) ص ٢١٨ - ٢٢٠ .
- ١٠٦- طيبة صالح الشذر : الأنماط الشرطية فى الشعر الكويتى المعاصر . ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
- ١٠٧- المرجع السابق : ص ٢١٤ .
- ١٠٨- الانشقاق : الآية ١ .
- ١٠٩- محمود فهمى حجازى : مدخل إلى علم اللغة (القاهرة - دار الثقافة ، ط ٢ معدلة ، ١٩٧٨ م) ص ٦٨ ، ٦٩ .
- ١١٠- طيبة صالح الشذر : الأنماط الشرطية فى الشعر الكويتى المعاصر . ص ٢٥٠ .
- ١١١- صلاح الدين صالح حسنين : الاشتغال و التقديم بين التوليديين و السيوطى ، ص ٢٠٧ .
- ١١٢- عبد القاهر الجرجانى : دلالات الإعجاز (القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الخانجى ، ٢٠٠٠ م ، قراءة و تعليق : محمود محمد شاكر) ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

- ١١٣- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز . ص ١٣١ - ١٤١ .
- ١١٤- الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف . ج ٢ ، ص ٦١٩ .
- ١١٥- الإستراباذي : شرح الكافية . ج ٢ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .
- ١١٦- ابن يعيش : شرح المفصل . ج ٩ ، ص ٤ .
- ١١٧- ابن هشام : مغنى اللبيب . ج ١ ، ص ٢١٣ .
- ١١٨- سيبويه : الكتاب . ج ٣ ، ص ١١٢ .
- ١١٩- الصبان : حاشية الصبان . ج ٤ ، ٣٩ .
- ١٢٠- سورة التكوير : الآيات ، ١-١٤ ، و الانفطار : ١-٥ ، و الانشقاق : ١-٥ .
- ١٢١- المائدة : الآية ١٠٦ .
- ١٢٢- الإسراء : الآية ١٠٠ .
- ١٢٣- النساء : الآية ١٢٨ .
- ١٢٤- النساء : الآية ١٧٦ .
- ١٢٥- التوبة : الآية ٦ .
- ١٢٦- الحجرات : الآية ٩ .
- ١٢٧- المائدة : الآية ١٠٦ .
- ١٢٨- الرحمن : الآية ٣٧ ، ٣٨ .
- ١٢٩- العكبري : التبيان في إعراب القرآن (بيروت - لبنان ، دار الجيل ، ط ٢ ،

- ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م تحقيق : على محمد البجاوى) ح ١ ، ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .
- ١٣٠- توفيق الحكيم : حمارى و عداوة المرأة ، فى : حمارى قال لى (القاهرة - مكتبة مصر . ط ١ ، ١٩٤٥ م) ص ٩٤ .
- ١٣١- توفيق الحكيم : حمارى و الجريمة ، فى : حمارى قال لى . ص ١٠٢ .
- ١٣٢- أنيس منصور : ممنوع عندهم ! ، فى : معنى الكلام (القاهرة - مكتبة الأسرة ، ١٩٨٨ م) ص ٨٩ .
- ١٣٣- أنيس منصور : الكلاب تعوى ! ، فى : معنى الكلام . ص ٢٧٧ .
- ١٣٤- أنيس منصور : لو أنت حبيبي ! ، فى معنى الكلام . ص ٤٦٣ .
- ١٣٥- أنيس منصور : تحذير من فوق ، فى : معنى الكلام ، ص ١٣٦ .
- ١٣٦- برجستراسر : التطور النحوى . ص ١٩٩ .
- ١٣٧- Brockelmann : Grundriss . B.2 , & 423 , S.639.
- ١٣٨- الكتاب المقدس بالعربية و العبرية . التكوين ٤٢ : ١٩ ، و انظر كذلك التكوين ٢٤ : ٤٩ ، و الخروج ٧ : ٢٧ .
- ١٣٩- Brockelmann : Grundriss . B.2 , & 424 , S.640.
- ١٤٠- الكتاب المقدس بالعربية و العبرية . دانيال ٣ : ١٥ .
- ١٤١- Brockelmann : Grundriss . B.2 , & 424 , S.640 .
- ١٤٢- الكتاب المقدس بالعربية و العبرية . العدد ٢٢ : ٢٩ .
- ١٤٣- المرجع السابق . الملوك الثانى ٣ : ١٤ .
- ١٤٤- Brockelmann : Grundriss . B.2 , & 428 , S.644.

قائمة المصادر و المراجع

أولا : المصادر و المراجع العربية :

- ١- الأتبارى ، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد :
- الإنصاف فى مسائل الخلاف (القاهرة - دار الفكر ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد)
- ٢- أنيس منصور :
- معنى الكلام (القاهرة - مكتبة الأسرة ، ١٩٨٨ م)
- ٣- برجشتراسر :
- التطور النحوي للغة العربية (القاهرة - الخانجى ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ،
(تصحيح وتعليق : رمضان عبد التواب) .
- ٤- تمام حسان :
- اللغة العربية معناها ومبناها (القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ،
١٩٧٩ م) .
- ٥- توفيق الحكيم
- حمارى قال لى (القاهرة - مكتبة مصر ، ط ١ ، ١٩٤٥ م)
- ٦- الجرجانى ، عبد القاهر :
- دلائل الإعجاز (القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الخانجى ، ٢٠٠٠ م ،
قراءة و تعليق : محمود محمد شاكر)
- ٧- سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر :
- الكتاب (القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون) ح ١ .
- الكتاب (القاهرة - الخانجى ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون) ح ٣ .
- الكتاب (القاهرة - الخانجى ، الرياض - دار الرفاعى ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ /
١٩٨٢ م ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون) ح ٤ .

- ٨- ابن الشجرى ، أبو السعادات هبة الله بن على الشريف البغدادي :
- الأمالي الشجرية (بيروت - لبنان ، دار المعرفة)
- ٩- الصبان ، أبو العرفان محمد بن على :
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على الفية ابن مالك (القاهرة - دار إحياء الكتب العربية)
- ١٠- صلاح الدين صالح حسنين :
- الإشتغال و التقديم بين التولديين و السيوطى (القاهرة - مجلة علوم اللغة ، المجلد ٦ ، العدد ٢ ، ٢٠٠٣ م)
- ١١- طيبة صالح الشذر :
- الأنماط الشرطية فى الشعر الكويتى المعاصر (القاهرة - مجلة علوم اللغة - المجلد ٢ ، العدد ٢ ، ١٩٩٩ م)
- ١٢- عباس حسن :
- النحو الوافى (القاهرة - دار المعارف ، ١٩٦٩ م)
- ١٣- ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله :
- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك (القاهرة - مكتبة محمد على صبيح ، ط ١٥ ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٨ م ، تحقيق : محمد سحى الدين عبد الحميد) .
- ١٤- العكبرى ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين :
- التبيان فى إعراب القرآن (بيروت - لبنان ، دار الجيل ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ ، تحقيق : على محمد البجاوى)
- ١٥- الكتاب المقدس : (دار الكتاب المقدس فى العالم العربى) .
- ١٦- الملقى ، أحمد بن عبد النور :
- رصف المبانى فى شرح حروف المعانى (حلب - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٤ هـ ، تحقيق : أحمد محمد الخراط) .
- ١٧- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد :
- المقتضب (القاهرة - المجلس الأعلى للشنون الإسلامية ، ١٣٨٦ هـ ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة) ح ٣ .

- المقتضب (القاهرة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٣٩٩ هـ ، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة) ح ٢ .

١٨- مجمع اللغة العربية في عيده الخمسيني :
- مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما ١٩٣٤ - ١٩٨٤ ، أخرجها
و راجعها : محمد شوقي أمين ، إبراهيم التريزي (

١٩- محمد حماسة عبد اللطيف :
- بناء الجملة العربية (القاهرة - دار غريب ، ٢٠٠٣ م)

٢٠- محمد عبد الخالق عزيمة :
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم (القاهرة - دار الحديث)

٢١- محمود فهمي حجازي :
- مدخل إلى علم اللغة (القاهرة - دار الثقافة ، ط ٢ معدلة ، ١٩٧٨ م)

٢٢- المرادى ، الحسن بن قاسم :
- الجنى الدانى فى حروف المعانى (بيروت - لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ،
١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل)

٢٣- المنجد فى اللغة و الأعلام . (بيروت - دار المشرق ، ط ٣٤)

٢٤- ابن هشام الأنصاري ، جمال الدين :
- مغنى اللبيب (القاهرة - دار إحياء الكتب العربية)
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (صيدا - بيروت ، المكتبة العصرية ،
تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد)

٢٥- المعجم الوسيط : (القاهرة - مجمع اللغة العربية ، المكتبة الإسلامية ، ط ٢ ،
١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، إخراج : إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ،
حامد عبد القادر ، محمد على النجار)

٢٦- ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن على :
- شرح المفصل (القاهرة - مكتبة المتنبي) .

ثانيا : المصادر و المراجع الأجنبية :

1- Brockelmann , Carl :

Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen , Verlag von Reuther & Reichard , Berlin 1913 .

2- Gesenius , Wilhelm :

Hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das Alte Testament , Springer – Verlag , 17 . Auflage , Berlin / Göttingen / Heidelberg 1962 .

3- Hebrew old Testament .

London : The British And Foreign Bible Society , Norman Henry Snaith , 1983.

الأمر عند النحاة الأمر في الفصحى، دراسة لغوية

د. علي محمد هندأوى

أستاذ مساعد بكلية الآداب - جامعة عين شمس

١. بين اللغة والاصطلاح:

فى لسان العرب: الأمر معروف، نقيض النهى، وأمره به وأمره... العرب تقول: أمرتك أن تفعل وتفعل وبأن تفعل، وأمر بكسر الميم أى كثر.. وتأمروا على الأمر واثتمروا: تماروا وأجمعوا آراءهم، واثتمر الرجل رأيه أى ارتأى وشاور نفسه قبل أن يواقع ما يريد. وفى الحديث: أمروا النساء فى تزويجهن أى شاوروهن فى تزويجهن (١).

ويذكر ابن القوطية أن فعل بفتح العين، والمزيد بالهمزة منه بمعنى واحد فى الفعل أمر - أمر والمعنى: كثر، بالتضعيف، وأن فعل بالفتح وفعل بالكسر مختلفان أولهما معناه فرض، وأيضاً أباح الشيء وبه، وعلى القوم إمارة أى ولاية، أما أمر بالكسر أمارة فمعناه كثر (٢).

ويذكر أبو هلال العسكري الأمر فى سياق حديثه عن الفرق بين الدعاء والمسألة ذلك أن المسألة يقارنها الخضوع والاستكانة، ولهذا قالوا: المسألة ممن دونك والأمر ممن فوقك والطلب ممن يساويك، فأما قوله تعالى (ولا يسألكم أموالكم) محمد ٣٦/٤٧ فهو يجرى مجرى الرفق فى الكلام واستعطاف السامع به، ومثله قوله تعالى (إن تقرضوا الله قرصاً حسناً) التغابن ١٧/٦٤ فأما قول الحصين بن المنذر ليزيد بن المهلب والحصين بن حيدة:

أمرتك أمراً جازماً فعصيتنى وكان من التوفيق قتل ابن هاشم

فهو على وجه الازدراء بالمخاطب والتخطئة له ليقبل لرأيه الإدلال عليه أو غير ذلك مما يجرى مجراه، والأمر فى هذا الموضع هو المشورة، وسميت المشورة أمراً لأنها على صيغة الأمر، ومعلوم أن التابع لا يأمر المتبوع ثم يعنفه على مخالفته أمره، لا يجوز ذلك فى باب الدين والدنيا، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال إن المسكين أمر الأمير بإحكامه، وإن كان المسكين أفضل من الأمير فى الدين... (٣).

ويؤكد الحاجة إلى استصحاب السياق فى تحديد مدلول الفعل أمر ما دار حول قوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا متر فيها ففسقوا فيها..) الإسراء ١٦/١٧، وقد حدث الكسائى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس أنه قرأها أمراً وقال سلطناً (تفسير الطبرى ٤٢٨٥)، وقال الكسائى: لا يقال عن الكثرة إلا أمرنا، قال وأصلها أمرنا فخفف، (القرطبي ٣٨٤٩/٥)، ومعنى أمرنا أكثرنا جبابرتها وأمراءها (القرطبي ٣٩٤٩/٥) وفيه: أنكر الكسائى ما روى عن الحسن ويحيى بن يعمر أمرنا بالقصر وكسر الميد، عر فعلنا وفى السبعة لابن مجاهد (٣٧٩): لم

وابن كثير *أَمَرْنَا* وعن أبي عمرو *أَمَرْنَا* . (٤)

وقد أوردت بعض كتب اللغة خصوصية للفعلين (أمر) و(أراد) في تعلق اللام والباء بهما ، وينسب إلى الكسائي والفراء القول بأن لام كي تقع في موضع (أن) في أردت وأمرت ، كما في قوله تعالى (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) (الأنعام ٧١/٦ ، وقوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) (الحجر ٩٤/٣١ ، قال الكسائي : التقدير بما تؤمر به ، مثل (ألا إن عادا كفروا ربهم)هود ٦٠/٢٧ ، أي بربهم ثم حذف الباء (٥) ، والأمر نقيض النهي ، والأمير ذو الأمر ، والأمير الأمر ، .. والأمر واحد الأمور .. والأمر الحادثة .. ، وقوله عز وجل (وأوحى في كل سماء أمرها) فصلت ٤١ / ١٢ ، قيل : ما يصلحها ، وقيل : ملانكتها .. ، والأمره الأمر ، وهو أحد المصادر التي جاءت على فاعلة كالعافية والعاقبة والجازية والخاتمة . (٦) كذلك استعمل اللفظ بمعنى الكثرة ، فيقولون : *مُهْرَةٌ مأمورة* ، أي تُنْوج وُلود ، وقال لبيد :

إِنْ يَغِيظُوا يَهَيِّطُوا وَإِنْ أَمَرُوا يَوْمًا فَهُمْ لِلْقَنَاءِ وَالنَّقْدِ
أمروا . بكسر الميم : كثروا ، وهو لازم ، والمتعدّي بفتح الميم أي أكثر ؛ يقول الأعشى :

طَرْفُونَ وَلَا دُونَ كُلِّ مَبَارَكٍ أَمْرُونَ لَا يَرْتُونَ سَهْمَ الْفَعْدِ
وقيل إن قولهم *مأمورة* على الإبتاع ، لأن عبارتهم : *سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ وَمُهْرَةٌ مأمورة* ، والأصل *مؤمّرة* من *أمرها* ، وقيل إنهما لغتان (٧)

وتأمروا على الأمر ، وانتمروا : تماروا وأجمعوا آراءهم ، وفي التنزيل (إن الملا يأتمرون بك ليقتلوك) القصص ٢٠/٢٨ قال أبو عبيدة : أي يتشاورون عليك ليقتلوك ، واحتج بقول النمر بن ثؤيب :

أَحَارَ بَنَ عَمْرٍو فَوَادِي حَمِيرٍ وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتُرُ
وقيل إن معناه ما يهيم به من الشر ، وقوله تعالى (إن الملا يأتمرون بك) أي يهيمون ، وقوله (وَأَمِيرُوا بَيْنَكُمْ يَمْعُرُوفُ) الطلاق ٦/٦٥ أي هُمُوا به واعتزموا عليه . وقالوا في قول الشاعر :

اعْلَمَنْ أَنْ كُلُّ مُؤْتَمِرٍ مَخْطِيٌّ فِي الْأَمْرِ أَحْيَانًا
أي من ركب أمرا بغير مشورة .. ، وقيل إن معنى *يأتمرون* : يأمر بعضهم بعضا أي تأمروا ، على مثال اقتتل القوم وناقلتوا واختصموا وتخاصموا ويقال : انتمرت فلانا في ذلك الأمر ، وانتمر القوم إذا تشاوروا ، وقال الأعشى :

فَعَادَا لَهْنَ وَزَادَا لَهْنًا وَأَشْتَرَكَا عَمَلًا وَانْتَمَارَا
وفي الحديث : أميرى من الملائكة جبريل ، أي صاحب أمري ووليي ؛ وكل من فرعت إلي مشاورته ومؤامراته فهو أميرك ومنه حديث عمر : الرجال ثلاثة : رجل إذا نزل به أمرٌ انتمر رأيه ، أي شاور نفسه وارتأى فيه قبل موافقة الأمر ، وقيل : المؤتمر الذي يهيمُ بأمرٍ يقعله .

وفي الحديث : *أمرُوا النساء في أنفسهن* ، أي شاوروهن في تزويجهن .. ، ومنه حديث عمر : *أمرُوا النساء في بناتهن* ، وفي حديث آخر : *البكر نُسَاتْنِ وَأَنْثِيَبِ*

سُتَأْمَرَ، لأن الإذن يُعْرَف بالسكوت ، والأمر لا يُعْرَف إلا بالنطق. ويُقال رجل أَمَرَ وإمارة : يستأمر كل أحد في أمره والأمير : الملك لِنَفَازِ أَمْرِهِ ، بَيْنَ الإِمَارَةِ والأَمَارَةِ .
والمرة من الأمر أَمْرَةٌ بفتح الهمزة ، أما بكسرها فهي الولاية. وأولو الأمر : الرؤساء وأهل العلم ، ويقال فلان أَمَرَ وأَمَرَ عليه ، إذا كان واليا وقد كان سُوْقَةً ، أي أنه مجرَّب . (٨)

٢- الأمر بين أقسام الفعل

اتفق علماء البصرة والكوفة في تقسيم الكلمة إلى ثلاثة أنواع : اسم وفعل وأداة ، وكذلك في تقسيم الاسم إلى أقسامه المعروفة المختلفة ، من حيث تكثيره وتانيته ، ومن حيث تعريفه وتكثيره ، ومن حيث بناؤه وإعرابه ، ومن حيث إفراده وتثنيته وجمعه ، ولم يختلف علماء المدرستين فيما يتعلق بالاسم إلا في مسائل جزئية (٩)
غير أن المدرستين تختلفان في أقسام الفعل ؛ يقول السيوطي : "الفعل ثلاثة أقسام خلافا للكوفيين في قولهم : قسمان ، وجعلهم الأمر مقتطعا من المضارع .." (١٠) ، غير أن الدكتور مهدي المخزومي يذكر أن الأفعال ثلاثة أقسام عند الكوفيين كما هي عند البصريين ، لكنهم يختلفون في القسم الثالث ، فهو عند البصريين الأمر ، وهو عند الكوفيين الفعل الدائم (١١) ، بل إن الكوفيين يضمون إلى الأفعال ما يسميه البصريون أسماء الأفعال ، وقد لاحظ الكوفيون أنها تعمل عمل الأفعال ، فلم يجعلوها لذلك قسما قائما لذاته وأدخلوها في طائفة الأفعال ، بل عدوها أفعالا حقيقية ، ولم يمنعهم دخول التنوين عليها ، وهو من علامات الأسماء عند الفريقين ، من تسميتها أفعالا (١٢) .

أما فعل الأمر ، فبالرغم من أنه عند البصريين مأخوذ من الفعل المضارع ، بعد حذف أحرف المضارعة فإنهم يعدونه قسما قائما بذاته ، ولكنه عند الكوفيين مقتطع - كما قلنا - من الفعل المضارع ، وعلى هذا فزمانه وحكمه عند الكوفيين هو زمان المضارع وحكمه ، ولكنه يختلف عن المضارع بأنه مجزوم فقط ، لأنه مقتطع من المضارع المجزوم بلام الأمر (١٣)

ويؤكد تعريف النحاة فعل الأمر ، صلة صيغته بصيغة المضارع ، فهو الذي على طريقته للفاعل المخاطب ، " لا يخالف بصيغته صيغته إلا أن تنزع الزائدة فتقول في تضع : ضَع ، وفي تضارب : ضارب ، وفي تُدْخِرْج : تُدْخِرْج مما أوَّله متحرك ، فإن سكن زدت لنلا تبتدئ بالساكن همزة وصل فتقول في تضرب : اضْرِبْ وفي تنطلق وتستخرج : انطلق واستخرج .." (١٤)

وهذه الهمزة تكون مكسورة لالتقاء الساكنين إلا أن يكون الثالث منه مضموما " فإنه يُضَمُّ إِبْطَاعاً لضمته وكراهية الخروج من كسر إلى ضم والحاجز بينهما ساكن غير جصين فهو كلا حاجز ، والكوفيون يذهبون إلى أن همزة الوصل في الأمر تابعة لثالث المستقبل إن كان مضموما ضممتها وإن كان مكسورا كسرتها ولا يفعلون ذلك في المفتوحة لنلا يلتبس الأمر بإخبار المتكلم عن نفسه نحو *اعْلَمْ واعْلَمْ* (١٥)
كذلك يرتبط الأمر بالمضارع - الذين يسمونه المستقبل أيضا - من حيث الدلالة الزمنية ، لأنه " لما كان زمن الأمر المستقبل أخذ من اللفظ الذي يدل عليه وهو المضارع " (١٦)

والأصل عند النحاة دخول لام الأمر على المضارع وبقاء حرف المضارعة عند أمر الحاضر ، أما حذفه فقيل " لكثرت في كلامهم فأثروا تخفيفه ، لأن الغرض من حرف المضارعة الدلالة على الخطاب ، وحضور المأمور وحاضر الحال يدلان على أن المأمور هو المخاطب ، ولأنه ربما التبس الأمر بالخبر لو ترك حرف الخطاب على حاله ... " ، ولأن اللام موضوعة لمعنى الأمر ، كلاً الناهية ولام النافية ... " (١٧)

ويؤدي حذف حرف المضارعة من أمر المخاطب إلى التحول به من حالة الإعراب التي لازمته مع حرف المضارعة إلى حالة البناء " .. والفعل بزوال حرف المضارعة منه خرج عن أن يكون معرباً فلم يدخل عليه العامل .. " (١٨)

كما يؤدي تغيير بنية الفعل عند بنائه للمجهول إلى لزوم اللام مع المخاطب ، "فهذا القبيل لا بد فيه من اللام وإن كان مخاطباً حاضراً لأن هذا الفعل قد لحقه التغيير بحذف فاعله وتغيير بنيته ، فلم تحذف منه اللام أيضاً وحرف المضارعة ، لئلا يكون إجحافاً به ، وإذا لم يجز الحذف مع المخاطب ، فإن لا يجوز مع الغائب أوّلى .. " (١٩)

وقد علل بعض النحاة لدخول اللام التي للأمر على المبني للمجهول للمتكلم والمخاطب ، بأن الأمر لغيرهما ، وهو الفاعل الغائب ، فتقدير *لِيُعْنِ بِحَاجَتِي فَلْتُعْنِكَ حَاجَتِي* (٢٠) ؛ وهذا التعليل إن ساغ في بعض الأفعال فإنه لا يسوغ في غيرها ، وبخاصة في الأفعال اللازمة ، إذ كيف نقدر تركيباً كالسابق في مثل : *لِتُرْةَ عَلَيْنَا ؟* أتقول إن التقدير : *لِتُرْةَ نَفْسِكَ عَلَيْنَا ؟* لا يخلو الأمر ، كما نرى ، من تكلف . وأدى اشتراط النحاة دخول اللام عند أمر الغائب إلى تقديرها محذوفة في مواضع من أبيات ورد فيها المضارع مجزوماً ، مثل :

فُتَضِحِي سَرِيحاً لَا تُقُومُ لِحَاجَةٍ وَلَا تَسْمَعُ الدَّاعِي وَيَسْمَعُكَ مِنْ دَعَا
حَيْثُ جَزَمَ الْفِعْلَ عَلَى تَقْدِيرِ لَامِ الْأَمْرِ ؛ وَيَنْصُ سَبِيوِيهِ عَلَى جَوَازِ حَذْفِهَا فِي الشَّعْرِ
وإِعْمَالِهَا مَضْمُورَةً ، كَأَنَّهُمْ شَبَّهُوهَا بِأَنَّ إِذَا أَعْمَلُوهَا مَضْمُورَةً ، وَيُورِدُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :
مَحْمَدٌ تَقْدِرُ نَفْسُكَ كُلَّ نَفْسٍ إِذَا مَا خَفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالَا (٢١)

وقول متمم بن نويرة (٢٢) :

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ الْبَعُوضَةِ فَاخْمَشِي لَكَ الْوَيْلَ حَرَّ الْوَجْهِ أَوْ يَبِيكَ مِنْ بَكِي
وَقَوْلِ أَحِيحَةَ بِنِ الْجَلَّاحِ (٢٣) :

فَمَنْ نَالَ الْغَنَى فَلْيَصْطَبِعْهُ
صَنِيعَتَهُ وَيَجْهَدْ كُلَّ جَهْدٍ

أَي : لِتَقْدِرْ ، وَلِيَبِيكَ ، وَلِيَجْهَدْ .

ويشير سيبويه إلى أن الأصل إظهار عامل الجزم في الأفعال ، لأن الجزم فيها نظير الجر في الأسماء ، " .. فمَنْ تَمَّ لَمْ يَضْمُرُوا الْجَارَ ، وَقَدْ أَضْمَرَهُ الشَّاعِرُ ، شَبَّهَهُ بِإِضْمَارِهِمْ رَبُّ وَوَاوِ الْقِسْمِ فِي كَلَامِهِمْ بَعْضُهُمْ " (٢٤) ؛ اللام لازمة إذا - عند النحاة - في أمر غير الفاعل المخاطب ، أي في الغائب والمتكلم والمفعول نحو : *لِيُقَمِّمْ زَيْدٌ ،* و*(وَلْتَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ..) الْعَنْكَبُوتِ ١٢/٢٩* ، و*(قَوْمُوا فَلْأَصِلْ لَكُمْ) وَ"لِيُعْنِ بِحَاجَتِي"* ؛ وهي قليلة في أمر فاعل مخاطب ، ؛ ومن ذلك قراءة (فبذلك فليفرحوا ..) يونس ٥٨/١٠ ، وقد " كان الكسائي يعيب قولهم (فلتفرحوا) لأنه وجده قليلاً فجعله عيباً

..وهي في قراءة أبيّ (فبذلك فافرحوا) وهو البناء الذي خُلِقَ للأمر إذا واجهت به أو لم تواجه ... " (٢٥)

ومن هذا القليل أيضا حديث (لِنَأْخُذُوا مَصَافِكُمْ) أي : خذوا مصافكم ، يقول ابن يعيش : وإنما أدخل اللام مراعاة للأضل (٢٦). وقد فصل بعضهم المسألة، كقول الرضى: إن كان المأمور جماعة بعضهم غائب ، فالقياس تغليب الحاضر ، فيؤتى بالصيغة (أي بفعل الأمر) ويقل الإتيان باللام (٢٧) وفي حذف اللام أقوال :

• الجواز مطلقا حتى في الاختيار بعد قول أمر ، وهو رأي الكسائي ، كقوله تعالى : (قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ..) إبراهيم ٣١/١٤ ، أي ليقموا .

• المنع مطلقا حتى في الشعر ، وهو رأي المبرد .

• الجواز في الشعر فقط ، كالشواهد المذكورة ، ولا يجوز في الاختيار سواء تقدم أمر بالقول ، أو قول غير أمر ، أم لم يتقدمه ، والجزم في الآية لأنه جواب الأمر ، أو جواب شرط محذوف .

• الجواز في الاختيار بعد قول ولو كان غير أمر ، نحو : قلت لزيد يضرب عمرا ، أي ليضرب ، ولا يجوز في غيره إلا ضرورة ، واختاره ابن مالك ، وجعله أقل من حذفها بعد قول أمر ، واستدل بقوله :

قُلْتُ لِيَوَابٍ لَدَيْهِ دَارُهَا تَبَيَّنَ فإبْيَ حَمَّوْهَا وَجَارُهَا

قال : وليس بضرورة لتمكنه من أن يقول : إيذنْ فإني ، أو : ليذنْ إني . ولا تفصل اللام عما عملت فيه لا بعموله ولا بغيره ن قال أبو حيان : وهي أشد اتصالا من حروف الجر ، لأنه قد رُوِيَ فيه الفصل ، ولم يَجْزْ ذلك فيها ، لأن عامل الجزم أضعف من عامل الجر . (٢٨)

٣ - الدلالة الزمنية:

ميّز بعض اللغويين قديما بين الاستعمالين الحقيقي والمجازي عند تحديد " الآن " الذي يطلق على الزمن الحاضر ، ويسمى حدّ الزمانين " لأنه يفصل بين الماضي والمستقبل .. فالآن الذي يقال على الحقيقة لا يمكن أن يقع فيه فعل ولا حركة على التمام لأنه ينقضي أو لا فأولا ، وليس بثابت ، إنما هو شبيه بالماء السيّال الذي يذهب جزءا بعد جزء ، فإن الزمان الذي يُنطق فيه بالجيم من جعفر لا يلبث حتى يجيء الزمان الذي يُنطق فيه بالعين ، والزمان الذي ينطق فيه بالعين لا يلبث حتى يجيء الزمان الذي ينطق فيه بالفاء ، بل يذهب كل زمان ويَعْتَبُه الآخر فلا يرد الثاني إلا وقد صار الأول ماضيا ، ولهذا جعلوه كالنقطة التي لا بُعْدَ لها ، وأنكر قوم وجوده وقالوا إنما الموجود الماضي والمستقبل ، وأما الزمان [الحاضر] (٢٩) فلا وجود له ، وهذا غلط أو مغالطة لأن قِصْرَ مُدَّتِهِ لا يخرجه عن أن يكون موجودا ، بل هو الموجود على الحقيقة ، ولو لم يوجد زمان حاضر لما كان شيء موجودا ، لأن وجود الأشياء مرتبط بوجود الزمان ، .. وأما الآن الذي يستعمل على المجاز فهو الذي يستعمله الجمهور وهو المستعمل في صناعة النحو ، فإنهم يجعلون كل ما قرب من

الآن الذي هو كالنقطة من الماضي والمستقبل أنا ، فلذلك يقولون : هو خارج الآن وأنا أقوم الآن ، لأن الآن الذي بهذه الصفة هو الذي يمكن أن تقع فيه الأفعال والحركات على الكمال .." (٣٠)

وقد ذهب غير هؤلاء إلى القول بأن " الفعل على الحقيقة ضربان : ماض ومستقبل ، فالمستقبل ما لم يقع بعد ، ولا أتى عليه زمان ، ولا خرج من العدم إلى الوجود ، والفعل الماضي ما تَقَضَّى ، وأتى عليه زمانان لا أقل من ذلك ، زمان وُجِدَ فيه ، وزمان حُبِرَ فيه عنه ، فأما فعل الحال فهو المتكوّن في حال خطاب المتكلم ، لم يخرج إلى حيز المضيّ والانقطاع ، ولا هو في حيز المنتظر الذي لم يأت وقته ، فهو المتكوّن في الوقت الماضي وأول الوقت المستقبل ، ففعل الحال في الحقيقة مستقبل ، لأنه يكون أولا ، فكل جزء خرج منه إلى الوجود صار في حيز المضيّ . فل هذه العلة جاء فعل الحال بلفظ المستقبل نحو قولك : زيد يقوم الآن ، ويقوم غدا ، وعبد الله يركب الآن ويركب غدا ، فإن أردت أن تُخْلِصَه للاستقبال أدخلت عليه السين أو سوف فقلت : سيقوم زيد ، وسوف يركب عبد الله ، فيصير مستقبلا لا غير . " (٣١)

وقد سبق أن ذكرنا أن الكوفيين " قسموا الأفعال ثلاثة أقسام : ماض ، ومستقبل وهو ما في أوله الزوائد الأربع نحو يقوم وأقوم وتقوم ونقوم ، والثالث الفعل الدائم وهو قائم وذاهب وضارب وأشباهه ، وهو الحال ، وكان فيما سموه من ذلك فعلا دائما غلط من وجوه : منها أن ضارب وقائم ونحوها أسماء في الرفع والنصب والخفض ، ومنها التنوين والألف واللام والإضافة ، فكيف يجوز أن يُسموا قائما أو ضاربا فعلا وفيها علامات الأسماء كلها ؟ ومنها أنهم سموه دائما وهذه التسمية تبطل معناها لأن الذي سموه دائما ليس بفعل ماض ولا مستقبل فهو فعل في الوقت الحاضر لا يبقى لأنه بمعنى الآن وهو حدّ قياس الماضي والمستقبل ، ومعنى الدائم أنه يدوم و يبقى ، وإن قال قائل : ضارب تعمل عمل يضرب فسميناه بالفعل لأنه يعمل عمله ، قيل له : لو كان الشيء إذا عمل عمل شيء سميناه باسمه لوجب أن نسمي أن وأخواتها أفعالا لأنها تنصب كما تنصب الأفعال ، ونسبي المصدر فعلا لأنه ينصب كما ينصب الفعل ، ونسبي الأسماء التي تخفض ما بعدها حروفا لأن أصل الخفض لحروف الخفض والأسماء التي تخفض بتأويل الحروف .. فإن قال قائل : سمينا ضاربا فعلا لأنه لا فرق بين قولنا : زيد ضارب عمرا وقولنا : زيد يضرب عمرا قيل له : لو جاز أن نحمل ضاربا على يضرب فنسويه فعلا لاستوانهما في المعنى جاز أن نحمل يضرب على ضارب ، فنسبي يضرب اسما لاستوانهما في المعنى وهذا قلب للأشياء عن حقائقها " (٣٢)

والحق فيما يتعلق بأمر اللغة وحدود فصائلها وأقسام كلامها ، لا ينبغي أن يؤخذ بهذا النظر الجزئي الذي يتصف بالتعميم ويقع بالأدلة المنطقية ، ويتجاهل واقع اللغة المستعملة التي تنبض بالحياة وتتداخل حدود أقسامها أحيانا خدمة للمعنى ، فقلت عما يراد لها أن تقبع في أسره من الحدود . ولهذا فإننا نرى وصف الكوفيين اسم الفاعل بالفعل الدائم إنما هو عبارة عن فهم هو إلى مراعاة الوظيفة أدنى منه إلى الاستجابة لمقتضيات الشكل .

وقد تساءل النحاة واختلفوا حول أي الأفعال أسبق في التقدم ، ورأى بعضهم أن أسبقها الفعل المستقبل ، " لأن الشيء لم يكن ثم كان ، و العدم سابق للوجود ، فهو في التقدم منتظر ، ثم يصير في الحال ، ثم ماضيا فيُخْبَر عنه بالمُضِيِّ ، فأسبق الأفعال في المرتبة المستقبل ، ثم فعل الحال ، ثم الماضي " (٣٣)

ويقول السيرافي " إن في ذلك قولين : أحدهما أن المستقبل أول الأفعال ثم الحال ثم الماضي ، وهذا شيء كان يذهب إليه الزجاج وغيره ، والحجة فيه أن الأفعال المستقبلية تقع بها العِدَات ثم توجَد بعد تقدُّم الميعاد وانتظار الموعد فيكون حالا ثم يأتي عليه غير زمان وجوده فيكون ماضيا . والقول الثاني أن الحال هو أول الأفعال ويكون الأقرب إليه في الترتيب المستقبل وتاليه الماضي .. " (٣٤)

غير أن الربط بين صيغة الفعل ، وما يدخله من علامات شكلية من ناحية ودلالته على الزمن من ناحية أخرى ، وجد من الباحثين المعاصرين من لا يراه صحيحا ، .. " فليس كل مضارع الصيغة يدل على الحاضر والمستقبل ، وليس كل ماضي الصيغة يدل على الزمن الماضي فهذا الربط أمر لا يقره منطق اللغة ولا تبرره أساليب التعبير بها " (٣٥) ، وهو يؤكد أيضا أن الكلمات المُسمَّاة أسماء الأفعال ، التي هي موضع خلاف ، " ينبغي أن يراقب استعمالها في الكلام وتدرُّك معانيها الوظيفية ، ونلاحظ أشكالها ، فما طابق الفعل منها في ذلك فهو فعل ، وإلا فلا بد من إخرجه من طائفة الأفعال .. " (٣٦)

و يدل الأمر- باعتباره فعلا- على الحدث و الزمان ؛ يقول أبو حيان في " تذكرته " إن في دلالة الفعل ثلاثة مذاهب :

أحدها : أنه يدل على الحدث بلفظه ، وعلى الزمان بصيغته ، أي كونه على شكل مخصوص ، ولذلك تختلف الدلالة على الزمان باختلاف الصيغ ، ولا تختلف الدلالة على الحدث باختلافها .

والثاني : أنه يدل على الحدث بالصيغة ، واختلافها من كونه واقعا أو غير واقع ، وينجر مع ذلك الزمان ، فيدل عليه الفعل باللزوم دلالة السقف على الحائط .

والثالث : عكسه ، أي أنه يدل على الزمان بذاته ، لأن صيغته تدل على الزمان الماضي والمستقبل بالذات (أي الماضي في نحو : ضربت ، والمستقبل أي في المضارع والأمر في نحو يضرب واضرب ، وبالذات أي لأن دلالته متبادرة من اللفظ ، وتبادر المعنى من اللفظ علامة الحقيقة ، كما هو مقرر في سائر الفنون .. ثم المشهور الذي عليه الجمهور أنه يدل على الحدث بمادته وعلى الزمان بهينته ، لا دلالة له بحسب الوضع على أمر آخر سواهما أصلا ، لذلك أخذوا في حدّه ، كما في كلام النحاة .. (٣٧)

والأمر ، من حيث الدلالة الزمنية ، مستقبل أبدا ، لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل ، نحو (يا أيها النبي اتق الله) الأحزاب ١/٣٣ ؛ قال ابن هشام : إلا أن يراد به الخبر ، نحو : إرّم ولا حرج ، فإنه بمعنى رميت والحالة هذه ، وإلا لكان أمرا له بتجديد الرمي ، وليس كذلك (٣٨)

وقد عرّف بعض النحاة الأمر بأنه ما دل على حدث في المستقبل (٣٩) ، وإن كان بعضهم خصص زمنه بالحال ، وهو ما أنكره الدكتور إبراهيم أنيس وقال إننا نلحق

فيه غالبا المستقبل القريب أو البعيد (٤٠) ، على حين يرى الدكتور محمد عبد الله جبر أن الأمر " إنما يدل بصيغته على الطلب وحسب ، وقد تحدده كلمات دالة على الزمن مثل الآن ، الساعة ، اليوم ، غدا .. الخ ، فإذا لم يقترن به شيء كان مفهومه لغير الزمن الماضي بلا تحديد " (٤١)

٤- بين الإعراب والبناء :

الأصل في الفعل عند النحاة أنه مبني ، وما أعرب منه ، وهو المضارع ، إنما بُنيَ لمشابهته الاسم " .. وَبَنُوهُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ لِيُكَلِّفَ عَلَى أَنْ الْأَصْلُ الْبِنَاءُ ، كَمَا صَحَّحُوا الْقَوَدَ وَالْحَوَاكَةَ (٤٢) تَنْبِيْهَا عَلَى أَنْ أَصْلُ نَحْوِ بَابِ وَدَارَ : بَوَّبَ وَدَوَّرَ ، وَعَلَى هَذَا يَجْرِي كَثِيرٌ مِنْ كَلَامِهِمْ " (٤٣)

والقول ببناء الأمر هو مذهب البصريين ، وبناءؤه على ما يُجْزَمُ به مضارعه لو كان يُجْزَمُ ، من سکون في صحيح ملفوظ كـ/ضَرِبَ أو مقدر كـرَدَ وَاضْرِبِ الرَّجُلِ أو حذف نون في الأفعال الخمسة أو حذف علة في المعتل ، ومنه هَاتِ وَتَعَالَى إذ لو كان لهما مضارع لجُزِمَ بذلك ، ولا يرد أمر الواحد المؤكد وأمر الإناث حيث يبنيان كمضارعهما على الفتح والسكون لأجل النونين ، صحيحين كانا أو معتلين لا على ما يجزم به المضارع لإمكان أن يقدر بناؤهما على سکون أو حذف منعه تلك النون ، ويقال للمضارع معهما مبني لا معرب لأنه يثبت له محل الجزم والنصب كما قال غير واحد ، أو يقال لو كان معربا ، ولو قيل باستثناء هذين من حكم الأمر لقيام المانع بهما لم يَنْعُدْ .. (٤٤)

أما عند الكوفيين ، فإن الأمر معرب ، أي مجزوم بلام الأمر المقدرة ، لأنه عندهم قُطِعَتْ مِنَ الْمَضَارِعِ الْمَجْزُومِ بِهَا ، فَحُذِفَتِ اللَّامُ تَخْفِيفًا ثُمَّ حُرِفَ الْمَضَارِعُ خَوْفَ الْإِلْتِبَاسِ بِغَيْرِ الْمَجْزُومِ عِنْدَ الْوَقْفِ ، ثُمَّ يُوْتَى بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ عِنْدَ الْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهَا (٤٥) ومن التوسع في إطلاق المصطلح قديما أن الجزم كان يطلق مقصودا به ما يعرض للمضارع من تسكين آخره إذا كان صحيح الآخر ، أو حذف آخره إذا كان معتل الآخر ، أو حذف النون إذا كان من الأفعال الخمسة ، كما كان الجزم يطلق على السكون في آخر فعل الأمر ، أو السكون مطلقا ولو كان في وسط الكلمة . (٤٦)

ويمكن إجمال حجج الكوفيين في القول بإعراب فعل الأمر ، فيما يلي (ملخصا عن الإنصاف في مسائل الخلاف - المسألة ٧٢ ، ص ٣٠٣ وما بعدها) :

أولا : أن الأصل في الأمر للمواجه هو كما للغائب ، بالمضارع الطلبي أي المسبوق باللام ، وعليه قراءة (فبذلك فلتقرحوا هو خير مما يجمعون) يونس ١٠ / ٥٨ ، وقوله (صلعم : لتأخذوا مصافكم) أي خذوا ، وقول الشاعر :

فَمُ أَنْتَ يَا ابْنَ خَيْرٍ قَرِيْشٍ فَتَقْضِيْ حَوَائِجَ الْمُسْلِمِيْنَ

ولما كثر استداله وجرى على الألسنة أكثر من الغائب استنقلوا مجيء اللام فيه ، فخذ فوها مع . ف المضارعة طلبا للتخفيف .
ثانيا : حمل الأمر على ضده وهو النهي ، فكما أن فعل النهي معرب مجزوم فكذلك فعل الأمر .

ثالثا : حذف . ف العلة من آخر المضارع المعتل المجزوم يعامل ، فدل على أن الأمر مجزوم . نامل مقدر هو اللام ، ويضيف الكوفيون أنه ورد عن العرب إعمال حرف الجزم . الحذف ، (٤٧) في مثل .

محمدٌ تقدّر نفسك كلُّ نفس إذا ما خفت من أمر تبالا

ويقيس الكوفيون القول ببناء اسم فعل الأمر ، على قولهم بإعراب فعل الأمر ، فعندهم أن بناء اسم الفعل إنما هو لتضمنه معنى لام الأمر ، مثلما يجزم الأمر بلام محذوفة تخفيفا .

أما البصريون فقالوا إن فعل الأمر مبني على الأصل في بناء الأفعال وهو السكون ، أما الماضي فإن بناءه على الفتح لمشابهة ما بالأسماء ، كوقوعه مواقعها ، ولا مشابهة بوجه ما بين فعل الأمر والأسماء ، فكان باقيا على أصله في البناء .

ولا يسلم البصريون بقول الكوفيين إن الأمر مُنْطَع من المضارع ، ولا بما يبيئه الكوفيون على ذلك من أن فعل الأمر وما يُحمل عليه وما يُثوب متابه معمول للام الأمر المحذوفة ، أو أن صيغة فعل الأمر معدولة عن صيغة المضارع المجزوم التي للأمر ، وهم يؤكدون على المفارقة بين الصيغتين ، وكذلك على المفارقة بين صيغة الأمر وصيغة النهي التي قال الكوفيون بحمل الأمر عليها حمل الضدّ على ضدّه .

ولا يقيس البصريون - بحسب طريقتهم - على ما يسوقه الكوفيون من أمثلة نادرة حذف فيها عامل الجر أو النصب وبقي عمله (٤٨) ، ويحتج البصريون كذلك بأنه لو كانت اللام الجازمة للفعل محذوفة ، كما يقدر حذف " أن الناصبة قبل المضارع في بعض السياقات ، لكان يجب أن يبقى حرف المضارعة ، فيقال : *تَقَعَنَّ* ، في معنى : *لَيَقَعَنَّ* ، كما بقي حرف المضارعة مع حذف (أن) بعد الفاء والواو وأو ولام الجحود ولام كي وحتى ، فلما حذف هاهنا حرف المضارعة فقيل : *فَعَلَنَّ* ، دل على أن ما ذهب إليه الكوفيون قياس باطل .

ويفصل البصريون في حكم البناء بين فعل الأمر واسم فعل الأمر ، باعتبار فعل الأمر صيغة مرتجلة قائمة بنفسها باقية في البناء على أصلها ، فوجب أن يكون اسم فعل الأمر مبنيا لقبامه مقامه (٤٩) .

الأحكام التركيبية للأمر

يدخل الأمر في نوع من أنواع الكلام عند النحاة يشمل معه النهي والتمني والتخصيص ، فكل أولئك " من أجناس الكلام التام وله تركيب على حدّته ليس تركيبا خبريا ولا تركيبا تقييدا ، والفعل الواقع فيه يُقَيّد بجميع الأسماء التي يقيد بها الفعل الواقع في القول الخبري من المفعولات وسائر المنصوبات والمخفوضات ، وبالجملة يوجد فيها جميع القوانين .. من قيود الأفعال وقيود الأسماء ، والذي يخص هذا الكلام التام في نفسه من أن الأمر فيه مبني على السكون ، والنهي مجزوم .. " (٥٠)

وقد سبق أن ذكرنا الخلاف في الحكم الإعرابي لصيغته فعل الأمر بين البصريين والكوفيين ، بناء على تصور كل من الفريقين لطبيعة هذه الصيغة ؛ فالبصريون يعدون فعل الأمر مبنيًا ، والكوفيون يعدونه معربًا مجزومًا . أما علامة بنائه فهي السكون ، وهو الأصل في البناء ، بخلاف الماضي الذي يبني على حركة الفتح ، " وذاك أن مثال الماضي قد حصل له تمكن ليس لمثال الأمر ، لأنك تقول : مررت برجل ضرب زيدًا ، فيقع موقع الاسم ، وتقول *إن فعلت فعلت* ، فيقع موقع المضارع ، لأن المعنى *إن تفعل / افعل* ، ألا ترى أنك تقول : *إن فعلت غذا فعلت* ، كما تقول : *إن تفعل غذا ؟* وفعل الأمر ليس له هذا التمكن ، لأنه لا يوصف به ، ألا ترى أنك لا تقول : مررت برجل *اضرب زيدًا* ، ولا تقول : *اضرب / اضرب* ، بمعنى *إن تضرب / اضرب* ، فلما حصل لمثال الماضي تمكن ليس لمثال الأمر بُنيَ على أقوى العلامتين وهو الحركة ، إذ هي أقوى من السكون ، كما أن : *يا حكّم* لما كان متصرفًا في الكلام كقولك : *هذا حكّم ورأيت حكّمًا* ومررت بحكّم ، ثم قصد بناؤه بني على الحركة فصلًا بينه وبين ما ليس نحو *إبّ وگمّ* ، وجعل الحركة دليلًا على قوته ، فمثال الأمر نحو *اضرب* بمنزلة *گمّ و منّ* في أنه بني على أصل البناء الذي هو السكون لتعريفه من التمكن ، ومثال الماضي بمنزلة *يا حكّم* في أنه بني على الحركة تنبيهًا على التمكن ، فإن قلت : فكيف اختيار الفتحة من بين جميع الحركات ؟ فالجواب أن الذي دعاهم إلى بنائه على الحركة هو قصدهم الفرق بينه وبين مثال الأمر ، والفتحة كافية ، لأن الفصل بينها وبين السكون واضح ، وكانت أولى الحركات بالاختيار لخفتها ، والفعل وإن حصل له تمكن فليس بحاصل له قوة الأسماء ، وإذا كان كذلك وجب أن يُخصَّ بأضعف الحركات وأقربها إلى السكون ليكون تمكن اللفظ على قدر تمكن المعنى .. " (٥١)

وتدل عبارة بعض النحاة على اختلاف الحكم الإعرابي لصيغة الأمر عن حكم المضارع المسبوق بلام الأمر ؛ يقول أبو علي الفارسي : " فالمبني منه أمثلة الأمر إذا كان للواحد ولم يكن في أوله حرف مضارعة ، لأن ما كان فيه أحد حروف المضارعة من أمثلة الأمر فإنه يكون مجزومًا باللام ... وإذا ثبت البناء في فعل الواحد ثبت في فعل الاثنين والجميع .. فلو لم يثبت الإعراب في فعل الواحد لم يثبت في فعل الاثنين وما زاد عليه .. فلا يكون في شيء من ذلك إعراب ، لأن فعل الواحد مبني ، ولا يتغير لنتنية فاعله وجمعه حكمه في الإعراب والبناء " (٥٢).

- جزم جواب الأمر :

يُجزم جواب الأمر ، وكذلك النهي والاستفهام والتمني والعرض ، وجزمها جميعًا عند النحاة بتقدير المجازاة أي الشرط ، فهي كلها جواب الشرط المحذوف في الحقيقة ، لأن هذه الأشياء غير مفترقة إلى الجواب والكلام بها تام " ألا ترى أنك إذا أمرت فإنما تطلب من المأمور فعلًا ، وكذلك النهي ، وهذا لا يقتضي جوابًا لأنك لا تريد وقوف غيره على وجوده ، ولكن متى أتيت بجواب كان على هذا الطريق ، فإذا قلت

في الأمر: *إيتني أكرمك وأحسن إليّ أشكرك* ، فتقديره بعد قولك *إيتني* : *إن تأتني أكرمك* ، كأنك ضمنت الإكرام عند وجود الإيتين ، وليس ذلك ضمانا مطلقا ولا وعدا واجبا ، وإنما معناه : *إن لم يوجد لم يجب* ، وهذه طريقة الشرط والجزاء .. "(٥٣)"
 وإذا حولنا المسألة إلى صورة بنية عميقة (مقدرة) *deep structure* وراء البنية السطحية (الظاهرة) *surface structure* نجد أن تركيب جملة الأمر الظاهرة يُضمّر تحته تركيب جملة شرط مقدرة ، أي أنه " إذا قلنا : *أكرم زيد/ يكرمك* ، فالذي يُضمّره من الشرط : *إن تكرم زيدا* .. "(٥٤)" . ولعل هذا التقدير – مع إجحافه بمعنى الأمر وجعله فرعا على تركيب لمعنى آخر هو الشرط – يلقي قبولاً حسنا عند تقدير التركيب الشرطي وراء جملة النهي – الوجه الآخر للأمر وضده ؛ يقول ابن يعيش: " والنهي قولك : *لا تزر زيدا يهتك* ، على تقدير : *إن لا تزره يهتك* ، ولذلك قال النحويون إنه لا يجوز أن تقول : *لا تدن من الأسد ياكلك* ، لأن التقدير : *لا تدن من الأسد* ، *إن لا تدن من الأسد ياكلك* ، وهذا محال ، لأن تباغده لا يكون سببا لأكله ، لأنه يعاد لفظ الأمر والنهي ويُجعل شرطا وجوابه ما ذكر بعد الأمر والنهي .. ولو قلت : *لا تدن من الأسد ياكلك* بالرفع جاز لأن معناه *ياكلك إن دنوت منه* ، وكذلك لو قلت : *لا تدن من الأسد فياكلك* بالفاء والنصب لأنه يكون تقديره : *لا يكن ذنوّ فأكل* .. "(٥٥)"

ويحمل على معنى الأمر في جزم جوابه ما ذكر من النهي والاستفهام والعرض والتمنى في عبارات مثل : *أين بيتك أزرک* ؟ كأن المعنى : *أين بيتك؟ إن أعلم مكان بيتك أزرک* ، ويُستتر هنا الاستفهام الحقيقي لا التقريري (٥٦). ومن جزم جواب الاستفهام ما في قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا هئ أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون *يغفر* لكم ذنوبكم..) الصف ١٢/٦١ ، إذ جزم الفعل *يغفر* لأنه جواب هل ، " وقال الزجاج: *يغفر* لكم جواب قوله (تؤمنون بالله ورسوله) ، فهو أمر بلفظ الخبر ، وليس جواب هل لأن المغفرة لا تحصل بالدلالة على الإيمان إنما تحصل بنفس الإيمان والجهاد ، ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود *آمنوا بالله* مكان *تؤمنون* ، والأظهر الوجه الأول وهو أن يكون جواب هل ، لأن *تؤمنون* إنما هو تفسير للتجارة على معناها لا على لفظها ، ولو فسرها على لفظها لقال أن *تؤمنوا* ، لأن *إن تؤمنوا* اسم وتجارة اسم ، والاسم يُبدل من الاسم ويقع موقعه ، وقوله *تؤمنون* كلام تام قائم بنفسه ، وفيه دلالة على المسمى المراد ، فمن حيث كان تفسيراً للتجارة فهو من جملة ما وقع عليه الاستفهام بـ *هل* ، والاعتماد في الجواب على *هل* ، و*هل* في معنى الأمر لأنه لم يقصد إلى الاستفهام عن الدلالة على التجارة المثبتة هل يدلون أو لا يدلون عليها ، وإنما المراد الأمر والدعاء والحث على ما يُنجيهم.. "(٥٧)"
 وقد وافق الفراء على أن تأويل *هل أدلكم أمر* في المعنى ، وشبهه بقولك للرجل : *هل أنت ساكت؟ معناه: اسكت!* (٥٨)

ويحمل ما فيه معنى الأمر والنهي عليهما في جزم جوابه ولو كان خيرا؛ يقول ابن يعيش إن " العلة في جزم جواب الأمر إنما كانت من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، وإذا كان من جهة المعنى لزم في كل ما كان معناه معنى الأمر، فمن ذلك

قولهم : اتقى الله امرؤً وفعل خيراً يُثب عليه ، لأن المعنى : ليتق الله وليفعل خيراً ، وليس المراد الإخبار بأن إنساناً قد اتقى الله ، وإنما يقوله مثلاً الواعظ حاثاً على التقى والعمل الصالح ، ويقدر بعده حرف الشرط كما كان يقدر بعد الأمر الصريح.. ومن ذلك قولهم : حسبك نيم الناس ، معنى حسبك هنا الأمر أي اكتف وأقطع ، ومثله كيفك وشرعك كلها بمعنى واحد ، وكذلك قذك وقطك كله بمعنى حسب ، وقولهم حسبك نيم الناس ، كأن إنساناً قد كان يُكثر الكلام ليلاً ويصيح بحيث يقلق من يسمعه ، فقيل له ذلك ، أي اكتف وأقطع من هذا الحديث ، فإن تفعل نيم الناس ولا يسهروا ، وحسبك هنا مرفوع بالابتداء والخبر محذوف لعلم المخاطب به ، وذلك أنه لا يقال شيء من ذلك إلا لمن كان في أمر قد بلغ منه مبلغاً فيه كفاية ، فيقال له هذا ليكف ويكتفي بما قد علمه المخاطب ، وتقدير الخبر : حسبك هذا ، أو حسبك ما قد علمته .." (٥٩).

وهذا التفصيل الذي يبسطه ابن عيش شرحاً لما يؤدي إليه معنى الأمر المتضمن في بعض الصيغ والتركييب ، يُعدُّ تمثيلاً صادقاً فيما نرى لما تقتضيه اللغة الانفعالية التي كثيراً ما تكون لغة الحديث وما يتعدى منها من أثر إلى اللغة المكتوبة أو المنطقية ، أي تلك التي تتفق صياغتها وتركيبها والنحو النظامي للغة. وهذه المباشرة بين القليلين ترجع إلى أننا لا ندخل في اعتبارنا إلا الصورة التي تصاغ فيها الأفكار صياغة منطقية ، أي أننا لم ندرس اللغة إلا بوصفها أداة عقلية ، ولكن الإنسان - كما يقول فنديرس- لا يتكلم ليصوغ أفكاراً فحسب ، بل يتكلم أيضاً ليؤثر في أمثاله وليعبر عن حساسيته ، ولذا فإن هذه اللغة الفاعلة تزول فيها الحدود أحياناً بين الاسم والفعل [استعمال الفعل والمصدر واسم الفعل جميعاً للأمر مثلاً] (٦٠) ، وهذه اللغة يختلط فيها العنصر المنطقي والعنصر الانفعالي ، بل لا تكاد جملة مهما كان حظها من الابتذال تخلو من عناصر انفعالية ، غير أن عالم اللغة يمكن أن يسقط من حسابه اختلافات التنعيم والإشارة التي تحتلها إحدى الجمل مهما كانت ، ما دامت لا تغير من بناء الجملة النحوي. (٦١)

ويشير فنديرس هاهنا إلى حالة يتوافق فيها جانباً الانفعال والمنطق في تركيب الجمل ، وهي حالة لا تحتاج بالطبع إلى شيء من التقدير أو التماس التأويلات ، أما إذا ما تخالف الجانبان فإن أثر ذلك يظهر في المفردات والتركيب جميعاً. ومسألة التركيب هي ما نعنى به هاهنا فيما يتعلق بالحالات التي يتدخل فيها معنى الأمر فيؤدي إلى خروج جمل عن مألوف تركيبها ، كأن يقع فعل في الجملة مجزوماً بغير ما جازم ظاهر ، ويصير المبتدأ - وهو اسم - في : حسبك نيم الناس ، فعل أمر تقديراً ، ويتوارى خبره ليحل محله جواب هو فعل مجزوم عمل فيه ما في المبتدأ من قوة الفعل المقدر ، فتعبير الانفعالية في اللغة عن نفسها باختيار الكلمات وبالموقع الذي يخصص لها في الجملة التي ينحصر في تكوينها الفرق الأساسي بين اللغة الانفعالية واللغة المنطقية ، مع ملاحظة أن اللغة المنظمة تنظيماً منطقياً لا تستقل عن اللغة الانفعالية ، فبينهما تأثير متبادل. (٦٢)

ومن هذا الوادي بعض القراءات التي أدى تضمينها الأمر إلى جواز العطف فيها بالجزم ولو كان المعطوف عليه منصوباً ؛ إذ لما سأل سيبويه الخليل عن قوله عز

وجل (لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) المتفقون ١٠/٦٣
قال الخليل : هذا كقول عمرو بن معديكرب :
دعني فإذهب جانبا يوما وأكفك جانبا
وكقول زهير :

بدالي أتى لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا إذا كان جانبا
في كتاب سيبويه : فإنما جرّوا هذا [أي لفظ " سابق " في بيت زهير] فجاءوا
بالتثاني وكأنهم أثبتوا في الأول الباء ، فكذلك هذا [أي الفعل المجزوم " أكن " في الآية]
لما كان الفعل الذي قبله قد يكون جزما ولا فاء فيه نكلموا بالتثاني وكأنهم قد جزموا
قبله ، فعلى هذا توهموا هذا. (٦٣)
- الأمر ومسألة التوهم :

استعمل النحاة مصطلح العطف على التوهم في تعليقهم على بعض ما جاء في
آيات من الشعر العربي أو آيات من القرآن الكريم في ظاهرها مخالفة لما يقتضي
مألوف التركيب العربي ، وكان أكثر ذلكم عند مخالفة المعطوف - بالواو غالبا -
للمعطوف عليه في إعرابه اللفظي ؛ يشمل ذلك الأسماء والأفعال ، كما رأينا في
بعض شواهد القرآن والشعر. ويستعمل النحاة كذلك مصطلح الحمل على المعنى
والعطف على المعنى مرادفا للتوهم ، وقد يستعملونها جميعا وأحدهما تفسير للآخر ؛
غير أن ثَمَّ مَنْ ماز بينها بأن العامل في العطف على الموضوع موجود دون أثره ،
والعامل في العطف على التوهم مفقود وأثره موجود. (٦٤)

وقد برز أثر هذا الخلاف - على تقارب طرفيه - في مثل قول الشاعر :

فأبُلُونِي بِلَيْتِكُمْ لَعَلِّي أَصَالِحُكُمْ وَأَسْتَدْرَجُ نَوِيًّا

حيث يرى الخليل وسيبويه أن الفعل /استدرج/ بالجزم معطوف على التوهم ، وهذا
ما رجّحه ابن هشام ؛ ويرى الفارسي والسيرافي وغيرهما أن الفعل /استدرج/ بالجزم
معطوفا على محل /لعلي/ /أصالحكم/ فإنها في محل جزم جواب شرط (٦٥).

ويرى أبو حيان أن العطف على التوهم كثير وإن كان غير قياسي ، ولكن إذا وقع
شيء منه وأمكن تخريجه عليه خُرِّجَ (٦٦) ؛ وقد قصر البصريون العطف على
التوهم في الاسم المجرور بحرف زائد كما في خبر " ليس " ، خلافا لما أثبتته بعض
الباحثين من أنه يدخل الأسماء بكثرة والأفعال بقلة ، ويدخل المرفوع والمنصوب
والمجرور بالإضافة إلى المجزوم . وقد وضع النحاة له شروطا منها اتحاد المعنى
في المتعاطفين ، وكثرة دخول العامل المقدر فيه ، وصحة المعنى بعد التوهم (٦٧).

وقد أقر بعض الباحثين بقياسية التوهم وبأنه " واقع في العربية وله آثار لغوية
وتصرفات لسانية يقتضيها ، واللغوي عليه أن ينظر في آثاره والتصرفات الناشئة
عنه ويقيسها بمقاييسه في القياس والسماع ويميز ما يقاس منها وما لا يقاس ، ومن
شروط القياس ألا يفرضي إلى أمور مرفوضة في اللغة ، وهذا من المبادئ العامة في
اللغة " (٦٨).

وقد قال بعض الباحثين بقياسية الحمل على المعنى ورأى أن هناك علاقة وطيدة
بين الحمل على المعنى والقياس ، فالحمل على المعنى يمكن أن يكون نوعا من
القياس بالمفهوم الاصطلاحي ، ينطبق ذلك على العطف على التوهم ، حيث يحتمل
فيه الفرع على الأصل لعلة معينة ؛ أحراء حكم الأصل على ذلك الفرع ، إذ الحمل

على المعنى " التوهم " يُحمَل فيه لفظ معين على معنى لفظ آخر وتكون علة الحمل هي المشابهة المعنوية بين اللفظين ، ثم يترتب على ذلك أن ينخلع حكم المحمول عليه على المحمول ، ولكن ذلك ليس على إطلاقه ، فقد تحمل الأصل على الفرع ، كما تحمل المذكر على المؤنث ، وكذلك المفرد وهو الأصل نحمله على الفرع وهو الجمع (٦٩).

ويُعدّ القول بالتوهم أو الحمل على المعنى وصفا لأوضاع تركيبية في الكلام العربي لا يمكن أن توصف بالشذوذ كما أنها ليست موافقة للقاعدة النحوية ولكنها وسط بين القبيلين ولا سيما أنها تقع في نصوص لا يرقى إلى فصاحتها شك ، إذ إن بعضها من أي التنزيل ، وبعضها من شعر يُحتجّ به ويُستشهد على القواعد ؛ وفي مثل هذه الأوضاع تبدو المفارقة بين القاعدة الواجبة الاتباع والنص المقطوع بفصاحته فيحتاج الأمر إلى شيء أبعد من التقدير يراعي المعنى ويقوم على إحلال بعض الصيغ محل بعض ، وهو أمر تسوغه الأساليب العربية ولا يباهى الذوق العربي ، يتجاوز حرفية الصيغة ويضمّنها من غيرها معاني يقتضيها السياق ، وهو كما يقول بعض الباحثين كسر للاختيار من العرف اللغوي ، وهذا هو الجانب الإبداعي في اللغة (٧٠).

وقد نبه بعض علماء العربية إلى أن العطف على المعنى والعطف على التوهم مترادفان ؛ ففي قراءة الآية (لولا أخرجني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) المنافقون ١٠/٦٣ ، قال ابن هشام: " قرأ غير أبي عمرو بالجزم ، فقيل : عطف على ما قبله على تقدير إسقاط الفاء ، وجزم أصدق ، ويسمى العطف على المعنى ، ويقال له في غير القرآن العطف على التوهم " (٧١).

وقد بنى بعض الباحثين تعليقه على تخريج ابن هشام ومخالفته في اعتراضه على إعراب أكن بالجزم عطفاً على محل فأصدق لعدم جواز العطف على المحل هنا لعدم ظهور الشرط ؛ بنى تعليقه على أمرين ، أحدهما أنه ينزّه الآية عن القول فيها بالتوهم (٧٢) ، وقد قال الباحث بإمكان تخريج الجزم في أكن على أحد تخريجين ؛ أحدهما أن أكن جواب لإن الشرطية المحذوفة هي وفعلها والواو ليست للعطف والوصل وإنما هي للفصل والاحتباس ، اعترض بها دالة على المحذوف ، وأكن مُعْن عنه ؛ الآخر أن أكن هو الجواب لما قبل الواو ، والواو للعطف والمعطوف حذفت للعلم به إيجازاً لضيق المقام أمام العاصي والمنافق أو انقطاعاً لأنفاسه (٧٣). أعمال الأمر محذوفاً :

ورد في بعض التراكيب العربية أسماء منصوبة قدر لها المفسرون والمعربون أفعال أمر محذوفة مناسبة عملت فيها النصب ؛ ومن ذلك في قوله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) الزمر ١/٣٩ ، إذ أجاز الكسائي (تنزيل الكتاب) بالنصب على أنه مفعول ؛ قال الكسائي : أي أتبعوا وأقرأوا تنزيل الكتاب (٧٤). وقد يكون الاسم المنصوب مفعولاً به أو مفعولاً مطلقاً ، بحسب ما يناسب السياق ، يدل على ذلك مثلاً ما ورد حول قوله تعالى (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما متاً بعداً وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ...) محمد ٧/٤٧ ، قوله تعالى (فإذا لقيتم ..) العامل في إذا هو العامل في

ضرب ، والتقدير : فاضربوا ضرب الرقاب ، فضرب هنا مصدر فعل محذوف ، ولا يعمل فيه نفس المصدر ، لأنه مؤكد . و (مَثًا) : مصدر ، أي إما تَمَثُون منا وأما أن تفادوا فداء . ويجوز أن يكونا مفعولين ، أي أولوهم منا ، أو اقبلوا فداء .

وقد يتنازع في اللفظ موضعان أحدهما الرفع والآخر النصب ، كما في قوله تعالى (هذا فليذوقوه حميم وغساق) ص ٥٧/٣٨ ، فقد قيل إن (هذا) مبتدأ خبره فليذوقوه ، كقولك : زيدٌ اضربته ، وقيل إن هذا وجه ضعيف من أجل الفاء ، وليست في معنى الجواب ، كالتي في قوله تعالى (والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما ...) المائدة ٣٨/٥ ، فأما (حميم) على هذا الوجه فيجوز أن يكون بدلا من هذا وأن يكون خبر مبتدأ محذوف ، أي هو حميم و وأن يكون خبرا ثانيا ؛ والوجه الثاني أن يكون حميم خبر (هذا) ، (فليذوقوه) معترض بينهما . وقيل : (هذا) في موضع نصب - أي فليذوقوا هذا ، ثم استأنف فقال حميم ، أي هو حميم (٧٦) وفي البيان (٧٧) تقديره فليذوقوا هذا فليذوقوه وعند ابن قتيبة (٧٨) : يجوز أن تكون (هذا) في موضع نصب ليدوقوه والفاء زائدة . وفي قوله تعالى (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) . البقرة ١٣٨/٢ قيل إن انتصاب (صبغة) بفعل محذوف ، أي اتبعوا دين الله ، وقيل هو إغراء ، أي عليكم دين الله ، كما قيل إنه بدل من ملء ابراهيم (٧٩) .

ويشير ابن رشد إلى أن العرب كثيرا ما يحذفون الكلام التام الذي يُقَدَّر به الاسم الذي من تامه ، ويأتون بالمقيد فقط ، " وهذا يعرض لهم في الكلام التام ما عدا النداء في ثلاثة أسماء : في المفعول به وفي المصدر وفي الحال ، وربما كثر استعمالهم للحذف حتى لا يجوز عندهم أن يُنطق بالكلام التام الذي كان ذلك الاسم في الوصل غير مفهوم إلا بالإضافة إليه ... ومن مشهور ما يدخل في هذا الباب مصادر واقعة في الدعاء نحو قولهم سعيًا ورعيًا وسحقًا وبعداً وويحًا وويله ، فإذا فصلوا فقالوا : ويح له ، وويل له رفعوا ، وقد يجوز النصب " (٨٠)

ويسلك ابن رشد بعض أفعال الأمر المقدره في سياق تراكيب وردت فيها منصوبات بعضها ضمائر نصب وبعضها أسماء ؛ يقول " وأما المفعولات التي حذفت الأفعال منها الناصبة لها في هذا الباب فمنها قولهم : اياك أن تفعل كذا وكذا ، ونفسك يا فلان ، أراد اتق نفسك . . . وقولهم : اياك زيدا أي وملايسة زيد ، واياك والأسد . . . (٨١) ، وربما جاز عندهم النطق بالكلام التام وجاز الحذف ؛ فمثال ما يجوز عندهم النطق بالكلام التام وحذفه قولهم : اللهم ضبعا وذيبا ، فإنهم يقولون : اللهم سلط علينا سبعا وذيبا . (٨٢) .

وقد أورد سيبويه في هذا الباب عن أبي الخطاب أنه سمع بعض العرب وقيل له لم أفسدتم مكانكم هذا؟ فقال : الصبيان بابي ؛ كأنه حذر أن يُلام فقال : أم الصبيان ! ، ومن ذلك قول الشاعر :

أحاك أخاك إن من لا أخ له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

كأنه يريد : الزم أخاك . ومن ذلك قولهم : زيدا وعمرا ، كأنك تريد اضرب زيدا وعمرا ، كما قلت : زيدا وعمرا رأيت ، ومنه قول العرب : امر مبكياتك لا امر مضحكاتك ، والظباء على البقر ، يقول : عليك امر مبكياتك لا امر مضحكاتك ، وخلص الظباء على البقر (٨٣) .

الأمر بغير الفعل

- الأمر بأسماء الأفعال وأسماء الأصوات:

يعبّر عن معنى الفعل في العربية الفصحى بصيغ عديدة أولها الفعل ومنها اسم الفعل الذي يصفه سيبويه بأنه "باب من الفعل سُمِّيَ الفعل فيه بأسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث، وموضعها من الكلام الأمر والنهي" (٨٤)؛ وقد أخذ بعض النحاة على سيبويه إدخال النهي مع الأمر في هذا السياق كما في قوله "وأما ما تعدى المنهية إلى منهي عنه فقولك: حذرَكَ زيدا وحذارك زيدا، سمعناهما من العرب" (٨٥)؛ وقد أورد السيرافي أن المبرد ردّ هذا اللفظ من وجهين أحدهما أن قولك حذرَكَ إنما هو احتذرَ، وقد جعله سيبويه نهيا، فإن قيل فمعنى احتذرَ لا تَدُنْ قِيلَ وكذلك عليك معناه لا يفوتنك، وكل أمر أمرت به فأنت ناهٍ عن خلافه، فإذا كان كذلك فلا وجه للتفضيل بين الأمر والنهي...، وقد رد السيرافي على المبرد بأن ألفاظا من ألفاظ الأمر الأكثر في عادة كلام الجمهور أن يقاتل نهي وإن كان بلفظ الأمر كقولك تَجَنَّبْ واحذرَ وابعدَ، فإنما يقال ناه عنه، فجرى سيبويه على اللفظ المعتاد.. (٨٦)؛ وكان الأولى بالسيرافي فيما نرى أن يردّ بأن المصطلح عند سيبويه ربما لم يكن استقر بصورته المعروفة بدلا من الدفاع عن الخلط بين المصطلحين بحجة استعمال أحدهما بمعناه اللغوي الشائع، وإلا فإن للأمر كذلك من المعاني في اللغة ما يخرج به عن حد الاصطلاح المعروف.

ومن النحاة من قسم أسماء الأفعال إلى ألفاظ معدولة عن صيغ الأمر الفعلية وأخرى هي خليط من أسماء أصوات وأشياء جمل؛ يقول ابن رشد "وللعرب ألفاظ أقامتها دالة على ما يدل عليه الأمر أو النهي نحو قولك هالك زيدا أي خذ زيدا وعندك عمرا ودونك بكرا أي الزمهما، والنحاة يسمون هذه أسماء الأفعال. ومن هذا الجنس أيضا ألفاظ عدل بها عن صيغ الأمر إلى صيغ الأسماء وأبقيت دلالة الأمر فيها نحو قولهم تراك بمعنى اترك وتزال بمعنى انزل ورؤيت بمعنى أروذ وحذار بمعنى احتذر، وهي ألفاظ تحفظ ولا يقاس عليها.. (٨٧)؛ وقد لحظ بعض النحاة معاني سياقية لبعض تلك الألفاظ مع معانيها المتصلة بمعنى الأمر، فالزجاجي يقول إن رويدا (٨٨) "تكون نعت مصدر كقولك: ضعه رويدا، أي وضعا رويدا أي رقيقا، وتكون واقعة موقع الحال كقولك: صاروا رويدا، وتكون بمعنى أمهل، قال الله عز وجل (فهل الكافرين أمهلهم رويدا) الطارق ١٧/٨٦ أي قليلا، ولا يتكلم بها إلا مصغرة؛ وقد جاءت في الشعر بغير تصغير كقوله:

يكاد لا يلمم البطحاء وطائه كأنه ثمل يمشي على رويد (٨٩)

وكذلك يختلف الموقع الإعرابي لما يلي بعض ذلك مثل بَلَّة التي يمكن جرًّا ما بعدها ونصبه " فَمَنْ نصب أراد فذغ وَمَنْ خفض جعلها بمنزلة مصدر مضاف .. وأجاز قطرب وأبو الحسن أن تكون بمعنى كيف فتقول بَلَّة زيد برفع زيد على الابتداء وبله خبر مقدّم.. ويروى قوله :

تذر الجماجم ضاحيا هاماتها بَلَّة الأَكْفَ كأنها لم تُخلق
بنصب الأَكْف على أن بَلَّة اسم فعل وبجره على أنها مصدر و برفعه على أنها
بمعنى كيف (٩٠).

وهذه الألفاظ أسماء عند البصريين أفعال عند الكوفيين (٩١) ، ولكنها عند بعضهم قسم برأسه يسمّى الخالفة أو خالفة الفعل ، وهو مصطلح أطلقه بعض القدماء هو أحمد بن صابر الأندلسي ولم يُكْتَب له الذبوع (٩٢) وارتضاه بعض المُحدّثين هو الدكتور تمام حسان في تقسيمه الكلم العربي سبعة أقسام أحدها الخالفة التي جعلها أربعة أنواع أحدها خانفة الإخالة (٩٣) وهي أسماء الأفعال عند النحاة.

وفي كتابه " أسماء الأفعال وأسماء الأصوات في اللغة العربية " قدّم الدكتور محمد عبد الله جبر دراسة وافية مستوعبة للضربين جميعا بأنواعهما ، وبهنا فيما يتعلق بما نحن بصدد من حديث الأمر ما عرض له في بحث أسماء الأصوات من تقسيمها ثلاثة أقسام ، ثالثها الأصوات التي يصوت بها للحيوان ، وهو ما لم يتعرض له درس اللغوي الحديث كما تعرض له الرضي ، " فإن ما وجدته من ذلك كان إشارة لدى ماريو باي قال فيها إن أصوات النداء الموجّهة إلى الحيوان لها تاريخ طويل ومشوّق ، وضرب لذلك مثلا بالصوت " بس " بتنوعاته المختلفة المستعملة في نداء الهررة ، فهو شائع في الجزر البريطانية وبلاد العرب وشمال أفريقيا وإيطاليا وألمانيا وهولندا واليابان ورومانيا والهند ، وهذا يدل على شيوع استعمال ذلك الصوت .. وهناك إشارة أخرى بسيرة لدى ستورتيفانت عرض فيها في إيجاز لما تناوله النحاة واللغويون العرب بتفصيل كبير (٩٤).

ومما أثبتته الرضي من الألفاظ المستعملة في دعاء الحيوان وزجره وغير ذلك : هلا لزجر الخيل ، وعَدَسْ لزجر البغل وهَيْد وهاد وجوب وحاي وعاي وحاء وعاء لزجر الإبل ، وجي وجوت لدعائها إلى الشرب وسَعْ وجَة لزجر الإبل والسبع وحَلْ وعاج وهيَج لزجر الناقة وحَبْ وجاه لزجر الجمل وهَدَغ لتسكين صغار الإبل إذا نفرت ويخ وهيخ وايخ لإناخة البعير وإسْ وهيس وهجا وقع وفاع لزجر الغنم ، وهَج لزجرها أيضا ، وثقال لتسكين الأسد والذئب والكلب وغيرها (٩٥).

ويعزو الدكتور جبر سبق العرب إلى إثبات هذه الأصوات وأمثالها وإدراجها ضمن الدراسة اللغوية والنحوية - يعزوه إلى غنى البيئة العربية بأنواع الحيوان وارتباط معيشة البشر فيها بصورة وثيقة بالتعامل مع الحيوانات التي تؤدي للإنسان خدمات أساسية كالإبل والخيل والغنم والكلاب (٩٦).

ويلاحظ الدكتور جبر أن قليلا من تلك الألفاظ ارتبط بشكل يكاد يكون ثابتا بحرف من حروف الجر مثل حي على الصلاة ، هلمّ إلينا ، وحيّ لكم ، هيئت لك ، هيئات لما تُوعدون ، أفّ لكما ، أو اتصل ببعض الضمانر مثل هاك ، هاوم ، وئك ، والنادر منها ما عومل معاملة فعل الأمر ، فأُسند إلى الضمانر المتصلة بحسب الخطاب : هلمّي ، هلموا.. الخ(٩٧) ؛ وقد أشار هنري فليش إلى هذه الحالة النادرة ، واعتبرها استثناء من الصيحات والأصوات التلقائية الناتجة من الانفعالات التي تُعدّ غريبة حين توضع في نطاق نظام لغوي ، ولذا اعتبر هلمّ المتصرفة من الأفعال(٩٨).

وعلينا في هذا الصدد أن نميز الأصوات التي يُزجر بها الحيوان أو يُدعى مثلا من الألفاظ التي يجري بها التعامل بين العقلاء ، والمنطقي أن تكون تلك الألفاظ أشد قابلية للتصرف ولحوق الضمانر بها من أصوات زجر الحيوان أو تسكينه ، وما طوّعته اللغة من تلك الأصوات للاشتقاق إنما هو في غالبه حكاية للصوت في صورة فعل مثل ها هيئت من قولهم في زجر الإبل هاها ، وجأجات من قولهم في زجر الكباش جاجا... الخ(٩٩).

ونلاحظ أن الدكتور جبر يضم أسماء الأفعال والأصوات معا في صعيد واحد برغم أن أسماء الأفعال أقرب إلى التصرف ، وكثير منها ذو صلة اشتقاقية بالأفعال التي تدل على معناها بخلاف الأصوات التي هي محاكاة لصيحات يطلقها الإنسان يريد بها ضربا من ضروب الأمر للحيوان كالزجر أو التسكين أو الحث على فعل أو منعه ، وجلّها مُنبَت الصلة بالأفعال المتصرفة الشائعة في اللغة.

وأسماء الأفعال مبنية بإجماع النحاة وإن اختلفت تعليلاتهم لبنائها ؛ فمن قائل إن سيب البناء هو شبه الفعل أو الوقوع موقع المبني(١٠٠) ، ومن قائل إن علل البناء تتحصر في شبه الحرف أو تضمّن معناه ، فضلا عن القول بأن ما يفيد الأمر من أسماء الأفعال إنما بُني لتضمّنه لام الأمر ، ثم حُبل عليه غيره طردا للباب على وثيرة واحدة(١٠١) ؛ وهناك من يرى أسماء الأصوات خارجة من عموم قول النحاة إن الأصل في الأسماء هو الإعراب وإن بناء أسماء الأصوات أصلي ولا يحتاج إلى تعليل لأن الواضع لم يضعها إلا لتستعمل مفردة لأنها لم تكن في الأصل كلمات(١٠٢) ؛ وهذا قول يرتضيه الدكتور جبر لأسماء الأصوات وأسماء الأفعال أيضا ، ويستثني منها وزن فعّال والظروف وأحرف الجر(١٠٣) ، أما وزن فعّال فإن بناءه على الكسر يرجع إلى المخالفة الصوتية بعد مقطعين محرّكين بالفتح وثانيهما يمتاز بطول الفتحة - الألف - ويشبه هذا ما في كسر نون المثني بعد ألف التنثية و نون الرفع في الأفعال الخمسة بعد ألف الاثنين(١٠٤).

مصاحبات الأمر:

في قوله تعالى (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) النمل ٢٧/٢٥ ، قراءتان إحداهما بتشديد اللام من الأ وإعراب يسجدوا مضارع منصوب ، والأخرى بتخفيف اللام وجعل يا حرف نداء والفعل بعده أمر على تقدير: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله . قال ابن الأنباري: الوقف على (فهم لا يهتدون) في الآية السابقة غير تام عند من شدد الأ لأن المعنى: وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا (١٠٥) ، قال النحاس : هي إن دخلت عليها لا ، وهي في موضع نصب ، وقال الأخفش : أي زين لهم ألا يسجدوا لله بمعنى لنلا يسجدوا لله ، وقال الكسائي : هي في موضع نصب بـ" صدهم " ، أي فصدهم ألا يسجدوا ، فهو على الوجهين مفعول له ، وقال اليزيدي إنه بدل من أعمالهم في موضع نصب ... (١٠٦) ، وعلى قراءة الجمهور ليس هذه الآية موضع سجدة.. وقرأ الزهري والكسائي بتخفيف الأ ، قال الكسائي : ما كنت أسمع يقرءونها إلا بالتخفيف على نية الأمر ، واحتج الكسائي لقراءته هذه بأنه روي عن رسول الله (ص) أنه موضع سجدة (١٠٧) " فتكون الأ على هذه القراءة حرف تنبيه واستفتاح وما بعدها حرف نداء واسجدوا فعل أمر ، وكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون (ألا يا اسجدوا) ولكن الصحابة رضي الله عنهم أسقطوا الألف من يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطأ [كذا في الأصل ، ولعل اللفظ في آخره بالألف لا بالهمزة ؛ انظر: فتح القدير للشوكاني ١٣٣/٤] ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت صورة الخط الأ يسجدوا والمنادى محذوف وتقديره ألا يا هؤلاء اسجدوا" (١٠٨) ؛ وقد ذكر بعض النحاة أنه يطرد في بعض المواضع حذف المنادى بين يا والفعل واستشهدوا لذلك بطائفة من الشواهد منها: يا قاتل الله صبيانا تجيء بهم أم الهنئيين من زندي لها واري

كانه أراد : يا قوم قاتل الله صبيانا ، ومثله قوله :

يا من رأى بارقا أكفكفه بين ذراعي وجبهة الأسد

كانه دعا : يا قوم يا إخوتي ، فلما أقبلوا عليه قال : من رأى (١٠٩) وقد قال بعض النحاة إن حذف النداء بعد يا مقبس في الأمر كالأية السابقة ، وفي الدعاء كقوله :

ألا يا اسلمي يا دار مَيَّ على البلي (١١٠)

وقول الآخر :

ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثم اسلمي

وقول الثالث كذلك :

ألا يا اسلمي يا هندُ هندُ بني بكر (١١١)

والغالب فيما نرى أن يا في أمثال هذه المواضع للتثنية لا للنداء ، ولعل من علل لقراءة التخفيف لم يقل بذلك باعتبار أن التثنية والاستفتاح مستفادان من الأ المخففة ، فضلا عن احتجاج الكسائي لهذه القراءة بما روي عن الرسول (ص) أنه موضع سجدة كما أشرنا .

كذلك نلاحظ فيما يتعلق بقراءة التخفيف أن بعض العلماء يجزؤونها مجرى شواهد الشعر التي عرضنا بعضها ، غير أن هذه الشواهد يغلب الدعاء على

أفعالها ماضيها وأمرها ، على حين أنه لم يقل أحد إن الدعاء هو المقصود من فعل الأمر في الآية (اسجدوا).

والظاهر أن وقوع الأمر بعد ما يفيد التنبيه كثير في كلام العرب ، وشواهد ذلك كثيرة ، منها قول النابغة الذبياني (١١٢) :

ألا أبلغا ذبيان عني رسالةً فقد أصبحتا عن منهج الحق جانرة
وقول دريد بن الصَّمَّة (١١٣)

ألا أبلغ بني عيس بأني أكون لهم على نفسي دليلا
وقول امرئ القيس (١١٤)

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العُصر الخالي
وقول الراجز (١١٥)

يأيها الناس ألا هلمة

وقول كعب بن جعيل (١١٦)

ألا حيّ ثُدْمانِي عُمَيْرُ بن عامر إذا ما تلاقينا من اليوم أو غدا
ولعل تصاحب التنبيه والأمر ، أو الطلب عامة ، في كلام العرب كما يبدو من هذه الشواهد وأمثالها ، مما قيس عليه قراءة تخفيف/لا في الآية متبوعة بالأمر (اسجدوا).

أما التوكيد فإن وروده مصاحبا للأمر والنهي كثير في تركيب الكلام العربي ؛ ففي التنزيل : (ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مُّعْرِقُونَ) هود ١١ / ٣٧ ، (وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم) التوبة ٩ / ١٠٣ ، (يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) الحج ٢٢ / ١ ؛ وينص بعض العلماء على أن ذلك من خصائص الكلام العربي ، ففي التعليق على قول بشار :

بِكَرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَلِكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكَيرِ

يذكر السكاكي أن خلفا الأحمر قال لبشار بعدما أنشدته القصيدة : لو قلت يا أبا معاذ مكان " إن ذاك النجاح " بكَرًا فالنجاح كان أحسن ، فقال بشار : إنما قلتها أعرابية وحشية ، فقلت إن ذاك النجاح في التبكير كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت بكرا فالنجاح في التبكير كان هذا من كلام المؤلدين ، كما ذكر السكاكي أن خلفا قد قام بعد سماع ذلك التعليق من بشار وقبله بين عَيْتِيهِ . ونظير ذلك :

فَغَنَّا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْخُدَاءُ (١١٧)

الأمر والتداء :

ورد في عدة أمثال حذف حرف النداء بين فعل الأمر والمنادي ، ومن ذلك قولهم : اتَّقِدْ مَخْنُوقٌ ، يُضْرَبُ لكل مضطر مشفوق عليه ، ويُروى : اتَّقِدِي مَخْنُوق (١١٨) ، وقولهم : أصبح ليلٌ ، .. يقال في الليلة الشديدة التي يطول فيها الشر (١١٩) ، وقولهم : أطرق كَرًا إن النعام في القرى ، يُضْرَبُ للذي ليس عنده غنَاء وينكلم فيقال له اسكتْ وتوقَّ انتشام ما تلفظ به كراهة ما يعقبه (١٢٠) ومنه قولهم : ارْعِي فزارة لا هنالك المرثع ، يُضْرَبُ لمن يصيب شيئا يُنْقَسُ به عليه ، وقد ورد في قول الفرزدق : (١٢١)

راحت بمسلمة البغال عشيّة فارعي فزارة لا هنالك المرثع

ويقطع النظر عن تضمين بيت الفرزدقٍ مثلاً أو قولاً صار مثلاً فإن الأمثال تشبه الشعر في تحمل الضرورة . يقول ابن جني : " .. على أن الأمثال عندنا وإن كانت منثورة فإنها تجري في تحمل الضرورة لها مجرى المنظوم في ذلك . قال أبو علي : لأن الغرض في الأمثال إنما هو التسيير كما أن الشعر كذلك ، فجرى المثل مجرى الشعر في أنه تجوز الضرورة فيه .. " (١٢٢) كذلك يتصاحب الأمر والنداء ، والغالب في القرآن الكريم أن يتقدم النداء (١٢٣) مثل (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) البقرة ٢١/٢ ، (يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ) الزُّمَرُ ١٦/٣٩ ،

(يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ قُمْ لِلَّيْلِ) المزمّل ١/٧٣ ، (يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) هود ١١/٥٢ ؛ وقد يتأخر النداء مثل (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون) النور ٢٤/٣١ ، كما قد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر نحو (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) الحج ٧٣/٢٢ ، (يَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذُرُّوْهَا) الأعراف ٧٣/٧ .

وقد ذهب ابن مالك إلى جواز الفصل بين المنادى وحرف النداء بأمر المنادى ، ومذهب الجمهور المنع (١٢٤) ؛ قال أبو حيان في الارتشاف ٢١٨٢/٤ " ولا يُفصل بين الحرف والمنادى " ، وقال ابن مالك " قد يُفصل بالأمر .. وقد يُفصل بأمر المنادى بينه وبين حرف النداء ، كقول جدابة بنت خويلد النخعية تخاطب أمتها لطيفة :

أيا- فابك- شوّال لطيفا وادرفي الدمع تسكابا وكيفا
أرادت : يا لطيفة فرحمت وفصلت بفعل الأمر " (١٢٥) .

الأمر في القرآن والحديث

تتبع الدكتور إبراهيم عوض (١٢٦) السياقات التركيبية لصيغ الأمر في القرآن الكريم والحديث الشريف ولاحظ تميز هذه من تلك بصورة ملموسة ؛ ومن أمثلة ما لاحظ :

التركيب : فعل أمر + ولو + موقع فعل الأمر . مثاله الحديث (تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) ؛ هذا التركيب " الذي يبدأ بفعل أمر يُتصد به التشريع أو التوجيه الأخلاقي تعقبه كلمة (ولو) ثم ما يقع عليه فعل الأمر ، قد تكرر على نحو لاقت للنظر في الحديث النبوي الشريف ، أما في القرآن الكريم فهو نادر ، إذ لم يرد إلا مرتين اثنتين (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) النساء ٤ / ١٣٥ ، (فإذا قلتم فاعدنوا ولو كان ذا قربى) الأنعام ٦ / ١٥٢ ، ويضاف إلى ندرته أن ما يقع عليه فعل الأمر في القرآن لا يمثل الحد الأدنى كما هو الحال في الشواهد الحديثية .. بل الحد الأقصى كما هو واضح .. وفي كل المواضع التي وردت فيها عبارة " ولو " في القرآن الكريم غير مسبوقة بفعل أمر ، وهي كثيرة نسبياً ، نجد أن ما يأتي بعد " ولو " يمثل الحد الأقصى أيضاً كما هو واضح من الشواهد ومنها (ولأمة مؤمنة خير من مشركة

ولو أعجبكم (البقرة ٢٢١/٢ ، قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) المائدة ١٠٠/٥ ، (قل لنن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) الإسراء ٨٨/١٧ ، (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) الكهف ١٨ / ١٠٩ ، (لا يحلُّ لك النساء من بعدُ ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء خفياً) الأحزاب ٥٢/٣٣ ؛ [والملاحظ هاهنا أن النهي وهو الوجه الآخر للأمر مُعبّر عنه بصيغة المضارع المنفي] ، (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) غافر ١٤/٤٠ -

أما شواهد الحديث التي اشتملت على فعل أمر أو نهى تُعقبه " ولو " يليها ما يمثل الحد الأدنى مما يقع عليه فعل الأمر ، فهذا هو ذا بعض ما استطاع الدكتور إبراهيم عوض التنبه إليه (١٢٧) : (لا تدعوا العشاء ولو بكف من تمر) ابن ماجه / أطعمة / ٥٤ ، (إذا سرق العبد فبيعه ولو ببش) أبو داود / حدود / ٢٢ ، والنسائي / سارق / ١٦ ، وابن ماجه حدود / ٢٥ ، وابن حنبل ٣٣٧/٢ ، ٣٨٧ ، ٣٥٦ ، (لينق أحدكم وجهه من النار ولو بشيق تمر) ابن حنبل ١ / ٣٣٨ ، ٤٤٦ ، البخاري / بيوع / ١ ، ومسلم / نكاح / ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، (أولم ولو بشاة) الموطأ / نكاح / ٤٧ ، وابن حنبل ٣ / ١٦٥ ، ٢٧١ ، (ردوا السائل ولو بظلف) النسائي / زكاة / ٧٠ ، وابن حنبل ٤ / ٧٠ ، ٣٨١ / ٥ ، (بلغوا عني ولو آية) البخاري أنبياء / ٥٠ ، والترمذي / علم / ١٣ ، وابن حنبل ٢ / ١٥٩ ، ٢١٤ ، (انظر ولو خاتما من حديد) البخاري نكاح / ١٤ ، ٣٢ ، ٥٠ ، ومسلم نكاح / ٧٦ ، والموطأ / نكاح / ٨ . وقد رأينا أن القرآن يستعمل " ولو " للإشارة إلى الحد الأقصى للمسألة ، ونضيف هنا أنه لم يستخدم قط في أي موضع منه " وإن " الشرطية التي عثرت على بعض شواهد لها في الأحاديث تدل فني معظمها على الحد الأقصى (١٢٨) ومنها : (والله إنني رسول الله ولو كذبتوني) البخاري / شروط / ١٥ ، (أسلم وإن كنت كارها) ابن حنبل ٣ / ١٠٩ ، ١٨١ ، (وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس) ابن حنبل ٥ / ٢٣٨ .

التركيب : إذا + ماض وفاعله + أمر أو مضارع طلبي جوابا للشرط (١٢٩) ؛ تكثر الآيات والأحاديث التشريعية والتوجيهية التي تتكون من التركيب السابق ، بي أن هناك فرقا بين هذا التركيب في القرآن وبينه في الحديث ؛ فعلى حين لا يكون الفاعل في القرآن إلا ضميرا أو اسم جنس معرّفاً بال نرى الفاعل في الحديث كثيرا ما يكون " أحدكم " أو " إحداكم " ، كما أن جواب الشرط في القرآن هو في كل الحالات تقريبا فعل أمر ، بينما هو في جميع شواهد الحديث النبوي تقريبا مضارع طلبي ؛ وهذه أو لا بعض شواهد القرآن : (كُتِبَ عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين) البقرة ١٨٠/٢ ، (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا) النور ٥٩/٢٤ ، (وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) النساء ٨/٤ ، (فإذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) البقرة ١٩٨/٢ ، (فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذاكم أباءكم)

البقرة ٢/٢٠٠ ، (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن
بمعروف) البقرة ٢/٢٣١ ، (إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا ..) المجادلة
١١/٥٨ ، (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) المجادلة ١٢/٥٨ ؛
ومن شواهد الحديث وفاعل الشرط فيها أحدكم أو إحداكم : (إذا اشترى أحدكم
الجارية فليقل ..) ابن ماجه / تجارات ٤٧ ، (إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه) ابن
حنبل ٢/٢٥١ ، (إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليجيب) مسلم / نكاح ٩٧، ٩٨ ، وأبو
داود / صوم ٧٤ ، وابن ماجه / نكاح ٢٥ ، والترمذي / صوم ٦٣ ، وابن حنبل ٣/
٣٩٢ ، (إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله) البخاري / أدب ١٢٦ ، والترمذي / أدب
٤ ، وابن ماجه / أدب ٢٠ ، (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه)
الترمذي / دعوات ٦٤ ، وابن حنبل ٦/١٨ ، (إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة)
البخاري / دعوات ٢١ ، ومسلم / ذكر ٨ ، وابن حنبل ٣/١٠٧ ، (إذا شرب أحدكم
فلا يتنفس في الإناء) البخاري / وضوء ١٨، ١٩ ، وأشربة ٢٥ ، ومسلم / طهارة
٦٣، ٧٥ ،... (إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدين منها) النسائي / قبلة ٥ ، وابن ماجه
/ إقامة ٣٩ ، وابن حنبل ٢/٤ .

التركيب : عليك / عليكم ب (١٣٠) ؛ هذا التركيب الذي يمثل صيغة من صيغ
الأمر عن طريق الجار والمجرور عليكم تعقبهما الباء ومجرورها لا وجود له في
القرآن (١٣١) ، وإنما نجد فيه مثلاً (١٣١) : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) البقرة ٢/٢١٦ ،
(عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ) المائدة ١٠٥/٥ ، (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً)
النساء ١٠٣/٤ ، (وعلى الوارث مثل ذلك) البقرة ٢/٢٣٣ ، (قد علمنا ما فرضنا
عليهم في أزواجهم) الأحزاب ٥٠/٣٣ ، ولكن ليس فيه "عليكم ب" ، هذا التركيب
الذي تكرر وروده في الأحاديث ، وهذه بعض شواهد فيها (١٣٢) : (عليكم
بالدُّجَّةِ فإن الأرض تَطْوَى بالليل) أبو داود / جهاد ٥٧ ، الموطأ / استئذان ٣٨ ،
(عليكم بالإثمد عند النوم) ابن ماجه / طب ٢٥ ، وأبو داود / صوم ٣١ ، وابن
حنبل ٣/٥٠٠ ، (عليك بذكر الله وتلاوة القرآن) ابن حنبل ٣/٨٢ ، (فعليك بخاصة
نفسك ودع العوام) الترمذي تفسير سورة ١٨/٥ ، وابن حنبل ٢/١٦٢ ، ٢٢١ ،
(عليك بالطاعة في منشطك وفي مكرهك) النسائي / بيعة ٥ .
تركيب تحتتمل معنى الأمر :

مضارع مؤكّد باللام + أو + مضارع مؤكّد باللام ؛ يحتمل هذا التركيب بفعلينه
المضارع عين المؤكدين باللام ، أو بأحدهما ، معنى الأمر ، ولعل الإتيان بطرفيه فعلين
مضارع عين من باب حفظ التوازن كما يقول الثعالبي .

" ورد هذا التركيب في عدة مواضع من القرآن .. كما ورد أيضا في الأحاديث
النبوية ... وللوهلة الأولى نجد من الصعب اكتشاف أي فرق بين استعمال القرآن
لهذا التركيب واستعمال الحديث له ، ولكن بعد تروية النظر ستجد أن هناك فرقا ..
وهذه أول الشواهد القرآنية : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لتُخرجنك يا شعيب
والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنَّ في ملتنا) الأعراف ٨٨/٧ ، (وقال الذين
كفروا لرسولهم لتُخرجنكم من أرضنا أو لتعودنَّ في ملتنا) إبراهيم ١٣/١٤ ، (وتفقّد
الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغانيين . لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحته

أو لِيَأْتِيَتِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (النحل ١٦/٢٠، ٢١؛ ثم هذه ثانيا الشواهد الحديثية:)
 لتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلْتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أو لِيَسْلُطَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ .. (أبو داود/ملاحم
 ١٦ ، والترمذي / فتن ٩ ، وابن حنبل ٣٨٨/٥ ، ٣٩١ ،) لِيَنْتَهِنَّ عَنْ ذَلِكَ أو لِيُخَطِّقَنَّ
 أَبْصَارَهُمْ (البخاري/ أذان ٩٢ ، ومسلم/ صلاة ١١٨ ، والنسائي/ سهو ٤٠،٩ ،
 وابن ماجه/ إقامة ٦٨ ، وابن حنبل ٢٨/٥ ،) لِيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِأَبَائِهِمُ الَّذِينَ
 مَاتُوا .. أو لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْحَبْلِ .. (البخاري/ مناقب الأنصار ٢٦ ،
 ومسلم/ إيمان ٣ ، والترمذي/ نذور ٩،٨ ،) لَتَأْتِيَنَّكَ بِالْبَيْتَةِ أو لِأَرْمِيَنَّكَ بِالْحِجَارَةِ (
 الموطأ / حدود ٢٠ ، ابن حنبل ٩/٣ ، ١٩ ،) لِتُسَوِّدَنَّ الصُّفُوفَ أو لِتُطَمَسَنَّ وُجُوهَهُمْ (
 ابن حنبل ٥/٢٥٨ ،) لِتَنْتَهِيَنَّ قَرِيشٌ أو لِيَجْعَلَنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ فِي جُمْهُورٍ مِنَ الْعَرَبِ (
 الترمذي / فتن ٤٩ ،) لِيَنْتَهِيَنَّ رِجَالٌ أو لِأَحْرَقَنَّ بِيُوتَهُمْ (ابن حنبل ٥/٢٠٦ ،
) لِتَنْتَهَنَّ أو لِيُعَيِّنَنَّ اللهُ عَلَيْكَ مِنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ (الترمذي / مناقب ١٩ ، " وهذا
 التركيب ، كما هو واضح ، يدل على أنه إذا لم يحدث كذا فسوف يقع كذا ، وعند
 ترديد النظر بين شواهد القرآن وشواهد الحديث نجد أنه على حين أن المُهَدَّدَ به في
 الشواهد الحديثية يُذَكَّرُ في آخر الكلام فإنه في القرآن يُذَكَّرُ أو لا باطراد ، وحتى لو
 عثرنا على شواهد حديثية تجري على طريقة القرآن فيكفي أن الحديث يستخدم (
 على الأقل أحيانا) هذا التركيب على نحو يخالف طريقة القرآن ، أما القرآن فإنه
 يلتزم خطة واحدة " (١٣٤) .

الأمر بين العربية واللغات السامية

هناك تشابه أولي بين صياغة الأمر في اللغة العربية ، وصياغته في اللغات
 السامية ، إذ يُصاغ في العربية بحذف حرف المضارعة ؛ يقول ابن يعيش " وأما
 صيغته فمن لفظ المضارع ، فيُنزَعُ منه حرف المضارعة ، فإن كان ما بعد حرف
 المضارعة متحركاً أبقيته على حركته .. " (١٣٥) ؛ ويخالف ابن يعيش بهذا الرأي
 ما سبق أن ذكرناه من مذهب البصريين الذين يرون فعل الأمر صيغة مُرْتَجَلَةٌ قائمة
 بنفسها ، ويؤكد ابن يعيش اقتطاع الأمر من المضارع بقوله : " الأصل في الأمر أن
 يدخل عليه اللام وتلزمه لإفادة معنى الأمر ، إذ الحروف الموضوعه لإفادة المعاني
 كلاً في النهي ولم في النفي إلا أنهم في أمر المخاطب حذفوا حرف المضارعة للغمضة
 عنه بدلالة الحال وتخفيفاً لكثرة الاستعمال ، ولما حذفوه لم يأتوا بلام الأمر لأنها
 عاملة ، والفعل بزوال حرف المضارعة منه خرج عن أن يكون مُعْرَباً فلم يدخل
 عليه العامل ، وما عدا المخاطب من الأفعال المأمور بها تلزمها اللام لأنه لم يَجُزْ
 حذف حرف المضارعة منه لنلا يُلَيسَ ولعدم الدليل عليه ... وإذا لم يَجُزْ الحذف مع
 المخاطب فإن لا يجوز مع الغائب أولى.. وكذلك لو كان الأمر لغائب أو متكلم لم
 يكن بُدُّ من اللام .. وذلك من قبيل أن حرف المضارعة يلتزم هنا للدلالة على المقصود
 منه ، وإذا لزم حرف المضارعة وجب الإتيان بلام الأمر لإفادة معنى الأمر وكان

المحل قابلا من حيث كان مُعربًا لما فيه من حروف المضارعة وربما حذفوا هذه اللام في الشعر .. " (١٣٦).

كما ينص السيوطي على أن الأمر مقتطع من المضارع " .. إذ أصل *اقْعَلْ لِيَقْعَلْ* ، كأمر الغائب ، ولما كان أمر المخاطب أكثر على ألسنتهم استنقلوا مجيء اللام فيه فحذفوها مع حرف المضارعة طلبًا للتخفيف مع كثرة الاستعمال " (١٣٧).

والقول باقتطاع الأمر من المضارع مذهب تؤكده مقارنة العربية بأخواتها السامية ، لا أن الأمر صيغة مرتجلة كما ذهب البصريون (١٣٨) ، كما تؤكده مشابهاً بين طريقة صياغة الأمر في بعض اللغات السامية ، وطريقة صياغته في بعض العاميات العربية التي هي امتداد للهجات عربية قديمة صاحبت الفصحى على مر الزمن ؛ ولعل من الأمور الأساسية فيما نشير إليه من التشابه المذكور مسألة سقوط النهايات الإعرابية من أواخر الكلمات ، أسماء كانت أو أفعالا ، فضلا عما يحدثه اختلاف النبر في أحد المستويات اللغوية بإزاء النبر في مستوى آخر كالفصحى مثلا .

وإذا كان الأمر في الفصحى يؤخذ من المضارع بحذف حرف المضارعة ، مع زيادة ألف في أول الفعل إذا كان يبدأ بالساكن ، فإنه يحدث الشيء نفسه في العبرية ، إذ يُحذف حرف المضارعة ، غير أن نظام العبرية يسمح بالبَدْء بالساكن أو بشبه الحركة ، وهو ما يتحقق عند إسناد الأمر إلى ضمير المخاطب المفرد ؛ فمن الفعل المضارع *يؤخِّد الأمر* ، وكذلك عند إسناد الأمر إلى ضمير المخاطبات ، فمن المضارع *يؤخِّد الأمر* ، أما عند إسناد فعل الأمر إلى سائر الضمانات فإن الحرف الأول فيه يُحرِّك بالكسر ، وإذا كانت فاء الفعل عند الإسناد إلى ضميرَي المخاطب وجماعة المخاطبات في حالة سكون أو شبه حركة ، فإنها صارت مع غيرهما تحرك بالكسر لنلا يلتقي ساكنان في أول الفعل ، وهي طريقة الفصحى سواء في بَدْء الكلمة أو وسطها إلا فيما يسميه علماء القراءات والأصوات بالنقاء الساكنين على حدِّه ، فيصير فعل الأمر في العبرية مع ضمير المخاطبة المفردة من المضارع

وتُجمع بعض اللهجات العربية المعاصرة بين طريقة الفصحى وطريقة العبرية في صياغة فعل الأمر ، فتأخذ من الفصحى زيادة ألف الوصل ومن العبرية تحريك فاء الفعل بالكسر ، فنسمع في صعيد مصر مثلا " *إكْبُوا* " و " *إكْبِي* " ، مع ملاحظة أن الواو في لهجات مصر وبعض اللهجات العربية صارت تُشتمل مع الجمع بنوعيه أيضا .

وإذا كانت أنظمة المقاطع في العبرية والسريانية كذلك تجيز البَدْء بالساكن أو بشبه الحركة ، فإن بعض اللهجات العربية يحدث فيها ذلك أيضا ، ومن هذا ما رصده الدكتور عبد العزيز مطر في لهجة البدو في ساحل مصر الشمالي ، وقد لاحظ أن هذه الظاهرة تتحقق في ألفاظ كثيرة ، منها أفعال مثل قولهم: *وَصَفَّ* ، مثلا (١٣٩) ، *تَبَحَّة* ، *زَرَعَة* ، *طَبَحَة* ، *كَرْهَة* (١٤٠) ، ومصادر أو أسماء مثل : *تجَارَة* ، *ثعيق* ، *ركوب* ، *قعود* (١٤١) ، و *ظروف* أو أدوات مثل : *ثَحِيَة* ، *قَبْلَة* ، *بَعْدَة* (١٤٢) ، يسكون الفاء فيما سبق جميعا .

ويشيع البدء بالساكن كذلك فيما رصدهناه عند دراستنا لهجة حائل ونجد ، سواء في الجوامد وأسماء الأعلام مثل : أهلة ، أهلي ، وليدة ، دَعَس ، يَحْيَا ، زَهْوَةٌ ، ضَحِيَّةٌ ، ضَحْوِي ، غُدَيْرٌ ، عَزِيْزٌ ، مُحْمِيْدٌ ، وَرْقِيَةٌ ، أو في الأفعال مثل : تُخَبِّرُ ، تُعْرِفُ ، كَتَبْتُ ، اللهُ يَهْدَاكُ ، جَلِسُوا ، بسكون الفاء وحرف المضارعة فيها جميعا (١٤٣) .
ولعل نظام النبر في هذه اللهجة أو في تلك مع الميل إلى السهولة في النطق مما أوجد هذه الظاهرة ، فربما يكون ضعف النبر أو إهماله على المقطع الأول سببا في تسكين أول الكلمة ، مما يؤدي إلى نشوء نوع من المقاطع يسميه بعض المستشرقين المقاطع الفرعية (١٤٤) ، وهو ما لم ينل اعترافا من علمائنا الأوائل .. بل انعقد الإجماع أو كاد على أنه لا يجوز البدء بالساكن (١٤٥) .

غير أن وجود هذه الظاهرة في لهجات عربية معاصرة ، هي امتداد للهجاء قديمة ، يؤكد أن العربية عرفت على امتداد تاريخها ضربا من الازدواج اللغوي في جوانب اللغة المختلفة ؛ بل إن الدكتور إبراهيم أنيس يُرَجِّحُ أنه كان للعرب حتى قبل الإسلام مستويان في اللغة ، مستوى أدبي تمثله لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وشعر الشعراء وخطب الخطباء وما كتبه الكُتَّابُ ، وتلك هي اللغة النموذجية الأدبية المشتركة ، وأما المستوى الآخر فهو مستوى الكلام العادي أو لهجات الخطاب التي اختلفت فيها القبائل بعض الاختلاف ، والتي تضمنت صفات محلية سماها العلماء القدماء لغات العرب أو لهجاتهم .. هذه اللهجات العربية القديمة هي التي وفدت مع أهلها إلى الأمصار بعد الفتح الإسلامي وشكلت كلام كل مصر بشكل خاص ، لاسيما بعد اصطدامها باللغات التي كانت سائدة في تلك الأمصار وخروجها من هذا الصراع منتصرة ، ولكن في نفس الوقت متأثرة بشيء من صفات تلك اللغات المندثرة (١٤٦) .

ويلاحظ بعض الباحثين أن العربية تشارك كلا من السريانية والعبرية ظاهرة حذف أو إدغام فاء العين أو عينه في صيغة الأمر كما في صيغة المضارع ؛ ففي العربية تُحذفُ فاء الفعل إذا كانت واوا في مثل وَعَدَ يَعِدُ عِدٌ ، وَثَبَ يَثِبُ ثِبٌ ، وتُحذفُ إذا كانت همزة كما في أَخَذَ يَأْخُذُ خَذٌ ، أَمَرَ يَأْمُرُ مَرٌ (١٤٧) .
والحق أن ذلك ليس مطردا في الفعل/أمر ؛ ويبدو أن السياقات التي يرد فيها في فصحي القرآن الكريم مثلا لا توجب البدء به ، ولذا لم تُدْعُ ضرورة إلى إعلال همزته بقلبيها واوا فيقال/وَمُرٌ أو بحذفها فيقال مَرٌ مثلما حدث مع الفعل/أخذ، الذي ورد حذف همزته في أول الكلام في صيغة الأمر مثل الآية (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) الأعراف ١٩٩/٧ ، بل تُحذفُ همزة/أخذ في الوصل كذلك ، كالأية (قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ..) البقرة ٢٦٠/٢ ؛ ويبدو أن تباعد مَخْرَجِيّ الهزمة والميم في صيغة الأمر من/أمر في الوصل ، بخلاف القرب النسبي بين مخرجي الهزمة والخاء وهما من حروف الإظهار الحلقية عند القراء ، مما يحسّر معه حذف الهزمة إذا سبقت الخاء ، أما في البدء فلا بد من اجتماع الهمزتين في الفعلين وهو الأمر العسير الذي تفر منه الفصحى بحذف الهمزتين كليهما من/وَأَخَذَ ابتداءً ووصلا لوجود الخاء كما قلنا ، وبحذف همزة واحدة من/وَأْمُرٌ وصلا كالأية (وأمر أهلك بالصلاة) طه ١٣٢/٢٠ .

والمعروف في قواعد الإعلال في الفصحى قلب الهمزة الثانية مدًا من جنس حركة الهمزة الأولى في تصريفات الكلمة كما في الآية (وَأَيِّنَ الزَّكَاةَ) الأحزاب ٣٣/٣٣ ، والأصل /تَيْنَ ، والآية (وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةَ) الأنبياء ٧٣/٢١ ، والأصل /تَاء ، والآية (نَبِذَ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) البقرة ١٠١/٢ ، والأصل /وُتُوا ؛ بخلاف بقاء الهمزة الساكنة دون إعلال ما لم تسبقها همزة ، كالآية (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) المائدة ٥٥/٥ . وكل ما سبق على غير القراءة بتسهيل الهمزة في الوصل مطلقا ، وذلك كالذي أورده الكساني عن إسماعيل بن جعفر عن جعفر عن أبي جعفر وشيبة أنهما لم يهزما *أَوْسَلًا* و*لَأَقْسَلًا* (١٤٨) كما في قراءة الآية (وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله) النساء ٣٢/٤ .

وفي العبرية تُدغم فاء الفعل إذا كانت نونا أو لاما لوقوعها بين متحركين ، كما في *וְיָשַׁע* ، *וְיָשַׁע* ، *וְיָשַׁع* ، *וְיָשַׁع* ، وفي (١٤٩) ، وفي السريانية تُحذف فاء الفعل إذا كانت نونا كما في *וְיָשַׁع* ، *וְيָشַׁع* ، *וְيָشַׁع* ، *וְيָشַׁع* ، وفي (١٥٠) وفي السريانية كذلك أنه إذا كانت عين الفعل همزة فإنها تسقط في نطق كلا المضارع والأمر ، في الفعل *וְיָשַׁع* ، *וְيָشַׁع* ، *וְيָشַׁع* ، *וְيָشַׁع* . (١٥١) .
ويلاحظ أن النظير العربي لهذا الفعل *سأل* تسقط همزته إذا ابتدئ به وتبقى في الوصل ؛ مثال الحالة الأولى قوله تعالى (سأل بني إسرائيل) البقرة ٢١١/٢ ، ومثال الأخرى (واسأل القرية التي كنا فيها) يوسف ٨٢/١٢ ، كما تُدغم عين الفعل في السريانية إذا كانت لاما ووقعت بعد حرف صفير ساكن مثل *וְיָשַׁع* ، *וְיָشַׁع* ، *וְיָشַׁع* ، *וְيָشַׁع* . (١٥٢) .

وتُدغم فاء الفعل في العبرية في كل من المضارع والأمر إذا جاءت لاما كما في *וְיָשַׁע* ، *וְיָشַׁع* ، *וְיָشַׁع* ، *וְיָشַׁع* ، وتحذف إذا كانت ياء مثل *וְיָשַׁع* ، *וְיָشַׁع* ، *וְיָشַׁع* ، *וְיָشַׁع* . (١٥٣) .
ويتوافق زمن الأمر وزمن المضارع خصوصا في العبرية والسريانية ، فزمن الأمر هو المستقبل كذلك فيهما ، كما أن المضارع في العبرية يدل على الحالية مع توقع الاستمرار في المستقبل (١٥٤) ، وهو عند بعض النحاة يسمّى الحال ، وهو عندهم مستقبل في الحقيقة " لأنه يكون أولًا ، فكل جزء منه خرج إلى الوجود صار في حيز الماضي ، فلهذه العلة جاء فعل الحال بلفظ المستقبل .. فإن أردت أن تخلصه للاستقبال أدخلت عليه السين أو سوف .. فيصير مستقبلا لاغير " (١٥٥) .

معنى ذلك أن الأمر في العبرية يدل بصيغته على المستقبل ، وأن المضارع ، أو فعل الحال عند بعض النحاة ، صالح بصيغته للدلالة مع الحال على المستقبل ، غير أنه يتمحّض للمستقبل بقرينة في الجملة كالسين أو سوف أو غدا .. الخ .

ويلاحظ موسكاتي تطابق أشكال الأمر في السامية الغربية شماليها وجنوبيها في الفروع المشتقة بصورة عامة وأشكال المضارع بدون سابقها ، وأي مخالفة لتلك القاعدة ترجع في الغالب إلى ظهور الصانته المزيد في أول الكلمة (١٥٦) .

وقد تُستعمل صيغة المضارع في العبرية للدلالة على الأمر كما تدل بعض السياقات مثل *וְיָשַׁע* ، *וְיָشַׁع* ، *וְיָشַׁع* ، *וְיָشַׁع* " ليبتهخ قلبي " (المزمور الثالث عشر) ، فالكلمة الأولى فعل مضارع مقصود به الأمر للرجاء ؛ وهو المضارع المقطوع في العبرية

، مثل المجروم بلام الأمر في العربية ، ولذلك عدل عن الصيغة الأصلية للفعل وهي
 كرم إلى كرم (١٥٧) ، ومثل كرم : كرم ؛ وقد يخرج الأمر في العبرية إلى
 (روث ٩) ، والمقصود : " ليهبكما الله " (١٥٨) ؛ وقد يخرج الأمر في العبرية إلى
 معنى الدعاء في مثل كرم : كرم " وحيدن راحة " (١٥٩)
 (روث ٩).

وفي العربية الفصحى أمثلة عديدة لاستعمال المضارع بمعنى الأمر كالأية
 الكريمة (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) البقرة ٢٢٨/٢ ، " هذا أمر من
 الله سبحانه وتعالى للمطلقات المدخول بهن من ذوات الأقرء بأن يتربصن بأنفسهن
 ثلاثة قروء ، أي بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء ثم تتزوج إن
 شاءت .. " (١٦٠) ، فالمضارع في الآية " خبر في معنى الأمر ، أي ليربصن ،
 قصيداً بإخراجه مُخرَج الخبر تأكيد وقوعه وزاده توكيداً وقوعه خبراً للمبتدأ ... "
 (١٦١) ، وقيل مثل ذلك في الآية (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن
 أراد أن يتم الرضاعة) البقرة ٢٣٣/٢ (١٦٢).

كذلك يخرج الأمر في الفصحى إلى الإخبار في أحد لفظي التعجب ، نحو " أكرم
 بزید وأعلم به .. فاللفظ في هذا لفظ الأمر والمعنى معنى الإخبار ، المعنى : صار ذا
 كرم وذا علم ، والجار والمجروز في موضع رفع بأنه فاعل ، كما أنهما كذلك في
 قولهم : كفى بالله وما جاعني من رجل . قال الإمام أبو بكر : اعلم أن قولك : أكرم
 بزید الأصل فيه : أكرم زيد أي صار ذا كرم ، ثم إنه نُقل إلى صيغة الأمر وأدخل
 الباء مزيدة ليختص بالتعجب ، فقولك بزید في موضع رفع لأن الباء زائدة ، وشبهه
 بقولهم : كفى بالله أي أن الأصل : كفى الله والباء زائدة ، وإذا قلت : كفاك بهم رجلاً
 كان قولك بهم في موضع رفع بأنه فاعل ، إلا أن الباء المزيدة لما عملت الجر في
 اللفظ كان الضمير هنا بمنزلة إذا كان مجرداً على الحقيقة .. (١٦٣) ، والفصل بين
 كفى الله وأكرم بزید أن الأصل الذي هو الرفع يُستعمل في كفى فيقال كفى الله ، وكذا
 ما جاعني رجلاً ، وحسبك زيد ، ولا يُستعمل في أكرم بزید الرفع تنبيهاً على
 التعجب ، وقصدوا أن تكون الصيغة مخصوصة .

الدليل على أن أصل أكرم بزید : أكرم زيد ، على الإخبار بعلو رتبته في الكرم
 وأنه صار بحيث يُنسب إليه فيقال زيد صاحب كرم ، أنك تقول : يا رجل أكرم بزید
 ، ويا رجلاً أكرم بزید ، ويا رجال أكرم بزید ، ويا هندان أكرم بزید ، ويا نسوة
 أكرم بزید ، ولا تقول أكرما وأكرموا وأكرمي وأكرمن لأنه إخبار كقولك يا رجال
 أكرم زيد (١٦٤) ، وليس للمخاطبين حظ في الفعل فيضمروا فيه ، وإنما الفعل لزيد ،
 ولو كان على الظاهر لوجب أن يُقال أكرما وأكرموا كما يقال اضربوا واضربوا ،
 وعكس هذا قولهم غفر الله لزيد لأن المعنى اللهم اغفر لزيد ، فاللفظ على الخبر
 والمعنى على الدعاء كما أن أكرم بزید لفظه لفظ الأمر والمعنى معنى الخبر (١٦٥)
 وقد ذكر السيوطي أن صيغة الأمر ترد حقيقة في الإيجاب مثل (أقيموا الصلاة -
 فليصلوا معك) كما ترد مجازاً المعان فصل القول فيها بأمثلتها مثل اللذنب والإباحة
 والدعاء من السافل للعالي والتهديد والإهانة والتسخير والتعجيز والامتنان والعجب

التسوية والإرشاد والاحتقار والإنذار والإكرام والتكوين والإنعام والتكذيب المشورة والاعتبار والتعجب (١٦٦) .

كذلك يقع الأمر موقع الخبر كالأية (فليَمْدُدْ له الرحمن مَدًا) مريم ٧٥/١٩ ؛ المعنى أن من كان في الضلالة مَدَّ له الرحمن أي أمهله وأملى له في العمر ، أخرج على لفظ الأمر إيدانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا مَحَالَة (١٦٧) ، وهذا اللفظ فظ الأمر ومعناه الخبر لأن القديم لا يأمر نفسه (١٦٨) .
أما في السبئية فإن " من المشكوك فيه وجود شواهد على الأمر الخطابي المباشر ، غير أن من الشائع استخدام المضارع المجزوم بلام الأمر وذلك الدال على الرجاء ، وهما يُسَبِّقان باللام عادةً مثل " لِيَتَقَدَّمْ فحِذَا لِلَّهِ " ،

R 4782 : 1 WI YHBTN L>LHN FHDM

" لذا فليُعَدَّبْ " ، N 74: 13 wl ycbdn

، " ولعله يَهَيِّبُهُمْ نعمة " (١٦٩) .

ويندر في السبئية المضارع الدال على الطلب بغير اللام ، لكن تمَّ شاهد عليه في (١٧٠) :

" وليهَيِّبُهُمْ .. وليُخَلِّصْنَهُمْ " J 736 : 13-16 wyhmrlmw wyntcnhmw

الأمر بين العربية والإنجليزية

تُسْتَعْمَلُ صيغة الأمر في الإنجليزية The imperative mood للأمر العادي Command مثل: اذهب إلى المحل وأمرُ بالآلة كاتبة ، وللجهات directions مثل: ائجة يمينًا عند إشارة المرور التالية ، وللطلب request مثل: من فضلك رُدَّ على خطابي (١٧١)

وهناك من يجعل أغراض صيغة الأمر في الإنجليزية ثلاثة ، هي الأمر العادي command مثل : انثية، انهض! أو لتسقط إلى الأبد! ، والنصح أو الحث precept or invitation مثل : اذهب إلى النمل أيها الكسول ، اعتنير بأساليبها وكن حكيمًا (العهد القديم) ، والتوسل أو الدعاء Entreaty or prayer مثل: ارزقنا هذا اليوم خبزنا اليومي (دعاء الرب) (١٧٢) .

ويُسْتَعْمَلُ الأمر في صيغة المضارع فقط للمخاطب، ونادرا ما يُدَكَّرُ الفاعل، ويكون ذكره عندما يراد توكيده مثل : أنت تأخذ (حُدَّ) التفاحة الكبرى ، وسوف آخذ الصغرى (١٧٣) . Ibid.

ويشبه ذلك ما في العربية من إضمار ذكر الفاعل لفعل الأمر للمفرد المخاطب ، مع جواز ذكر الضمير العائد عليه على سبيل التوكيد مثل الآية الكريمة : (فاذهب أنت وربك فقَاتِلَا) المائدة ٢٤/٥ ، مع ملاحظة أن صيغة الأمر في العربية تتضمّن ضمير الفاعل المستتر مع المخاطب المفرد ، أو ضميره البارز مع المخاطبة والمخاطب المنثى وجمع المخاطبين والمخاطبات ؛ غير أنّ المخاطب بتعدّده نوعاً و عددًا تعبر عنه الإنجليزية بضمير واحد هو you (١٧٤)

وهو ما يجعل

السياق ضروريًا لإزالة الإبهام الناشئ عن عموم هذا الضمير . ويندرج الأمر باستعمالاته ومقاصده في الإنجليزية ، ضمن طائفة الأفعال المساعدة والتعبيرات المشبهة لها similar & Modal Auxiliaries Expressions ، إذ هو أدنى إليها من الأفعال المتصرفة (١٧٥) . أما عند أمر المتكلم نفسه أو أمره غائبًا (مفردًا مذكرًا وغيره) ، فإن الإنجليزية تُسلّك أحدَ طريقين : إمّا استعمال الفعل المتعدي let قبل الفعل المراد الأمر به ، وإمّا توظيف ما يُسمّى في الإنجليزية the subjunctive mood ، وهو في العربية على معنيين : صيغة الشرط أو التمني أو الدعاء ، وصيغة المضارع المنصوب (١٧٦) . (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث ، وضع د. محمد حسن باكلا وآخرين ، مكتبة لبنان - بيروت ، ط ١ ١٩٨٣ ، ص ٨٨) .

أما في العربية فإن استعمال نظير هذه الصيغة لا يزيد عن استعمال المضارع بمعنى الأمر ، وهو كثير في الأساليب العربية كالأيتنين (و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة فروع) البقرة ٢/٢٢٨ ، (والوالدات يُرضِعْنَ أولادهنَّ حَوْلَيْنِ كاملين ..) البقرة ٢/٢٣٣ ، فضلًا عن أن الاستعمال الواسع للام الأمر يتيح تصرّفًا للفعل الذي تلحق به ، فيكون أمرًا للمتكلم نفسه وللمخاطب والغائب نوعًا و عددًا مع إمكان تبيين فاعل كلِّ من أولئك بضميره الذي يلحق بالفعل أو بظهور الفاعل اسما صريحًا . ويبدو أن العربية تستعمل المضارع المؤكّد بالنون للتعبير به عن أمر المتكلم نفسه في مثل الآية (.. قال لأقنلنك) المائدة ٢٧/٥ ؛ أمّا أمر المخاطب فمنه (أقم الصلاة لدلوك الشمس ..) الإسراء ١٧/٧٨ ، (فاستقيما ..) يونس ١٠/٨٩ ، (وأقيموا الصلاة ..) البقرة ٢/٤٣ ، (وقرن في بيوتكن ..) الأحزاب ٣٣/٣٣ ؛ وأما أمر الغائب فمنه (ولتكن منكم أمة ..) آل عمران ٣/١٠٤ ، (.. وليطوفوا بالبيت العتيق) الحج ٢٢/٢٩ ، (لينفق ذو سعة من سعته ..) الطلاق ٦٥/٧ .

وتشترك اللغتان – بل ربما لغات البشر جميعًا- في الاحتكام إلى السياق لتحديد مقاصد استعمال صيغ الأمر ، كما تؤثر نية المتكلم أيضًا في تحديد نوع المعنى المراد التعبير عنه بها ، وقد تعددت مقاصد استعمال الأمر في العربية ، وميّز النحاة والبلاغيون بين ما يدل من الأمر على طلب الفعل بصيغته ، وهو أمر المخاطب ، وبين ما يدل عليه لا بصيغته بل بأداة اللام ، وهو للغائب ، فالأول يُستعار لمعان آخر ، كما ينص محمد بن علي الجرجاني (١٧٧) ، أهمها :
_ الإباحة ، نحو : جالس الحسن أو ابن سيرين ، وقول كُتِبَ :

- أسيني بنا أو أحسني لا مَلُومَة لدينا ولا مَقْلِيَّة إن نَقَلْتِ
 _ التهديد، نحو: (اعملوا ما شئتم) فَصَلْتِ ٤١/٤٠ .
 _ التعجيز، نحو: (فأتوا بسورة من مثله ..) البقرة ٢٣/٢٣ .
 _ التسخير، نحو: (كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) الأعراف ١٦٦/٧ .
 _ الإهانة ، نحو: (كونوا حجارة ..) الإسراء ٥٠/١٧ ، (دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)
 الدخان ٤٩/٤٤ .
 _ التَّسْوِيَة، نحو (أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) التوبة ٥٣/٩ .
 _ النَّمْتِي ، نحو : أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ (١٧٨) (ديوان امرئ القيس ١٨)
 _ الدِّعَاء ، نحو : (رَبِّ اغْفِرْ لِي ..) نوح ٢٨/٧١ .
 _ الْإِلْتِمَاس ، نحو : افْعَلْ كَذَا ، لِيَمُنَّ بِسَاوِيكَ بِدُونِ اسْتِعْلَاءِ .
 ويضيف بعض اللغويين إلى استعمالات الأمر في الإنجليزية ما يسميه التعبير عن
 الافتراض Supposition وهو شيء يقترب من الشرط في مثل العبارة take care
 of the pence , and pounds will take care of themselves. ، والمعنى :
 حافظ على البنس تحافظ الجنيهات على أنفسها ، وهو ما يمكن صياغته في العبارة
 الشرطية : إن تحافظ على البنس ... الخ. (١٧٩)

وهذا ما نص عليه النحاة العرب من اعتبار الأمر متضمنًا للشرط ، ولذا يُجْزَمُ
 الفعل المضارع في جوابه كما يُجْزَمُ في جواب الشرط.
 ويُستعمل الأمر في الإنجليزية أحيانًا بصورة مطلقة absolutely معترضًا في
 الجملة الأصلية معزولًا عنها في مثل A large number of people , say a
 hundred , are working on the railroad: يعمل عدد هائل من الناس ، قُل
 مائة ، في طريق السكك الحديدية .

الهوامش

- ١- اللسان (أمر) .
- ٢- كتاب الأفعال ، تحقيق علي فودة ، ط ٢ ١٩٩٣ م ، نشر الخانجي بالقاهرة ص ٧٨،٩ .
- ٣- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، تحقيق حسام الدين القسبي ، نشر دار زاهد القدسي بالقاهرة ، بلا تاريخ .
- ٤- معاني القرآن للكسائي ١٨١ ؛ وقد رصد بعض الباحثين المعاصرين أن أمر يأمر (باب نصر) هو التكليف والإشارة بالأمر وأن أمر يأمر (باب فرح) ومصدره إمارة معناه صيرورة الشخص أميرًا . معجم الأفعال الثلاثية المعاصرة ، إعداد سليمان فياض ، دار المريخ للنشر بالرياض ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ص ٦٤ .
- ٥- إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٠ ، وبعده : " قال أبو جعفر : لا يجوز حذف الباء عند البصريين في كلام ولا شعر ، ونسب الطبري هذا القول إلى أحد نحويي الكوفة " تفسير الطبري ط بيروت ص ٤٧٨٤ ، وانظر : معاني القرآن للكسائي ١٣٢ ، ١٧٦ .
- ٦- اللسان (أمر) .
- ٧- اللسان (أمر) .
- ٨- اللسان (أمر) .

- ٩- مدرسة الكوفة للدكتور مهدي المخزومي ٣٣٧ .
- ١٠- همع الهوامع ٣٠/١ .
- ١١- مدرسة الكوفة ٣٣٧ .
- ١٢- انظر شرح الأشموني ١٢٨/٣ ، ومدرسة الكوفة ٣٣٨ .
- ١٣- مدرسة الكوفة ٣٣٨ .
- ١٤- شرح المفصل لابن يعيش ٥٨/٧ .
- ١٥- شرح المفصل ٥٨/٧ .
- ١٦- شرح المفصل ٥٩/٧ .
- ١٧- شرح المفصل ٥٩/٧ ، ومعاني القرآن للكسائي ٥٩ .
- ١٨- شرح المفصل ٥٩/٧ .
- ١٩- شرح المفصل ٥٩/٧ .
- ٢٠- انظر معاني الحروف للرماني ٥٧ هامش (١) ، والهمع ٥/٢ ، والأشموني ٣/٤ .
- ٢١- الكتاب ٨/٣ وشرح المفصل ٦٠/٧ ، و ٢٥،٢٤/٩ .
- ٢٢- الكتاب ٨/٣ وشرح المفصل ٦٠/٧ .
- ٢٣- الكتاب ٩/٣ .
- ٢٤- الكتاب ٩/٣ وشرح المفصل ٢٥/٩ .
- ٢٥- معاني القرآن للفراء ٤٦٧/١ ، ٤٦٨ ، ومعاني القرآن للكسائي ٥٩ .
- ٢٦- شرح المفصل ٦١/٧ .
- ٢٧- همع الهوامع ٤٤٤/٢ .
- ٢٨- همع الهوامع ٤٤٤/٢ .
- ٢٩- زيادة ليست في الأصل يقتضيتها السياق .
- ٣٠- الإقتضاب في شرح أدب الكتاب ، لابن السيد البطليوسي ٢١،٢٠ .
- ٣١- الإيضاح في علل النحو للزجاجي ٨٦-٨٧ .
- ٣٢- شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي ١ ورقة ٤٩٣ نقلا عن الإيضاح ، هامش ص ٨٦ .
- ٣٣- الإيضاح ٨٥ .
- ٣٤- شرح كتاب سيبويه ٢،١ نقلا عن الإيضاح ، هامش ٣ ص ٨٥ .
- ٣٥- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، د. فاضل الساقى ، نشر الخانجي ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م ، ص ٧٠، ٧١ ، وانظر ما يليهما من عرض لحد الفعل عند النحاة .
- ٣٦- أقسام الكلام العربي ٨١، ٨٢ .
- ٣٧- فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح للإمام محمد بن الطيب الفاسي ، تحقيق وشرح د. محمود فجال ٢٩٨/١ ، ٣٠١ .
- ٣٨- همع الهوامع ٣٠/١ .
- ٣٩- شرح الكفراوي على متن الأجرومي ٤٠ .
- ٤٠- من أسرار اللغة ١٧٥ .
- ٤١- أسماء الأفعال .. ١٩٨ .
- ٤٢- في الأصل : والحركة ، وهو تحريف .
- ٤٣- المقتصد في شرح الإيضاح ١٨٠/١ .
- ٤٤- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ، ط الحلبي ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠ م ، ٣/١ .
- ٤٥- حاشية الخضري ٣٢/١ .
- ٤٦- انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ٣٠ .
- ٤٧- الإنصاف ٣١٦/٢ .
- ٤٨- الإنصاف ٣١٤/٢ ، ٣١٥ .
- ٤٩- الإنصاف ٣١٧/٢ .
- ٥٠- الضروري في النحو لابن رشد ، تحقيق د. منصور عبد السميع ، نشر دار الفكر العربي بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ١٠٥ .
- ٥١- المقتصد في شرح الإيضاح للإمام عبد القاهر الجرجاني ١٣٦/١ .
- ٥٢- المقتصد في شرح الإيضاح ١٠٤٥، ١٠٤٤/٢ .
- ٥٣- شرح المفصل ٤٨/٧ ، وانظر الكتاب ٩٣/٣-٩٩ .
- ٥٤- شرح المفصل ٤٨/٧ .
- ٥٥- شرح المفصل ٤٨/٧ .

- ٥٦- شرح المفصل ٤٨/٧ .
 ٥٧- شرح المفصل ٤٨/٧ .
 ٥٨- معاني القرآن للفراء ١٥٤/٣ ، وانظر التبيان للعكبري ١٢٢/٢ .
 ٥٩- شرح المفصل ٤٩/٧ .
 ٦٠- اللغة ، فندريس ، ١٨٢ وما يليها .
 ٦١- اللغة ، فندريس ، ١٨٦ .
 ٦٢- اللغة ، فندريس ، ١٨٨، ١٩١، ١٩٦ .
 ٦٣- شرح المفصل ٥٦،٥٥/٧ ؛ والذي في كتاب سيبويه ١٠٠/٣ بيت زهير فقط .
 ٦٤- كتاب سيبويه ١٠١/٣ ، وفي قراءة أبي عمرو (فاصدق وَاكُون) ، وقرأه الباقون بالجزم وحذف الواو ؛ انظر الكشف عن وجه القراءات السبع ، لمكي بن أبي طالب ٣٢٢/٢ ، وفي التبيان ١٢٢٥/٢ وهامشه : فرئ بالنصب عطفًا على ما قبله .. ويُقرأ بالجزم حملاً على المعنى وهو أنه عطفه على موضع فاصدق لأنه جواب التمني ، وجواب التمني إذا كان بغير فاء ولا واو مجزوم ، ففيه مضارعة للشروط وجوابه .
 ٦٥- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٧٥/٨ .
 ٦٦- انظر التوهم عند النحاة ، د. عبد الله أحمد جاد الكريم ١٥٢ ، والشاهد في مغني اللبيب ٥٥٠/٢ ، واللسان (علل) .
 ٦٧- البحر المحيط ٥٠٩/٣ ، نقلا عن : التوهم عند النحاة ١٥٣ .
 ٦٨- انظر التوهم عند النحاة ١٦١ .
 ٦٩- انظر الحمل على المعنى عند العرب ، د. محمد يوسف حبيلص ، حوليات دار العلوم ١٩٩٢/٩١ ، ص ١٥٢ ، نقلا عن التوهم عند النحاة ٢٤١ .
 ٧٠- انظر النحو والدلالة ، د. محمد حماسة عبد اللطيف ٨٦ .
 ٧١- مغني اللبيب ٥٥٣ وحاشية الدسوقي ١٢٣/٢ .
 ٧٢- انظر قول على قول في التوهم في النحو العربي ، د. محمد أحمد رشوان ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٦/١٤ هـ .
 ٧٣- السابق .
 ٧٤- معاني القرآن للكسائي ٢٢٢ .
 ٧٥- التبيان في إعراب القرآن ١١٦/٢ .
 ٧٦- التبيان في إعراب القرآن ١١٠٤/٢ .
 ٧٧- البيان في إعراب غريب القرآن ٣١٧/٢ .
 ٧٨- مشكل إعراب القرآن ٢٥٢/٢ .
 ٧٩- التبيان ١٢٢/١ ؛ وهو يشير إلى قوله تعالى (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) البقرة ١٣٥/٢ .
 ٨٠- الضروري في النحو ١٠٦ .
 ٨١- الضروري ١٠٦، ١٠٧ .
 ٨٢- الضروري ١٠٩ ، والنص في كتاب سيبويه بشيء من الاختلاف ، والتقدير عنده : اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعا وذنبًا . الكتاب ٢٥٥/١ .
 ٨٣- الكتاب ٢٥٦، ٢٥٥/١ ؛ وعلق محقق الكتاب في الحاشية بأن الظباء منصوب على معنى اخترت أو أختار الظباء على البقر .. وكان أجدر بسيبويه أن يذكر المثل الآخر " الكلاب على البقر " . انظر مجمع الأمثال للميداني ١٤٢/٢ .
 ٨٤- الكتاب ٢٤١/١ .
 ٨٥- الكتاب ٢٤٩/١ .
 ٨٦- الكتاب ٢٤٩/١ ، الحاشية ٢ .
 ٨٧- الضروري ١٠٥ .
 ٨٨- كتاب حروف المعاني والصفات لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تحقيق د. حسن شادلي فرهود ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠١هـ-١٩٨٢م ، ص ٢٤ .
 ٨٩- البيت للجموح الظفري ، اللسان "رود" ١٨٩/٣ .
 ٩٠- انظر المغني ١٢٣/١ ، والجني الداني ٤٢٤ ومنهج السالك لأبي حيان ١٧٨ ، والتصريح ١٩٩/٢ .
 ٩١- انظر الكتاب ١٢٢/١ والخصائص لابن جني ٤٥،٤٤/٣ ، وشرح المفصل ٢٥/٤ .
 ٩٢- انظر أسماء الأفعال وأسماء الأصوات في اللغة العربية ، د. محمد عبد الله جبر ، ط دار المعارف ٢٩٨٠م ، ص ٢٩٨ .

- ٩٣- انظر اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ١١٣-١١٥ .
- ٩٤- أسماء الأفعال ، ٥٩ .
- ٩٥- شرح الكافية ٨٢،٨٢/٢ نقلا عن أسماء الأفعال ٦٠ .
- ٩٦- أسماء الأفعال ٦٠ .
- ٩٧- السابق .
- ٩٨- انظر العربية الفصحى ١٨١ نقلا عن أسماء الأفعال ٦٠،٦١ .
- ٩٩- انظر الخصائص لابن جني ١٦٥،٤٠/٣ .
- ١٠٠- المقتضب للمبرد ١٧٩/٣ ، والهمع ١٦/١ .
- ١٠١- الهمع ١٧/١ .
- ١٠٢- الكافية ٢٢:١-٢٣ .
- ١٠٣- أسماء الأفعال ٧١ .
- ١٠٤- أسماء الأفعال ١٨٢ ، وانظر العربية الفصحى ٦٤،٤٩،٤٨ .
- ١٠٥- فتح القدير للشوكاني ١٣٣/٤ ، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ٢٢١/٢
- ١٠٦- فتح القدير ١٣٣/٤ ، وانظر اللسان "يا" .
- ١٠٧- معاني القرآن للكسائي ١٢٨ .
- ١٠٨- كذا في الأصل ، ولعل اللفظ بالألف في آخره لا بالهمزة؛ فتح القدير ١٣٣/٤ .
- ١٠٩- اللسان "يا" .
- ١١٠- حاشية الصبان ٣٧/١ ، والبيان ٢٢١/٢ .
- ١١١- فتح القدير ١٣٣/٤ .
- ١١٢- ديوان النابغة ١٥٣ .
- ١١٣- شعراء النصرانية ٧/١٢ .
- ١١٤- ديوان امرئ القيس ٩ .
- ١١٥- كتاب سيويه ١٦١/٤ ، والخصائص ٣٦/٣ ، وشرح المفصل ٤٢/٤ .
- ١١٦- الكتاب ٣٤/١ ، والمحتسب لابن جني ٣٦٢/٢ .
- ١١٧- مفتاح العلوم للسكاكي ٩٨ .
- ١١٨- مجمع الأمثال للميداني ٢٤/٢ ، والمحتسب ٧٠/٢ .
- ١١٩- مجمع الأمثال ٤١٦/١ .
- ١٢٠- انظر مجمع الأمثال ٤٤٥/١ ، وحاشية الصبان ١٣٦/٣ .
- ١٢١- الكتاب ١٧٠/٢ ، والمحتسب ١٧٣/٢ .
- ١٢٢- المحتسب ٧٠/٢ .
- ١٢٣- انظر الإتقان ١٠٦/٢ .
- ١٢٤- انظر مصادر الاستشهاد عند ابن مالك ، مخطوط ماجستير بأداب عين شمس ، إعداد محمود محروس محمود ١٩٨ .
- ١٢٥- شرح التسهيل لابن مالك ٣٩٠/٣ .
- ١٢٦- في كتابه " القرآن والحديث مقارنة أسلوبية " ، مكتبة زهراء الشرق ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ، ص ٤٣٢ .
- ١٢٧- القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ٤٣٥ .
- ١٢٨- القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ٤٢٦ .
- ١٢٩- القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ٤٥٠ .
- ١٣٠- القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ٤٥٨ .
- ١٣١- ليس الأمر وارادا إلا في آية المائدة (عليكم أنفسكم) وما عدا ذلك من الآيات إذا كان فيه أمر فإنه يُفهم من ألفاظ أخرى في الآيات .
- ١٣٢- القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ٤٥٨ ، وانظر أحاديث أخرى ص ٤٥٩ .
- ١٣٣- القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ٤٦٣ .
- ١٣٤- القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ٤٦٤ .
- ١٣٥- شرح المفصل ٥٨/٧ .
- ١٣٦- شرح المفصل ٥٩/٧ .
- ١٣٧- همع الهوامع ٩/١ .
- ١٣٨- انظر بحوث مقارنة في الفعل بين العبرية والعربية والسريانية ، د. علاء عبد المجيد قنصل ، القاهرة ١٩٩٠ ص ١٤٤ .

- ١٣٩- لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية ، دراسة لغوية ، د. عبد العزيز مطر ، نشر دار المعارف بمصر ١٩٨١ ، ص ١٤٤ جدول ٢ .
- ١٤٠- لهجة البدو ١٦٢ .
- ١٤١- لهجة البدو ١٣٤ .
- ١٤٢- لهجة البدو ١٦٢ .
- ١٤٣- انظر في لهجة حائل ونجد ٧،٦ .
- ١٤٤- انظر فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، ترجمة د. رمضان عبد التواب ٤٣ .
- ١٤٥- انظر في لهجة حائل ونجد ٧ .
- ١٤٦- انظر لهجة البدو ، المقدمة ب .
- ١٤٧- بحوث مقارنة في الفعل ١٧ .
- ١٤٨- انظر معاني القرآن للكسائي ١١٣ ، وانظر أيضا السبعة لابن مجاهد ٢٣٢ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٣٦/٣ .
- ١٤٩- Gesenius , Hebrew Grammar pp.174,250 .
- ١٥٠- Brockelmann , Syriach Grammatik . p. 133 .
- ١٥١- انظر بحوث مقارنة في الفعل ٢٠ .
- ١٥٢- بحوث مقارنة في الفعل ٢٠ .
- ١٥٣- بحوث مقارنة في الفعل ٢٠ .
- ١٥٤- انظر فعل الأمر بين الارتجال والانتطاع ، حماد حمزة البحيري ٨٠ ، وانظر المقتصد في شرح الإيضاح ١٨٠/١ .
- ١٥٥- انظر الإيضاح في علل النحو للزجاجي ٨٦،٨٧ .
- ١٥٦- انظر Moscati , An Introduction to the comp. Grammar of the Semitic Languages , p. 156 , 16:90 .
- ١٥٧- انظر في قواعد الساميات ، صنعة الدكتور رمضان عبد التواب ، ط ٢ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، نشر الخانجي بالقاهرة ، ص ٩٧ .
- ١٥٨- انظر في قواعد الساميات ١٢٧ .
- ١٥٩- انظر في قواعد الساميات ١٢٧ .
- ١٦٠- مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط ٧ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م ، ٢٠٢/١ .
- ١٦١- فتح القدير للشوكاني ٢٣٤/١ .
- ١٦٢- انظر فتح القدير ٢٤٤/١ ، ومختصر تفسير ابن كثير ٢١١/١ .
- ١٦٣- المقتصد في شرح الإيضاح ٣٧٦/١ .
- ١٦٤- في المقتصد " أكرم " بالبناء للمجهول ، وهو خطأ .
- ١٦٥- المقتصد ٣٧٧/١ ، ١٠٤٤/٢ ، وانظر الإنقان في علوم القرآن ٩٨/٢ .
- ١٦٦- انظر الإنقان في علوم القرآن ١٠٥/٢ ، وانظر فقه اللغة للثعالبي ٣٢٥ .
- ١٦٧- انظر تفسير الكشاف للزمخشري ١٥/٢ .
- ١٦٨- معاني الحروف للرماني ٥٧ .
- ١٦٩- القواعد السبئية ، تأليف أ. بيستون ، ترجمة د. علي محمد هنداوي ، مجلة مركز الدراسات الوردية والنقوش بجامعة عين شمس ٢٠٠٢/١٩ م ، ص ١٤١ الفقرة ٧:٨ .
- ١٧٠- القواعد السبئية ص ١٤١ الفقرة ٧:٩ .
- ١٧١-

Ronald C. Foote, Benjamin W. Griffith, Barran, s Vincen F. Hopper,

Educational Series Inc. Fourth Edition 1990, p 17

١٧٢- J.C. Nesfield & Frederick T. Wood Manual of Eng. Grammar & Composition. Macmillan co. LTD. 1964 p.66.

Ibid ١٧٢

Azar, Prentice Hall Regents, 2nd edition 1989, p. 73

Ibid. (١٧٥)

(١٧٦) معجم مصطلحات علم اللغة الحديث ، وضع د. محمد حسن باكلا وأخرين ، مكتبة لبنان- بيروت ، ط ١
١٩٨٣ ، ص ٨٨.

(١٧٧) الإشارات والتبهيّات في علم البلاغة ، تحقيق د. عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ،
القاهرة ١٩٨٢م ، ص ١١٦، ١١٧ .

(١٧٨) ديوان امرئ القيس ١٨

J.C. Nesfield & Frederick T. Wood . Manual of Eng. Grammar & Composition (١٧٩)
Macmillan co. LTD. 1964 pp.66,67.

علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً)

د. فادية رمضان النجار

أستاذ مساعد للعلوم اللغوية

كلية الآداب - جامعة حلوان

أولاً: النظرية

النشأة ومراحل التطور:

مما لا شك فيه أن الدراسات اللغوية البنيوية: النحو التحويلي التوليدي (لدى تشومسكى) ونحو التبعية (التعليق) (لدى تنيير) ونحو الحالة (لدى فليمور) قد اهتمت بالمركب الفعلي أو العمل (الإسناد) بوصفه نواة الجملة. وعالجت المركبات الاسمية بوجه خاص في نموذجي نحو التبعية (التعليق) و(نحو الحالة) بوصفها قيمًا تابعة (عناصر أساسية) في نظرية التكافؤ (قوة الكلمة) وما سُمى (الحالة العميقة) في (نحو الحالة)^(١).

وكانت أقصى غايتهم دراسة الجملة؛ لقولهم: «إن الجملة هي أكبر وحدة مستقلة»، إلا أنه وجد من العلماء من يرفض هذا القيد المقتصر على دراسة الجملة، ويسعى إلى دراسة الوحدة الممثلة لتتابعات من الجمل والتي عرفت فيما بعد

(١) زتسيسلاف واورزيناك: مدخل إلى علم النص - مشكلات بناء النص، تعريب د. سعيد

بحري، ط مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٦٠.

بـ(النص Text). وكان من أوائل هؤلاء اللغويين (ز.س. هاريس) ١٩٥٢م الذى أطلق على نمط هذه الدراسة (النهج المجاوز للجملة) وقد جاء ذلك فى بحثه "تحليل الخطاب" "Discourse Analysis" ١٩٥٢م، الذى اهتم فيه بتوزيع العناصر اللغوية فى النصوص، كما اهتم بالربط (Link) بين النص وسياقه الاجتماعى. وقد حظى هذا البحث باهتمام علماء اللغة إلى وقتنا هذا^(١). وقد تابعه (ك.ل. بايك) ١٩٥٤م فى تأكيد هذه الدراسة ثم ظهرت دراسة لـ(دل هيمز Dell Hymes) ١٩٦٠م، الذى ركز على الحدث الاجتماعى.

ويعتمد الرافضون لنحو الجملة على أن البشر عندما يتواصلون لغوياً لا يُمارسون ذلك فى جمل مفردة منعزلة بل فى تتابعات مجاوزة للجملة مترابطة (متماسكة). ولا تدرك النصوص فى ذلك أساساً بوصفها أفعال تواصل فردية بل بوصفها نتائج تفاعلات متجاوزة للإفراد (أبنية منطوقة بين الذوات). ويعنى هذا أن كل تحليل لغوى يجب أن ينطلق من النص لكونه مجال الدرس، وهذا ما دعا إليه (فاينريش) ١٩٦٧م، (ب. هارتمان Hartman) ١٩٦٨م^(٢).

ثم تتابعت اهتمامات فلاسفة اللغة والعلوم بأبحاثهم ودراساتهم فى تأكيد هوية "علم اللغة النصي" وبيان خصائصه ونظرياته وأهدافه، وقد توج ذلك على يد

(١) فولفجانج هاينه من، ديتير فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تعريب د. فالخ بسن شيب العجمي، ط الملك سعود، ١٩٩٩م، ص ٢٠ - ٢١ بتصرف، ود. صبحي إبراهيم الفقى: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ط دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م، ٢٣/١.

(٢) زتسيسلاف اورزيناك: مدخل إلى علم النص - مشكلات بناء النص، تعريب د. سعيد بحرى، ص ٣٦ - ٣٧ بتصرف، وفولفجانج هاينه من، ديتير فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص ٢٢.

(هاليداي M.A.K Halliday) ١٩٧٣م، الذي رسخ مفاهيم علم لغة النص في اللغويات البريطانية، ثم ظهر كثير من الباحثين^(١) الذين عنوا بهذا الاتجاه عناية فائقة، فقدموا دراسات وأبحاثاً أدت إلى تطور هذا العلم بحيث إنه لا يقتصر على دراسة النص (Text) فحسب، بل يسعى إلى دراسة بيئته والثقافات المتصلة به ومعارفه المختلفة ... إلى غير ذلك من العلوم المتصلة بالنص^(٢).

نحو الجملة ونحو النص:

يحرص علماء اللغة النصيون على توضيح أهمية نحو النص من حيث كونه لا يقتصر على دراسة الجملة بل يهدف إلى دراسة الروابط بين الجمل وتتابعاتها ومظاهر انسجامها، محاولين إبراز أوجه الاختلاف بين نحو الجملة ونحو النص في النقاط الآتية^(٣):

- ١- تنتمي الجملة إلى نظام افتراضى (النحو) في حين يعد النص نظاماً واقعياً تكون من خلال الانتخابات من بين مختلف خيارات الأنظمة الافتراضية.
- ٢- تتحدد الجملة بمعيار أحادى (علم القواعد) من نظام معرفى وحيد (علم اللغة) في حين تتحدد نصية النص بمعايير عدة من مختلف الأنظمة المعرفية.

(١) ينظر تفصيل مراحل تطور لسانيات النص: روبرت دى بوجرانند: النص والخطاب والإجراء، تعريب د. تمام حسان، ط عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨م، ص ٦٦، ٦٧ وعلم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ٢٣/١-٢٤ بتصرف.

(٢) د. سعيد بحيرى: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر - لوجمان، القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٩.

(٣) د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت ديوجرانند وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص ١٠.

٣- تكون الجملة قواعدية أو لا تكون جملة البتة. أما النص فلا تنطبق عليه معايير النصية. يمثل هذه الحدة^(١).

٤- يتأثر النص بالأعراف الاجتماعية والعوامل النفسية وبموقف وقوع النص بوجه خاص، في حين يضعف تأثير الجملة بهذه المؤثرات.

٥- يستند استغلال الجمل إلى المعرفة القواعدية التابعة لنظام افتراضى له صفة العمومية. أما استغلال النص فيستند إلى معرفة خبرات بوقائع فعلية خاصة.

٦- يعد النص حدثاً يوجهه المرسل إلى المستقبل؛ لإنشاء علاقات متنوعة، وتوصيل مضامين يعينها المنتج، ولا تقتصر على العلاقات القواعدية. في حين لا تعنى الجملة إلا بالعلاقات القواعدية؛ ومن ثم فهي لا تمثل حدثاً.

٧- تتخذ الجملة شكلها المعين وفقاً للنظام الافتراضى المعلوم. في حين تتشكل بنية النص بحسب ضوابط المشاركين والمستقبلين على حد سواء^(٢).

والحق أن هذا الفصل الحاد بين نحو الجملة ونحو النص لا يتناسب مع الواقع الفعلي لكونهما متكاملين؛ وذلك لأن النص ما هو إلا مجموعة من الجمل، فكما أن الفونيم وحدة الكلمة، والكلمة وحدة الجملة، فالجملة وحدة النص، ويؤكد ذلك أن توسيع مجال علم اللغة ليشمل النصوص وتوظيفها في الاتصال لا يشكك مطلقاً في أهمية الوحدات اللغوية المعزولة (الفونيمات، والمورفيمات،

(١) د. محمد ح. بي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩١، ص ١٣.

(٢) ينظر مزيد التفصيل: روبرت دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ص ٨٩، ٩٠ ود. إلهام أبو غزالة، على تحليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص ١١.

واللكسيمات، والمركبات الاسمية والجمل^(١). بل على العكس يجب أن تستمر مثل هذه الدراسات وتقوى حتى تقوم بدور في تشكيل نحو النص؛ ومن ثم لا يسوغ أن تنفصم العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص، كما لا يسوغ أن يتداخل العلمان (معنى أن يشتمل أحدهما على الآخر)؛ ومن ثم ينظر إلى دراسات نحو الجملة على أنها تمهيد ضروري لدراسة نحو النص؛ ومن ثم فهما متكاملان^(٢).

ويؤكد هذا الاتجاه (التكامل بينهما) كون نحو النص يشترك مع نحو الجملة في تحليل مواد لغوية ذات صفات مشتركة، منها:

١- أن كلا الاتجاهين يحلان البنية Structure؛ ومن ثم يمكن اقتراح نحو الخطاب من أجل توليد النصوص، وهكذا نستطيع أن نصمم نموذجًا لنحو واحد يعالج بنية الجملة وبنية النص من خلال توسيع وتطوير النظام الذى يحدد بنية الخطاب.

٢- النصوص مثلها مثل الجمل ذات معنى. لقد أثبت (دى بوجراند ١٩٨٠م) أن العلاقات الدلالية في الجملة يمكن أن تقوم أيضًا بين الجمل في نص ما.

٣- فكما تقوم العلاقات الإحالية بين العناصر في الجملة يمكنها أن تكون ضمن العناصر في جملتين منفصلتين في النص؛ وهذا يستدعى وجود معالجة نحوية واحدة لكلتا الحالتين؛ كما يستدعى ذلك من المؤيدين لنحو الجملة السعى إلى تطوير نموذجهم على أساس تجريبي^(٣).

ومن جهة أخرى أن السامع عندما يتلقى نصًا ما يستدعى له بنيستين: (داخلية)

(١) فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص ٧.

(٢) السابق نفسه: ص ٨ بتصرف.

(٣) مازن الوعر: نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مقال من شبكة المعلومات.

تعتمد على الوسائل اللغوية التي تربط أو اصر مقطوع ما بغيره، و(خارجية) تكمن في مراعاة المقام المحيط بالنص؛ ومن ثم فلا فصل بينهما عند المتلقى، ولكن الفصل ضروري بالنسبة للدارس اللساني تأكيداً على ما يرغب في دراسته وما يدرجه ضمن اهتمامه^(١).

فإذا نظرنا إلى النص المعنى بتحليله (خطابة الرسول "صلى الله عليه وسلم") لاحظنا ضرورة تحليل العناصر الجزئية داخل الجملة أولاً، والمتمثلة في العمدة والفضلات والتقدم والتأخير في إطار الجملة؛ ومن ثم يحدد الإعراب موقع الكلمات من الجملة، ثم يُنظر في علاقة الجمل (بعضها ببعض) داخل النص، والمتمثلة في الوصل والفصل وعلاقتها بما قبلها وبعدها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يُفصل بين المتحدث والمتلقى والخطاب؛ ومن ثم يمكن لأية جملة أن تصير نصاً؛ وذلك بوضعها في السياق الفعلي أي ربطها بالمخاطب والمخاطب؛ وعلى هذا يمكن انتقالها من بنيتها المحدودة إلى بنية نصية متصلة بسياقها.

وتتعدد العلاقات بين الجملة والجملة داخل النص، فإذا كانت هناك جملة أساسية يكون غيرها من الجمل إما معطوفاً عليها، أو بدلاً منها، أو بياناً لها، أو توكيداً أو تفسيراً أو تعليلاً. أما موقع الجملة بالنسبة للمفرد فيمكن أن تكون خبيراً أو حالاً أو نعتاً أو بدلاً أو تعليلاً أو تفسيراً^(٢).

وقد تقع الجملة بالنسبة لغيرها في الجملة الطويلة جواباً للقسم أو جواباً للشرط أو

Halliday, M.A.K. and R. Hasan (1976) Cohesion in English, Longman, (١) London, p. 20.

د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢م، ص ١٠٨.

(٢) د. حسنى عبد الجليل يوسف: إعراب النص، ط ١ دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٣ - ١٤.

جواباً للطلب؛ ومن ثم سوف نحرص في مجال التطبيق على إظهار دور نحو النص في التحليل اللغوي للتراكيب النحوية للنص، كما يُظهر ذلك البنية العميقة والسطحية للنص، بالإضافة إلى توضيح التحليل الدلالي له.

مفهوم علم اللغة النصي:

تعددت تعريفات علماء اللغة النصيين لمفهوم هذا المصطلح، وجميعها لا تخرج عن الأشكال اللغوية التي تحكم بناء كل أشكال النص. وأكثرهم بدأ بتعريف النص أولاً، ومن هؤلاء (دى بوجراند) الذي عرفه بأنه: «تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال، ويضاف إلى ذلك ضرورة صدوره (أى النص) عن مشارك أو أكثر ضمن حدود زمنية معينة. وليس من الضروري أن يتألف النص من الجمل وحدها، فقد يتكون النص من جمل أو كلمات مفردة أو أية مجموعات لغوية تحقق أهداف الاتصال، ومن جهة أخرى فقد يكون بين بعض النصوص من الصلة المتبادلة ما يؤهلها لأن تكون خطاباً Discourse»^(١).

ويظهر من خلال هذا التعريف تفريق (دى بوجراند) بين الخطاب "Discourse" والنص "Text"، حيث يركز أولهما على تحليل اللغة المنطوقة في أنواع الخطاب المختلفة، مثل (المحادثات والمقابلات والتعليقات والخطب) وهو ما يُعرف بتحليل الخطاب "Discourse Analysis". أما ثانيهما النص "Text" فيعتمد إلى دراسة نصوص اللغة المكتوبة كـ(المقالات والملاحظات وعلامات الطريق والتقارير)، وهو ما يعرف بتحليل النص "Text Analysis".

(١) دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ص ٩٨ - ١٠١، د. إلمام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص ٩.

غير أنه يجب الأخذ في الاعتبار أن هذا التصنيف ليس قاطعاً، فهناك استعمالات أخرى لهذين المصطلحين، وتحديدًا يمكن استخدام كل من مصطلح الخطاب "Discourse" والنص "Text" بشكل أوسع ليشملا كل الوحدات اللغوية التي تؤدي وظيفة اتصالية محددة، سواء أكانت مكتوبة أم منطوقة.

فقد تناول بعض العلماء الخطاب المنطوق والمكتوب، في حين تناول آخرون النصوص المنطوقة والمكتوبة^(١)؛ ومن ثم يمكن تحديد مفهوم مصطلح علم اللغة النصي على أنه «هو العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكنا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاص لها؛ مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النص ويشترك فيها متلقيه»^(٢)، أو هو «الدراسة اللغوية لبنية النصوص»^(٣)؛ إذن علم اللغة النصي هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص من حيث كونه الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة أو المرجعية "Reference" وأنواعها والسياق النصي "Text Context" ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل). وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء^(٤).

(١) David Crystal: The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge University, press 1987, p. 116.

(٢) David Crystal: A Dictionary of Linguistics and Phonetics. Basil Blackwell, Oxford, p. 350. Baalbaki, Ramzy: Dictionary of Linguistics Terms, Beirut, 1990, p. 502.

(٣) David Crystal: The Cambridge Encyclopedia of Language, p. 116.

(٤) د. صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ٣٦/١.

معايير النصية:

وقد أجمل دى بوجراند خصائص النص في تعريفه حيث قال: إنه حدث تواصلى يلزم لكونه نصاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير:

- ١- السبك Cohesion أو الربط النحوى.
- ٢- الحبكة Coherence أو التماسك الدلالى وترجمها د. تمام حسان بالالتحام.
- ٣- القصد Intentionality أى هدف النص.
- ٤- القبول أو المقبولية Acceptability وتعلق بموقف المتلقى من قبول النص.
- ٥- الإخبارية أو الإعلام Informativity أى توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.

٦- المقامية Situationality وتعلق بمناسبة النص للموقف.

٧- التناص Intertextuality^(١).

وسوف نتعرض لهذه المعايير بشيء من التفصيل على النحو التالى:

أولاً: السبك Cohesion:

وهو يشتمل على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة، مثل: خطبته (صلى الله عليه وسلم) في أول جمعة جمعها بالمدينة إذ يقول: «...»

(١) دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣ - ١٠٤ د. سعيد بحيرى: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ص ١١١ وما بعدها ود. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢٥٢ وفولفجانج هاينه من، ديتير فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصى، ص ١٦٩ - ١٧٢.

وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة...»^(١)، وقد تحقق ذلك من خلال الترابط بين السبك والمعايير النصية الأخرى لتحقيق جودة الاتصال. وينقسم السبك إلى نوعين:

أولهما: السبك النحوي Grammatical Cohesion ويشمل: الإحالة المتبادلة Co-Reference والاستبدال Substitution والحذف Ellipsis والربط Junction.

وثانيهما: السبك المعجمي Lexical Cohesion ويشتمل على علاقتي التكرار Reiteration والمصاحبة اللغوية أو التضام Collocation^(٢).

ثانياً: الحيك Coherence^(٣):

يعد الحيك من أهم معايير النصية التي اشترطها اللغويون لوصف النص بالترابط والتماسك، ويقصد به العلاقات المنطقية التصورية التي تجعل النص مترابطاً

(١) ابن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، ١٩٩٠م، ٢/٣٩٥.

(٢) ينظر دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣، ود. إلهام أبو غزالة، على = خليل حمد: السابق نفسه، ص ١١، وإيناس حسين محمد: الخصائص اللغوية في الخطابة الدينية في العقدين الأخيرين، بحث دكتوراه، الإسكندرية ٢٠٠٣م، ص ١١ - ١٣.

(٣) وقد ترجم إلى (الالتحام، التناسق، التقارن، وقد أثر البحث مصطلح (الحيك) - ينظر دى بوجراند: السابق، ص ١٠٣، فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص ٩٣، د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص ١١.

وإن خلا من الروابط السابق ذكرها في السبك بنوعيه. ويعتمد الحبك على علاقات داخلية وعناصر مقامية متعلقة يتم بواسطتها فهم النص^(١)، ويمكن أن نمثل على ذلك بقول القائل: لما كان الجو جميلاً ذهبنا إلى الشاطئ، فبالرغم من كون المسند إليه في الجملة الأولى مختلفاً عن المسند إليه في الجملة الثانية إلا أن الجملتين مترابطتان؛ وذلك لاتساق الظروف والشروط الموطئة لهذا الربط عند المتلقى عادة بين جمال الجو والخروج في نزهة على الشاطئ^(٢). وتشتمل وسائل الحبك على:

١- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص، ومن السببية قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٦) فالخلق قد تم

من أجل غاية وسبب واحد هو عبادة الله سبحانه وتعالى.

٢- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

٣- السعى إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتسدهم الالتحام

بتفاعل المعلومات التي يعرفها النص Text Presented Knowledge

من المعرفة السابقة بالعالم^(٣).

هذان المعياران يعدان أهم المعايير؛ لكونهما الأكثر اتصالاً بالنص من حيث تماسكه النحوي والدلالى وعلاقاته المنطقية، التي توفر له الانسجام والسبك. وإن كنا سنتنصر في مجال التطبيق على معيار السبك بقسميه (النحوي والمعجمي). إلا أن هناك خمسة معايير جوهرية تتصل بالمنتج والمتلقى ومضمون الرسالة وقناة التوصيل

(١) دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣، فولفجانج هاينه من، ديتير فيهفيجر:

السابق، ص ٩٣.

(٢) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب، ص ٢٦١.

(٣) دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣.

والسياق المحيط بالرسالة، وسوف تناولها فيما يلي:

ثالثاً: القصدية Intentionality:

ويعنى بها موقف منتج النص لإنتاج نص متماسك ومتربط؛ لكى يتم الوصول إلى هدف مرسوم فى خطة محددة^(١)، ومن ذلك قول القائل: (حسناً، فى أى بلد، أين تسكن؟) فبالرغم من أن العبارة صيغت فى حديث إلقائي إلا أنها تتضمن هدف المنتج من معرفة عنوان المخاطب، وقد تأتى ذلك من توافر عناصر السبك والحبك^(٢).

رابعاً: القبول Acceptability:

ويقصد بها موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من أشكال اللغة ينبغى لها أن تكون مقبولة من حيث هى نص توفر فيه عناصر السبك والحبك^(٣)، ومثال ذلك التحذير الذى قدمته شركة (بيل) للهواتف إذ يقول: (استدعونا قبل مباشرة الحفر، فقد تعجزون عن ذلك فيما بعد) فالمثال أكثر فعالية عند المتلقى؛ إذ يستنتج منه ما قد يترتب على القيام بالحفر من أضرار جسيمة دون الرجوع إلى الشركة؛ لأن اقتناع المستقبلين للنص سيكون أكثر قوة عند قيامهم بتزويد محتواه بأنفسهم^(٤).

(١) فولفجانج هاينه من، ديتير فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص ٩٤، ودى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص ٣٠ - ٣١.

(٣) فولفجانج هاينه من، ديتير فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص ٩٤، ودى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٤.

(٤) د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص ٣١ - ٣٢.

خامساً: رعاية الموقف **Situationality**:

وتشتمل على العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي، أو بموقف قابل للاسترجاع^(١)، ومن ذلك قولهم: (تمهل، أطفال في الطريق) فالموقف هنا يشير إلى لافتة وضعت على الطريق مع وجود سهم موجه إلى أحد الشوارع الجانبية، الذي يفهم منه أن هناك أطفالاً يلعبون وقد يجرى أحدهم إلى الطريق العام، فيكون المراد إعلام السائقين بوجوب تخفيف السرعة حمايةً للأطفال من خطر التصادم^(٢).

سادساً: الإعلامية **Informativity**:

ويشار بها إلى ما يحمله النص من المعلومات التي تهم السامع أو القارئ، ويتحقق بها هدف التواصل بين منتج النص ومنتقيه. ولمعيار الإعلامية درجات، حيث يحمل كل نص درجة من الإعلامية معينة يحددها منتجه ومنتقيه معاً^(٣). وقد ظهرت درجة عالية من الإعلامية في التحذير الذي أعلنته شركة (بيل) للهواتف السابق ذكره، وقد تضعف هذه الإعلامية فتؤدي إلى الارتباك والغموض وربما رفض النص^(٤).

سابعاً: التناص **Intertextuality**:

ويعني به العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى ذات صلة، تم التعرف إليها

(١) فولفجانج هاينه من، ديتير فيههيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص ٩٤، ودي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٤، د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص ١٢.

(٢) د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص ٣٤ - ٣٥ بتصرف.

(٣) دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٥، ٢٧٥، ٢٧٨ بتصرف.

(٤) د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص ٣٢ - ٣٣ بتصرف.

بحيرة سابقة. ومن ذلك قول سراج الدين الوراق:

يا لائمى فى هواها أفرطت فى اللوم جهلا
لا يعلم الشوق إلا ولا الصبا بابة إلا

فالقارئ لهذا البيت قد يتشعب فكره فى مناح شتى، لا يدرك المراد منه إلا إذا كان على علم بقول الشاعر القديم:

لا يعلم الشوق إلا من يكابده ولا الصبا إلا من يعانها^(١)

وقد تمثلت الخطابة النبوية هذا المعيار أصدق تمثُّل، ومن ذلك اقتباسها آيات القرآن الكريم، والحديث الشريف والأقوال المأثورة وسيبين ذلك بالتفصيل فى تحليل الخطاب. فضلاً عن هذه المعايير التأسيسية التى تعين اتصاف تشكيلة لغوية ما بصفة النصية يمكننا تعريف معايير تنظيمية تستعمل لتعين نوعية النص وتقييمه. ومن هذه المعايير التنظيمية الجودة Efficiency، وتنجم جودة النص من استغلاله فى الاتصال مع تحقيق أكبر مردود وأقل جهد بحيث تتوافر سهولة معالجة النص، ومنها الفعالية Effectivity، أى شدة وقع النص وتأثيره فى المستقبل بحيث يتوافر عمق المعالجة والإسهام القوى فى تحقيق هدف المنتج: ومنها أخيراً الملاءمة Appropriateness التى يقصد بها تناسب مقتضيات الموقف مع درجة انطباق معايير النصية على النص المحلل^(٢).

ولا يمكن فهم أى من هذه المعايير السابقة إلا مع أخذ أمور فى الحسبان هى: اللغة والعقل والمجتمع والتداولية Pragmatics، فيتحقق الفهم الذى هو توحيد المعلومات الطارئة والمعلومات المختزنة فى كيان واحد.

(١) السابق نفسه: ص ٣٥ - ٣٦.

(٢) السابق نفسه: ص ١٢.

وظيفة علم اللغة النصي:

تركز وظيفة علم اللغة النصي في مهام:

أولها: وصف النص Text Description، ثانيها: تحليل النص Text Analysis.

ويقصد بوصف النص: توضيح مكونات النص؛ وذلك بتعيين الجملة الأولى فيه، وتوضيح الموضوعات المتناولة في النص، مع بيان الروابط الشكلية والمعنوية الموجودة فيه، وما تؤدي إليه من انسجام وسبك بين متابعات النص حتى تصير كأنها جملة واحدة، وعندئذ يبدأ تحليل النص الذي لا يقتصر على بيان الروابط الداخلية فقط بل يهدف إلى توضيح الروابط الخارجية أيضاً؛ ومن ثم يظهر دور السياق في تأليف أشتات النص التي تبدو متفرقة فتصبح متجاذبة^(١).

ثالثها: يراعى دور النص في التواصل؛ وذلك من خلال الوقوف على أحوال المنتج والمتلقى للنص.

رابعها: كما أن من الأهداف التي يسعى إليها علم اللغة النصي، والتي لا تقتصر على وصف النصوص وتحليلها؛ فهو ذو هدف أكثر عمومية وشمولاً، فمن ناحية يشير إلى جميع أنواع النصوص وأنماطها في السياقات المختلفة، كما أنه من ناحية أخرى يتضمن الإجراءات النظرية والوصفية والتطبيقية ذات الطابع العلمي المحدد^(٢).
خامسها: كذلك يتطلب تفسير الخطاب وتأويله الوقوف على المستوى النحوي التركيبي والمستوى المعجمي والمستوى الدلالي والمستوى الصوتي والمستوى التنغمي

(١) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢٤٧، ود. صبحي الفقى: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/٥٥.

(٢) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

(مستوى بروز أو تنوء الصوت)، هذا بالإضافة إلى المستوى الإستراتيجي^(١) المتمثل في اختيار إستراتيجية معينة للخطاب، ومن ذلك طرائق وإستراتيجيات معالجة وفهم نصوص الخطابة النبوية.

إرهاصات علم اللغة النصي عند القدماء:

مما لا شك فيه أن فرع علم اللغة النصي نشأ في أحضان المناهج البنيوية والوصفية الغربية، لكن هذا لا يمنع من وجود ملامح لهذا المنهج متناثرة عند القدماء ولاسيما في مؤلفات النحويين والبلاغيين والنقاد والمفسرين.

(١) ومن أوائل الذين أشاروا إلى مصطلحات (التضام Collocation، النظم، البناء، التركيب) في دراسته للنحو (عبد القاهر الجرجاني) وذلك من خلال (نظرية النظم) وحديثه عن الفصل والوصل بين الجمل؛ وهو بذلك تجاوز مجرد الإفادة الجزئية إلى النص، أو إلى منظومة الجمل التي تتفاعل وترابط فيما بينها مكونة سياقاً أعم منها وأشمل وأكمل، فلا وجود - موضوعياً - للجملية المستقلة. وهذا هو مستوى الفصاحة المتمثل في القرآن الكريم والشعر وأنواع النثر الفني^(٢)، ويمكننا القول بأن علم النظم عند (عبد القاهر) يعني بدراسة التبعيات القواعدية من حيث علاقتها بالمفاهيم، والعلاقات المتصلة بهذه المفاهيم والكلمات؛ لكونه لم ير الفصاحة إلا في تركيب الكلمات بعضها مع بعض وتأليفها في نسق واحد^(٣).

(١) مازن الوعر: نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة.

(٢) ينظر تفصيل الفصل والوصل عند عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ٢٤٣.

(٣) ينظر تفصيل قضية النظم: السابق نفسه، ص ٨١ - ٨٢.

وقد خصص (دلائل الإعجاز) أبواباً كاملة لمفهوم التضام ومقوماته - وهو ما عرف عند علماء اللغة النصيين بمصطلح (السبك) - من مثل: التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف والإضمار، والعطف وأدواته المختلفة ... إلى غير ذلك من الأبواب التي عرفت بمصطلحات المحدثين من مثل: الإحالة والربط والإعلامية وعالم النص وتأثير السياق وإعادة الصياغة ... إلخ^(١).

(٢) أما البلاغيون فقد اهتموا بعرض تفاصيل دقيقة لأبواب (الحقيقة والمجاز) وعلاقاته التي منها: (علاقة التضاد، والسببية، والمسببية، والآلية، والكلية، والحزئية)، وقد اهتم (عبد القاهر الجرجاني) بهذه العلاقات من خلال عرضه لسبب المجاز^(٢)، وهذه العلاقات هي ما عرفت عند علماء اللغة النصيين بمصطلح علاقات المفاهيم (الحبك Coherence).

(٣) أما النقاد فقد اهتموا بقضية الاقتباس والسراقات (التضمين)، ويعنى بالاقتباس ما يستغله الكاتب من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف مستشهداً به في كتاباته، ومنه قول الحريري: أنا أنبئكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليه.

كما يقصد بـ(التضمين) الأخذ من نصوص الآخرين بوجه عام. ومنه قول الحريري:

على أني سأنشد عند بيعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا

وهو متأثر فيه بقول العرجي:

(١) ينظر تفصيل ذلك: السابق نفسه، ص ١٠٦، ١٤٦، ٢٢٢.

(٢) ينظر تفصيل ذلك: السابق نفسه، ص ٢٩٣ - ٣٠١.

أضاعوني وأى فتي أضاعوا ليوم كرهية وسداد ثغر^(١)

(٤) أما المفسرون فنجد منهم (السيوطي) الذي جعل من مظاهر إعجاز القرآن (التماسك أو الالتئام) وهو الوجه الثالث الذي يعنى به (حسن تأليفه، والتتام كلمه، وفصاحته). ووجهه الرابع «مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني»^(٢)، ونلاحظ هنا مصطلحات التماسك والتلازم (الالتئام)، والمناسبة وجميعها من مصطلحات علم اللغة النصي التي عرفت عند المحدثين. كما تعرض السيوطي لمصطلح (الانسجام Coherence) في قوله: «يكون الكلام، لخلوه من العقادة منحدرًا كتحدر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعدوبة ألفاظه أن يسهل رقة، والقرآن كله كذلك ... وقد جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه»^(٣).

وهذا المفهوم (للانسجام) عند السيوطي يختص بسهولة الألفاظ ورفقتها، وهو يختلف عن مدلول المصطلح عند المحدثين الذي يعنى عندهم العلاقات المنطقية والتصورية التي تربط بين التتابعات النصية.

كما ذكر عن (ابن الإصبع) مائة نوع من بدائع القرآن فيها التكرار، ورد العجز على الصدر، وتشابه الأطراف، والإبدال، وحسن النسق ... وغيرها. وهذه

(١) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط ٣، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٣م، ١٣٧/٦، ١٤٢، د. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط ٥، بيروت، دار الثقافة ١٩٨٦م، ص ٦٢٠.

(٢) السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ٢٦١/٣.

(٣) السابق، ٢٥٩/٣.

تعد من وسائل الترابط^(١). وبالرغم من أن العرب القدماء لم يضعوا نظرية في علم اللغة النصي ولم يصطلحوا عليه في مؤلفاتهم، وإنما جاءت أقوالهم في سياق حديثهم عن دور البلاغة والنحو ومظاهر الإعجاز القرآني ... إلى غير ذلك من الأبواب. إلا أن ملامح هذا الدرس الحديث لا يمكن إنكارها وتحتاج إلى دراسة مفصلة^(٢).

طبيعة النص المحلل:

حرصت على تناول معيار السبك النحوي والمعجمي من خلال تحليل الخطب النبوية لما كان لها من أثر فعال في بناء الدولة الإسلامية ونشر السوعي والثقافة الدينية، في وقت لم يكن فيه معلم للمسلمين سوى رسول الله (ص)، هذا بالإضافة إلى أن الخطب النبوية قد استوفت القواعد العامة للبناء اللغوي والإيقاعي والنحوي والدلالي. وكذلك لأهمية الأفكار والاختيارات التي أراد الرسول (ص) توصيلها إلى المستمعين والمتلقين من توجيه وإرشاد ووعظ وتبليغ لقواعد الدين وأصوله وفروعه ... إلخ.

وقد عرفت الخطابة بأنها «فن مخاطبة الجماهير بطريقة إقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة» هذا التعريف يقوم على عناصر معينة هي:

١- أن يكون الحديث بمخاطبة لجمهور من الناس.

(١) السابق نفسه، ٨٠/٢، د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٨٦/١ بالهامش.

(٢) ينظر ملامح جهود القدماء عند د. عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٠م، ص ٧١ - ٧٢، علم اللغة بين النظرية والتطبيق، ٨٦/١ - ٨٧، ١٣٠/١ - ١٣٣، لسانيات النص، ص ٢٧ وما بعدها، الخصائص اللغوية في الخطابة الدينية، ص ٨ - ١٠.

٢- أن يكون بطريقة إقائية، وهذا يعنى جهازة الصوت وإبداء الانفعال به، وأيضًا من مكملات هذه الطريقة أن تصحبها إشارات باليد أو بغير اليد، كما بيدى الخطيب انفعالاته بما يقول، فكل ذلك يثير السامعين ويوجهه عواطفهم نحوه ويجعلهم أكثر استجابة لرأيه.

٣- أن يكون الحديث مقنعًا بحيث يشتمل على أدلة وبراهين تثبت صحة الفكرة التي يدعو إليها الخطيب، فإذا حلت الخطبة من هذه الأدلة فإنها لا تزيد على أن تكون مجرد إبداء رأى.

٤- أن يتوافر في الخطبة عنصر الاستمالة، وهذا يعنى توجيه عواطف السامعين واستجابتهم للرأى الذى تدعو إليه الخطبة؛ لأن السامع قد يقتنع بفكرة ما، ولكن لا يعنيه أن ينفذها أو أن تتحقق من غيره فلا يسعى لتحقيقها، هذا العنصر من أهم عناصر الخطبة لأنه هو الذى يحقق الغرض المطلوب منها^(١).

فإذا أردنا تصنيف النص المحلل (الخطابة النبوية) فى ضوء معايير تصنيف النصوص عند علماء اللغة النصيين^(٢) وجدناها متمثلة فى النقاط التالية:

- ١- المضمون: ويشار به إلى موضوع النص (نص دينى).
- ٢- الهدف ويشار به إلى الغرض الذى يرمى إليه منتج النص (توجيه ووعظ

(١) د. عبد الجليل شلى: الخطابة وإعداد الخطيب، ط٢، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٩٢م، ١٥/١ - ١٦.

(٢) لمزيد من التفصيل: د. سعيد بحرى: علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات، ص ٦٦ - ٧٠ بتصرف، روبرت دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ٤١١ - ٤١٩، وفولفجانج هاينه من، ديتير فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصى، ص ١٩٩-٢٠٢ بتصرف.

وإرشاد).

٣- السياق: يشار به إلى كل ما يحيط بالنص من مؤثرات تحكم بناءه وصياغته مثل الأوضاع الاجتماعية للمشاركين في إنتاجه وتلقيه وأدوارهم ومكان وزمان النص.

٤- الشكل ويشير إلى شكل النص المُحلَّل وطبيعته وأركانه، فالخطبة الدينية تتكون من ثلاثة أركان (مقدمة وموضوع وخاتمة)، وتشمل الحمد والثناء لله والصلاة على رسول الله (ص) ثم قراءة آية والتعرض لتفسيرها من خلال الموضوع المشار إليه في نص الآية ثم الدعاء للمسلمين والمسلمات. ومثال ذلك خطبته (ص) للجمعة الأولى في المدينة إذ يقول: «الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأؤمن به ولا أكفره، وأعادى من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة، على فترة من الرسل، ... وأوصيكم بتقوى الله، فإنها خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، ...»^(١).

٥- الانفتاح والانغلاق وذلك من وجهين: أولهما الانفتاح من حيث كون الخطب النبوية تعد نصاً مفتوحاً؛ وذلك لكونها موجهة لعدد غير محدد من المتلقين، وقابلة لأن يكون فيها حوار بين النبي (ص) والمستمعين، ومن ذلك خطبته (ص) عند فتح مكة عندما سأل أهل مكة: «ما ترون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيراً؛ أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم

(١) ينظر نص الخطبة كاملاً: الطبرى: في تاريخه، ٢/٣٩٤ - ٣٩٥.

الطلاق»^(١). فقد تعدّد محاوروها، ومن ثمّ فهي نص مفتوح.

ثانيهما: إنها تعد نصّاً مغلقاً^(٢) لأن المنتج فيها واحد هو الرسول (ص) وغالباً ما يكون الموضوع محدد فهو الذى يدور فى فلكه الخطبة ومن ذلك خطبته (ص) لإعلام الناس بأن الله قد فرض عليهم الجمعة من يومهم هذا إلى أن تقوم الساعة يقول: «ألا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا الأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلّوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية، ترزقوا وتزجروا وتنصروا، واعلموا أن الله - عز وجل - قد افترض عليكم الجمعة فى مقامى هذا، فى عامى هذا، فى شهرى هذا، إلى يوم القيامة، حياتى ومن بعد موتى»^(٣).

(١) الباقلاى: إعجاز القرآن، تحقيق أبو بكر عبد الرازق، ط مكتبة مصر، ١٩٩٤م، ص ٩٨.

(٢) وقد فسر د. صلاح فضل مفهوم الانغلاق فى النص بمعنى أنه (النص الذى يكتفى بذاته والمكتمل فى دلالته) - بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢٣٢.

(٣) الباقلاى: إعجاز القرآن، ص ٩٦.

ثانياً: التطبيق

عناصر السبك النصي:

من المتفق عليه عند علماء اللغة النصيين أن السبك النصي يعد من أهم المعايير النصية؛ وذلك لكونه هو السياج والرابط الذى يجمع بين المتفرقات فيجذب بعضها بعضاً فيكون النص؛ ولذلك يصفونه بأنه: «عنصر جوهري في تشكيل النص وتفسيره»^(١). والحق أن هذا المفهوم لم يكن بعيداً عن تناول القدماء، فقد انحوا إلى أن الكلمات والجمل يعلق بعضها ببعض حتى تفيد معنى؛ ولذلك ذهبوا إلى أن الكلام لا يكون مفيداً إذا كان مجتمعاً بعضه مع بعض دون ترابط^(٢)؛ لأنه إذا أصبح الكلام خالياً من السبك أصبح الكلام في حكم الأصوات التى يعنى بها^(٣) على حد قول ابن يعيش؛ ولذلك حصر علماء اللغة النصيون أهمية السبك في: «جعل الكلام مفيداً، وضوح العلاقة في الجملة، عدم اللبس في أداء المقصود، عدم الخلط بين عناصر الجملة، استقرار النص وثباته؛ وذلك بعدم تشتيت الدلالة الواردة في النص»^(٤)؛ وبذلك تظهر أهمية السبك في كون كل جملة تملك بعض أشكاله التى تُربط عادة مع الجملة السابقة أو اللاحقة، وكذلك يجب أن تحتوى كل جملة على رابطة أو أكثر تربطها بما يسبقها أو ما يلحقها^(٥).

ويتحقق السبك من خلال عناصره النحوية والمعجمية التى تؤدى إلى

(١) د. سعيد بحيرى: علم اللغة النصي، المفاهيم والاتجاهات، ص ١٤١.

(٢) د. حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار الشروق، مصر، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٨٢.

(٣) عند القدماء: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ١/٨٣.

(٤) د. صبحى الفقى، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/٧٤.

Halliday and R. Hasan: Cohesion in English, p.324.

(٥)

اتصاف النص بسمة الاستمرارية أى تعاقب الأحداث اللغوية التى نطق بها أو نسمعها فى تتابعها الزمنى، وتتنظم هذه الأحداث تبعاً لمبانيها النحوية ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو (الاعتماد النحوى Grammatical Dependency) ويتحقق فى شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هى: (فى الجملة - فيما بين الجمل - فى الفقرة أو المقطوعة - فيما بين الفقرات أو المقطوعات - فى جمل النص)^(١).

تحتوى عناصر السبك على نوعين: أولاً: عناصر السبك النحوى Grammatical Cohesion ويشمل: (الإحالة Reference - الاستبدال Substitution - الحذف Ellipsis - الربط Junction). وقد أضافت الباحثة معيار التحديد Definiteness؛ اعتماداً على ذكره عند علماء النصيين المتأخرين^(٢).

ثانياً: عناصر السبك المعجمى Lexical Cohesion ويشمل: (التكرار Repetition - المصاحبة اللغوية (التضام) Collocation). وسوف نتعرض لهذه العناصر بشيء من التفصيل مستدلين عليها بنصوص من الخطابة النبوية.

أولاً: عناصر السبك النحوى Grammatical Cohesion

١- الإحالة Reference:

يقصد بها «وجود عناصر لغوية لا تكفى بذاتها من حيث التأويل وإثما تحيل إلى عنصر آخر؛ ولذا تسمى عناصر محيلة مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء

(١) د. سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة فى قصيدة جاهلية، مجلة فصول،

ط١، م١٠، ع٢٠١، يوليو ١٩٩١م، أغسطس ١٩٩١م، ص١٥٤.

(٢) ينظر البحث، ص٣١.

الموصولة ... إلخ»^(١).

وتقسم (الإحالة) عند المحدثين إلى إحالة (خارجية) Exophora، وفيها يحيل عنصر في النص إلى شيء خارج النص يدركه منتج النص ومتلقيه كلاهما، وأخرى (داخلية) Endophora، فتقع داخل النص حيث تنقسم إلى (إحالة قبلية) Anaphora وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدماً عليه. و(إحالة بعدية) Cataphora وفيها يحيل العنصر المتقدم إلى عنصر آخر يلحقه^(٢).

وقد قُسمت عناصر الإحالة إلى:

- ١- شخصية Personal: (أنا، أنت، نحن، هو، هم، ... إلخ).
- ٢- إشارية Demonstrative: (هذا، هؤلاء، أولئك، ... إلخ).
- ٣- مقارنة Comparative: (أفضل، أكثر، ... إلخ)^(٣).
- ٤- الموصولات Relative: وقد عدّها د. تمام حسان من عناصر الإحالة مستشهداً عليها بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (الأعراف ١٥٧)، فالاسم الموصول (الذي) قد قوى المعنى؛ وذلك بإحالته السابقة إلى (الرسول النبي)؛ لكون المراد وصف الرسول بأنه مكتوب في التوراة^(٤).

(١) د. محمد خطايب: لسانيات النص، ص ١٦ - ١٩.

(٢) Baalbaki, Ramzy Monir: Dictionary of Linguistics Terms, p. 421.

والخصائص اللغوية في الخطابة الدينية، ص ٣٨.

(٣) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 40.

وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/١١٦.

(٤) البيان في روائع القرآن، ط عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٣١ - ٣٢.

كما أُحيل إليه بالعائد الضمير في (يجدونَه)؛ وبذلك يكون للموصول
إحالتان قبلية وبعدية.

والحق أن العرب لم يكونوا غافلين عن أهمية العناصر الإحالية، ولا سيما الضمائر
مذكورة أو محذوفة، إلا أن المقام لا يتسع لعرض جهودهم^(١).
فإذا تأملنا نصوص الخطابة النبوية لاحظنا توفر عناصر الإحالة بأقسامها
المختلفة وإليك الأمثلة:

(أ) من خطبته (ص) الأولى في مكة عندما دعا قومه: «إن الرائد لا يكذب أهله،
والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله
الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة»^(٢).

نلاحظ توفر الإحالة الداخلية في تاء المتكلم في (غررت - كذبت)، والضمير في
(إني) إلى إحالة قبلية مرجعيتها إلى (رسول الله)، وإحالة الضمير (كم) إحالة قبلية
ومرجعيتها إلى (أهله)، وهناك إحالة الضمير المستتر في (يكذب) والظاهر في (أهله)
محيلان إحالة قبلية إلى محيل واحد هو (الرائد).

أما إحالة الموصول فقد وجدت في قوله (ص): «والله الذي لا إله إلا هو»

(١) ينظر تفصيل أهمية الضمائر: سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط الهيئة
المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ٨٤/١، ٨٧، ٨٨، السيوطي: الإتيان في علوم القرآن،
٢٨١/٢ وما بعدها، ابن هشام: مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المدني،
٤٩٨/٢ - ٥٠٠.

(٢) د. أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ط المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ت،
١٤٧/١.

وهى إحالة قبلية للفظ الجلالة المتقدم، وكذلك وُجد (هو) الذى يحيل إلى لفظ الجلالة أيضاً.

ومن عناصر السبك المتوفرة فى النص الحذف فى قوله: «إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة» حيث حذفت الجملة المتصدرة من التركيب الثانى اعتماداً على ذكرها فى التركيب الأول (إنى لرسول الله)، وهذا أدى إلى الإيجاز وحسن السبك مع تحقيق هدف المخاطب، وهو أنه مرسل من عند الله إلى الناس كافة وإلى قومه خاصة.

كذلك وجد التكرار التركيبى فى تماثل الجمل بين (لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم)، و(لو غررت الناس جميعاً ما غررتكم). والتكرار اللفظى بين (جميعاً) و(جميعاً). كذلك وُجد من عناصر المصاحبة اللغوية علاقة التضاد بسين (كافة) و(خاصة)؛ وبذلك تنوعت عناصر الإحالة النحوية، والمعجمية؛ مما أدى إلى سبك النص وتماسكه.

(ب) قوله (ص) فى خطبته فى أول جمعة خطبها بالمدينة «فإنه من يصلح ما بينه وبين الله...؛ يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه»^(١).

☆ فعنصر الإشارة (ذلك) قد أحيل إلى محيل قبلى، هو أن من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله شر الناس.

☆ أحيل الاسم الموصول (مَنْ) إلى محيل قبلى، وهو الضمير فى (إنه)، ومحيل بعدى فى الضمير المستتر فى (يصلح) هو.

☆ أحيل بالضمير فى (يكفه) إلى محيل قبلى، هو الهاء فى (إنه)، ومحيل بعدى

(١) الطبرى فى تاريخه، ٣٩٥/٢، جمهرة خطب العرب، ١/١٤٩.

يؤكدده في (بينه) ومثله أحيل الضمير المستتر (هو) في يقضى إلى لفظ
الجلالة المتقدم وهي إحالة قبلية.

☆ أحيل الضمير (واو الجماعة) في (يقضون) إلى لفظ (الناس) المتقدم.
كذلك وجد من عناصر الحيك الدلالي علاقة السببية المتمثلة في قوله
(ص): «من يصلح ما بينه وبين الله» فتكون النتيجة «يكفه الله ما بينه وبين
الناس».

من عناصر السبك النحوى الإحالة بـ(أفعل التفضيل):

كما تعد ألفاظ المقارنة من عناصر الإحالة النحوية، وتنقسم إلى عامة
يتفرع منها التطابق (ويتم باستعمال عناصر مثل: same)، والتشابه (وفيه تستعمل
عناصر مثل: similar)، والاختلاف (باستعمال عناصر مثل: otherwise,
other)، وإلى خاصة تتفرع إلى كمية (تتم بعناصر مثل more)، وكيفية (أجمل
من، جميل مثل ...). أما من منظور السبك فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء
الإشارة في كونها نصية، وبناء عليه فهي تقوم، مثل الأنواع المتقدمة لا محالة بوظيفة
اتساقية تماسكية^(١) ومثال ذلك قوله (ص): «إن أحسن الحديث كتاب الله، قد
أفلح من زينته الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على سواه من
أحاديث الناس، إنه أصدق الحديث، وأبلغه»^(٢).

فضلاً عن توفر عناصر السبك بإحالة الضمير في (زينته واختاره وأصدقه وأبلغه)
إحالة قبلية مرجعيتها إلى (الكتاب). وإحالة الهاء في (قلبه وأدخله) ومرجعيتها إلى
الذى أسلم (من). فقد وجدت الإحالة باسم التفضيل في قوله (ص): (أحسن) التي

(١) د. محمد خطايي: لسانيات النص، ص ١٩.

(٢) الباقلائي: إعجاز القرآن، ص ٩٦.

تُحيل إلى ما بعدها (كتاب الله) و(أصدق) الخيلة إلى (الحديث) إحالة بعدية، و(أبلغه) الخيلة إلى (الحديث) من خلال الضمير (الهاء). هذا فضلاً عن وجود علاقة التضاد بين: (الإسلام والكفر)، وكذلك شبه الترادف بين (أصدق وأبلغه) ولاشك في تضافر تلك العوامل في سبك النص وانسجامه. وقد تعددت الإحالات بأنواعها المختلفة، ومن ذلك خطبة النبي (ص) في أول جمعة بالمدينة إذ يقول: «ألا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا الأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية، تُرزقوا وتُجرروا وتُنصروا. واعلموا أن الله - عز وجل - قد افترض عليكم الجمعة في مقامى هذا، في عامى هذا، في شهرى هذا، إلى يوم القيامة، حياتى ومن بعد موتى؛ فمن تركها وله إمام، فلا جمع الله له شمله، ولا بارك الله في أمره، ألا ولا حج له ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقة له، ألا ولا بر له، ألا ولا يؤم أعرابى مهاجرًا، ألا ولا يؤم فاجر مؤمنًا، إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه»^(١).

فمن عناصر الإحالة الموجودة في النص ما يلي:

- أ- إحالة الأسماء غير المحددة (الناس، أعرابى، فاجر، إمام، سلطان).
- ب- إحالة الضمير (واو الجماعة) في (توبوا، بادروا، تشغلوا، صلوا). و(كاف الخطاب) في (بكم، ذكركم) وجميعها يحيل إلى (الناس) إحالة قبلية.
- ج- إحالة الإشارة في (قد افترض عليكم الجمعة في مقامى هذا، في عامى هذا، في شهرى هذا) وهى إحالة قبلية ومرجعيتها إلى (المقام، العام، الشهر) الذى يتحدث فيه رسول الله (ص)، المعلوم لجمهور المخاطبين،

(١) الباقلاى: إعجاز القرآن، ص ٩٦، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٣.

والذى يعد إحالة خارجية.

د- إحالة الموصول فى قوله: (صلوا الذى بينكم وبين ربكم) وهى إحالة بعدية داخلية راجعة إلى (كثرة الذكر والصدقة فى السر والعلن).

هـ- إحالة الاسم الموصوف مثل (الأعمال الصالحة).

و- إحالة الاسم المخصص بالإضافة (حياتى وموتى).

هذا بالإضافة إلى الحبك الدلالى المتمثل فى علاقة التضاد بين (السر والعلانية)، (فاجر ومؤمن). وعلاقة شبه الترادف فى (ترزقوا، تؤجروا). ومن خلال تلك النظرة إلى عناصر الإحالة يمكننا جعل كل ما من شأنه تفسير لسابق أو توضيح للاحق فى المتتاليات النصية عنصراً من عناصر الإحالة داخل النص؛ ومن ثمَّ يعد تعدد صور الإحالة وسيلة من وسائل دعم التماسك النصى، الذى يسؤدى إلى التواصل بين المنتج والمستقبل؛ وذلك لما تؤديه من سبك المتتاليات الجمالية والمفردات وربطها معاً فى إطار موحد يمثله النص.

٢- الاستبدال Substitution:

يعد الاستبدال من أهم عناصر التماسك والسبك النصى، ويعرفه النصيون بقولهم: «هو إحلال عنصر لغوى مكان عنصر آخر داخل النص»^(١). ويسمى التعبير الأول من التعبيرين (المنقول) المستبدل منه والآخر الذى حل محله المستبدل به وإذا وقع المستبدل منه والمستبدل به فى مواقع نصية متوالية فإنهما يقعان - حسب هارفيج - فى علاقة استبدال نحوية بعضهما ببعض. ويوجد فى حالة الاستبدال النحوى بين المستبدل به والمستبدل منه مطابقة إحالية^(٢).

(١) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 88.

(٢) فولفانج هانيه من، ديتير فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصى، ص ٢٧، ٢٨، =

بالإضافة إلى ما سبق هناك حقيقة أخرى تؤكد مساهمة الاستبدال في سبك النص وهي استحالة فهم ما يعنيه so أو do أو one كعناصر مستبدلة إلا بالعود إلى ما هي متعلقة به قبلياً، وفي هذا العود يكمن ما يسمى لدى هاليداي ورقية حسن معنى الاستبدال: ينبغى البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذى يملأ هذه الثغرة في النص السابق أى أن المعلومات التى تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالى توجد في مكان آخر في النص^(١).

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن القدماء لم يلتفتوا إلى هذا النوع من الاستبدال، وإن كانوا تحدثوا عن الإبدال النحوى، والإبدال بين الحروف بعضها ببعض، والكلمات بعضها ببعض على اختلاف لهجات القبائل^(٢)، وهو يختلف عن المفهوم الذى عرف به عند النصيين، وإن كنا لا نعدم شواهدة فقد ذكره ابن هشام في سياق الحديث عن لفظ (كذا) حيث يقول: «ترد على ثلاثة أوجه، أحدها: أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما وهما كاف التشبيه وذا الإشارية كقولك: رأيت زيداً فاضلاً ورأيت عمراً كذا...»^(٣).

فلاحظ العنصر المستبدل به (كذا) والمستبدل منه (فاضلاً)، وكأن الكلام "رأيت زيداً فاضلاً ورأيت عمراً فاضلاً"، إلا أن ابن هشام لم ينص على اصطلاحه بما

=ورنسيسلاف اورزيناك: مدخل إلى علم النص، ص ٦١.

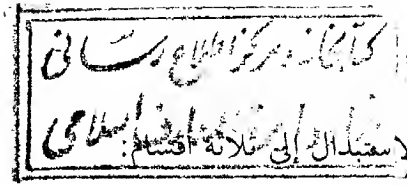
(١) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 88.

ود. محمد خطاي: لسانيات النص، ص ٢٠، ٢١.

(٢) انظر الفرق بين الاستبدال عند النصيين ومفهوم لإبدال عند العرب: د. صبحى الفقى:

علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ٢/٢٠٠ - ٢٠١.

(٣) ينظر المعان المختلفة لـ(كذا). معنى اللبيب، ١/١٨٧.



عرف به عند المحدثين.

ويقسم علماء اللغة النصيون الاستبدال إلى ثلاثة أقسام: (أ) استبدال اسمي Nominal Substitution: وفيه تستبدل الكلمات " same, ones, one" (١) من أسماء أخرى متقدمة عليها في النص نفسه، ويقابلها في العربية الكلمات "آخر، أخرى، وواحد وواحدة". ويمكن أن يكون اسم الإشارة مستبدلاً لعنصر آخر متقدم عليه، ومنها خطبته (ص) في مرض موته: «ألا وإن أحبكم إلى من أخذ مني حقاً إن كان له، وحللتني فلقت ربي وأنا طيب النفس وقد أرى أن هذا غير مغن عني حتى أقوم فيكم مرارا» (٢)، فقد استبدل اسم الإشارة من المستبدل منه الجملة المتقدمة عليه (إن أحبكم ... طيب النفس). ومن اللافت للنظر هنا وجود تداخل بين الإحالة والاستبدال في (هذا)؛ فهو عنصر مستبدل به كما أنه من عناصر الإحالة؛ ومن ثمّ فهناك بعض حالات السبك النصي يمكن تفسيرها بوسيلتين من وسائل السبك في آن واحد إذا تداخلت سمات كل منهما مع الأخرى. إلا أن هناك فرقاً بين الاستبدال والإحالة، فالاستبدال لا يقع إلا داخل النص على حين تقع الإحالة داخل النص وخارجه، والاستبدال يعد علاقة على المستويين النحوي والمعجمي، بينما الإحالة تعد علاقة على المستوى الدلالي، هذا بالإضافة إلى أن العناصر المستبدلة يشترط اشتراكها فيما بينها في البنية الوظيفية على حين لا يشترط ذلك في الإحالة (٣).

(١) لسانيات النص، ص ٢٠.

(٢) تاريخ الطبري، ٣/١٨٩ - ١٩٠، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

(٣) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 89.

خصائص اللغوية في الخطابة الدينية في العقدين الأخيرين، ص ٤٨ وما بعدها.

(ب) استبدال فعلى Verbal Substitution: وفيه يحل فعل محل فعل آخر متقدم عليه، ويمثله في الإنجليزية (do) بصيغه المختلفة، وفي العربية مسادة (فعل) بصيغتها المختلفة، ومنه قوله (ص) في خطبة الوداع: «لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنتكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن...»^(١). فالعنصر المستبدل به (فعل) قد حل محل الأفعال الثلاثة السابقة عليه (يوطئن - يدخلن - يأتين). هذا فضلاً عن توفر عناصر الإحالة من خلال مرجعية الضمير المخاطب في (فرشكم - غيركم - بيوتكم...) محيلة إلى الاسم الظاهر (الناس). هذا بالإضافة إلى بلاغة الإيجاز والقصر في استعمال النفي والاستثناء وما أفاده من تخصيص.

(ج) الاستبدال العبارى Clausal Substitution: وفيه يتم إحلال عنصر لغوى محل عبارة داخل النص بشرط أن يتضمن العنصر المستبدل به محتوى العبارة المستبدل منها^(٢). وتمثله في الإنجليزية الكلمات so, not، ومنه قوله (ص) في خطبته الأولى بالمدينة: «فمن استطاع أن يقى وجهه من النار، ولو بشق من ثمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة»^(٣). فالعنصر (ليفعل) حل محل الجملة المتقدمة عليه وكان الأصل (فَلْيُقِ وجهه من النار، ولو بشق ثمرة) وأكد ذلك الجملة الواقعة بعدها (من لم يجد فبكلمة طيبة) أى: فليق وجهه بكلمة طيبة؛ لأن الكلمة الطيبة صدقة.

(١) إعجاز القرآن للباقلان، ص ٩٧، تاريخ الطبرى، ١٥١/٣، جمهرة خطب العرب، ١٥٧/١.

(٢) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 130. (٢)

(٣) جمهرة خطب العرب، ١٤٨/١.

فهناك تداخل بين الاستبدال والحذف، فمن الباحثين من جمع بينهما، ومنهم من فصل^(١)؛ ولذلك جاء الحديث عن الاستبدال مجملاً تارة ومفصلاً تارة أخرى. ومهما يكن من أمر فهذا الخلاف لا يقلل من أهميته في السبك النصي حيث يدعم عملية السبك النحوي داخل النص، إذ يقوم العنصر المستبدل به بالدور الذي يؤديه العنصر المستبدل منه، وهذه الاستمرارية في الأدوار في سياق البناء اللغوي للنص تمنحه قوة السبك.

٣- الحذف Ellipsis:

يندرج الحذف ضمن عناصر السبك النحوي، وترد أهميته بعد الإحالة والاستبدال، وإن كان أكثر وقوعاً في اللغة؛ حيث يميل المستعملون لإسقاط بعض العناصر من الكلام اعتماداً على فهم المخاطب تارة ووضوح قرائن السياق تارة أخرى^(٢). وفيه يحذف عنصر أو أكثر من كلام تالٍ اعتماداً على ذكر هذا العنصر في كلام سابق. ويعرفه علماء اللغة النصيون بأنه: «اعتداد بالمبنى العدمي أو ما يسمونه Zero Morpheme، فالبنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالباً بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللغة العادي»، ومنه قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ...﴾ (آل عمران ١٨) فلا بد من فهم (وشهد

(١) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p.88 - 141.

ود. تمام حسان: النص والخطاب والإجراء، ص ٤٣٠ ود. صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ١٩٩/٢ - ٢٠١.

(٢) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ١٤٦، ٢٤٣، طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ت، ص ١٤٤ - ١٤٦.

الملائكة وشهد أولوا العلم) بدليل ما في آخر الآية من قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ولولا هذا الفهم لجعلنا الملائكة وأولى العلم آلهة مع الله سبحانه وتعالى، وهذا إفساد لدلالة النص^(١).

ويشترط في الحذف إحاطة متلقى النص بمكونات السياق اللغوى والاجتماعى المصاحب له؛ ليتمكن من تقدير العنصر المحذوف تقديراً صائباً. كما يشترط أن يكون العنصر المحذوف من نفس مادة المذكور قبلاً؛ ومن ثمَّ عده بعض الناصيين متداخلاً مع الإحالة القبلية إلا أن ذلك يكون بعنصر صفرى^(٢)، وكذلك اشترطوا أيضاً وجود الدليل على المحذوف^(٣).

وقد تعددت العناصر المحذوفة في خطب رسول الله (ص) فنجده قد حذف الحرف والكلمة (اسماً أو فعلاً) والجملّة والعبارة ... إلخ، وكان في ذلك (ص) ممثلاً البلاغة النبوية والفصاحة العربية في الإيجاز والاختصار، وإليك الأمثلة:

١- خطبته (ص) في أول جمعة جمعها بالمدينة: «خذوا بحظكم، ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله؛ ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين»^(٤). فقد حُذِفَت (اللام) من (يعلم) الثانية اعتماداً على ذكرها أولاً.

٢- قوله (ص) في خطبته يوم فتح مكة: «يا معشر قريش (أو يا أهل مكة) ما

(١) د. تمام حسان: النص والخطاب والإجراء، ص ٣٤.

(٢) لسانيات النص، ص ٢١ - ٢٢.

(٣) ينظر تفصيل ذلك عند د. صبحى الفقى: علم اللغة النصى بسين النظرية والتطبيق،

١٩٢/٢.

(٤) تاريخ الطبرى، ٣٩٥/٢، جمهرة خطب العرب، ١٤٩/١.

ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١). فقد حذف لفظ (فاعل) من العبارة (قالوا: خيرًا) والتقدير (فاعل خيرًا)، والذي أجاز ذلك ذكره سابقًا. كما أن هناك عنصرًا آخر حُذِفَ من الجملة، وهو (أنت) من جملة (أخ كريم) أي (أنت أخ كريم)؛ والذي دل على ذلك سياق الكلام. وقد أكد علماء اللغة النصيون كثرة وقوع الحذف في سياق الاستفهام حتى قيل: إنه الأصل^(٢).

٣- قوله (ص) في خطبة حجة الوداع: «أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحلٌ لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد»^(٣). فقد حذف لفظ (أخذ) من قوله (ص): (لا يحل لامرئٍ مسأل أخيه) والمراد (أخذ مال أخيه)؛ لأن المال لا يوصف بالحل والحرم، وإنما المراد غصبه أو أخذه بغير وجه حق. كما أن هناك حذفًا عباريًا من جملة (اللهم اشهد) والتقدير (اللهم اشهد أني قد بلغت).

٤- قوله (ص) في خطبة الوداع: «وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا: نعم، قال: فليبلغ الشاهد الغائب»^(٤). فالعنصر الفعلي قد حذف من عبارة (قالوا: نعم) والمراد

(١) إعجاز القرآن، ص ٩٨، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٤.

(٢) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p.144 - 145.

لسانيات النصر ص ٢١ - ٢٢.

(٣) إعجاز القرآن، ص ٩٧، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٧.

(٤) السابقان، ص ٩٧، ١/١٥٧.

(نعم بلغت)، كما حُذِفَ شبه الجملة (منكم) من عبارة (فليبلغ الشاهد الغائب)، والتعبير بتمامه (فليبلغ الشاهد منكم الغائب)، ومثله حذف شبه الجملة من قوله (ص): «ألا وإنَّ أحبكم إلى من أخذ مني حقاً - إن كان له - وحللتني، فلقيت ربي وأنا طيب النفس»^(١). فقد حذف شبه الجملة من (حللتني)؛ فيكون النص بتمامه (حللتني منه) اعتماداً على قوله (ص) (أخذ مني حقاً)، وهذا هو دليل الحذف.

٥- قوله (ص) في أول خطبة له بمكة عندما دعا قومه: «والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة»^(٢). فالعنصر المحذوف هنا جملة جواب القسم من قوله: (إلى الناس كافة)، فالنص بتمامه (إني لرسول الله إلى الناس كافة)، وقد أجازته ذكر جواب القسم سابقاً.

ومن خلال أمثلة الخطب السابقة يتبين أن السبك في الحذف يقوم على محورين أساسيين:

أولهما: التكرار لكون المحذوف يشتق من مادة المذكور غالباً أو من معناه أو مما يتعلق به. ثانيهما: المرجعية في كون المحذوف غالباً يقع في التركيب الثاني، ويجمل بمرجعيته إلى ما سبق ذكره، فهي مرجعية قبلية كثيراً وبعدية قليلاً، ولاشك أن هاتين الوسيلتين من وسائل السبك النصي^(٣).

وتظهر أهمية الحذف أيضاً من خلال اشتراك تراكيب ظاهر النص في مكوناته البنيوية، ويعتمد في ذلك على الإشارات اللاحقة، حيث ترد البنية بتمامها قبل

(١) تاريخ الطبري، ٣/١٨٩ - ١٩٠، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

(٢) جمهرة خطب العرب، ١/١٤٧.

(٣) د. صبحي الفقى: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٢/٢٢١.

ورود البنية التي وقع فيها الحذف. وينبغي أن يكون بالإمكان استرجاع البنية الكاملة في مثل هذه الحالات^(١)؛ ليتحقق للمتلقى الإفادة الكاملة من فهم النص بتمامه لإنجاح عملية التواصل بينه وبين المرسل.

٤- الربط Junction:

لما كان النص مجموعة من الجمل المتتالية المتعاقبة أفقيًا، وجب أن تكون هذه الجمل مترابطة فيما بينها حتى تصير نصًا متماسكًا، وهذه الروابط تتنوع عند علماء اللغة النصيين إلى أربعة أقسام:

أ- إضافي Additive: ويمثله الأداة (و، أو)، والتعبيرات (بالمثل، أعني، كذلك، فضلاً عن ذلك، بالإضافة إلى ذلك، مثلاً، نحو)، وهذه الروابط تضيف معنى التالي إلى السابق، وقد أطلق عليه د. تمام حسان (الربط الجمعي) منعاً للبس بينه وبين مصطلح الإضافة في العربية، كما فصل بينه وبين التخيير Disjunction، والذي من أدواته (or - else - or either ... إلخ)، ويمثلها في العربية (أو، إما)^(٢).

ب- العكسي Adversative: ويفيد أن الجملة التابعة مخالفة للمتقدمة، ويمثله في الإنجليزية (but, yet) وتعابير (nevertheless, however). ويمثله في العربية حرف الاستدراك (لكن وأخواتها) (بيد أن، غير أن، وأما)، والتعبيرات (بخلاف ذلك، وعلى العكس، وفي المقابل ... إلخ).

ج- السببي Casual: ويراد به الربط المنطقي بين جملتين أو أكثر، ويمثله العناصر (لذلك، من أجل، لأن، ل، لكي)، وقد عرفه بعض الباحثين

(١) د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص ١٠١.

(٢) د. تمام حسان: النص والخطاب والإجراء، ص ٣٥.

بـ (الاتباع) وآخرين^(١) بـ (التفريع) Subordination.

د- الزمني Temporal: هو علاقة بين جملتين متتابعين زمنياً، ويمثلها في الإنجليزية لفظ (Then)^(٢). ويمثلها في العربية الأدوات (ف، ثم، و، بعد، قبل، منذ، كلما، بينما في حين...)، ونلاحظ من خلال عرض النصيين للروابط النصية أنها تشتمل على أدوات رابطة وتعبيرات تؤدي مؤدى هذه الأدوات وإن كانت ليست منها، والأمر في العربية يختلف؛ فعندنا حروف العطف هي الروابط الحرفية، وما عداها تعد عبارات تدخل في كونها نتيجة للحملة السابقة، وهذه تسمى (أنماط رابطة).

وهناك تصنيف آخر لعلماء اللغة النصيين يتمثل في تقسيمه إلى ربط نسقي Coordinating Junction وربط اتباعي Subordinating Junction، ويشار بالنوع الأول إلى حالات الربط بواسطة كلمات يشترك طرفا العطف فيها - المعطوف والمعطوف عليه - في الرتبة ويمثلها حالات الربط بالواو و(لكن وبل... إلخ) من تلك الروابط، أما النوع الآخر فيشار به إلى حالات الربط التي يتبع أحد طرفي العطف فيها الطرف الآخر ولكنهما لا يشتركان في الرتبة، ويمثلها الربط بالكلمات (ومن ثم، ولذا، ولذلك... إلخ)^(٣).

(١) د. تمام حسان: السابق نفسه، د. إلهام أبو عزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص ١٠٧.

(٢) لسانيات النص، ص ٢٣ - ٢٤، د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٢٥٩/١.

(٣) Baalbaki, Monir: Dictionary of Linguistics Terms, p. 126.

والخصائص اللغوية في الخطابة الدينية في العقدين الأخيرين، ص ٦٨.

ويمتاز الربط عن باقى عناصر التماسك بكونه لا يبحث عن مرجعية فى السابق عليه أو اللاحق له مثلما كان الحال فى الإحالة، أو يحتاج إلى تقدير محذوف حتى تكتمل سلسلة المتتابعات النصية. وإنما تقوم علاقة الربط أصلاً على أدوات تجمع بين جملتين فى المتتالية النصية لإفادة التماسك بينهما. وهذه العلاقات متنوعة؛ ومن ثم نص المحدثون على صعوبة حصر أدوات الربط فى لغة ما^(١). إلا أن الأمر يختلف فى العربية؛ لكون أدوات الربط اللفظية محدودة ويمكن حصرها فى أى خطاب؛ ومن ثم ستناول بعض نصوص الخطابة النبوية مبيينين أثر تلك الروابط فى السبك النصي. هذا بالإضافة إلى أنه يوجد فى العربية ربط بدون الأداة وهو ما يعرف بالربط الإسنادى (المعنوى)، وسنمثل له بعلاقى النعت والإسناد، وإليك النصوص.

أولاً: الربط اللفظي:

(١) خطبته (ص) التى خطبها بمكة حين دعا قومه إذ يقول: «والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبدأ أو لنار أبدأ»^(٢)، وخطبته (ص) فى حجة الوداع إذ يقول: «من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(٣).

فتأمل النص الأول يتبين رابط الواو فى الجمع بين جمل جواب القسم الثلاث (لتبعثن، لتحاسبن، لتجزون)، وهن معطوفات على جملة جواب القسم الأولى: (لتموتن كما تنامون). كما جمعت (الواو) بين المتضادين فى العمل

(١) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p.242 - 243.

(٢) جمهرة خطب العرب، ١/١٤٧.

(٣) تاريخ الطبرى، ٣/١٥١، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

والعقاب (بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً)، وكذلك جاءت (أو) التخيرية لتفيد أن نهاية الإنسان إما الجنة وإما النار تبعاً لعمله؛ وذلك في قوله: (وإنها لجنة أبدأ أو لنار أبدأ)؛ وبذلك تكون (الواو) قد أفادت المشاركة بين المتتاليات. على حين دلت (أو) على التخير، وكلاهما أدى إلى ربط الجمل بعضها ببعض؛ ومن ثم تحقق السبك.

أما في النص الثاني فجاء الرابط (أو) لمعنى الجمع المطلق، وهى في ذلك^(١) تؤدى مؤدى الواو في (الادعاء لغير أبيه أو الموالة لغير وليه)، وكلاهما يؤديان معنى واحداً، ثم جاء رابط الفاء لبيان نتيجة ما يترتب على هذا العمل، وهو استحقاق اللعنة من الله والملائكة والناس؛ وذلك من خلال تتابع المعطوفات بـ(السواو) والجمع بينها لإفادة دلالة المشاركة؛ وبذلك توافرت أنواع الروابط المختلفة في النص (الواو - الفاء - أو)، كما تنوعت الدلالات التي أفادتها؛ ومن ثم تعد هذه الروابط عناصر بنوية ودلالية لما لها من أثر بالغ في سبك النص والتحام أجزائه وترايط جملة.

(٢) خطبته (ص) يوم أحد إذ يقول: «أيها الناس أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه، من العمل بطاعته، والتناهى عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنسزل أجر وذخر لمن ذكر الذى عليه، ثم وطن نفسه على الصبر واليقين، والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم له على رشده»^(٢).

نلاحظ وجود رابط (الواو) وجمعه بين المتتاليات النصية في (العمل بطاعته، والتناهى عن معصيته)؛ فبالرغم من المقابلة إلا أن المراد منهما شىء واحد هو

(١) ينظر معاني (أو) ابن هشام: معنى اللبيب، ٦٢/١.

(٢) جمهرة خطب العرب، ١٤٩/١، ١٥٠.

صلاح العباد المتحقق في طاعة الله وما يستلزمها من البعد عن معصيته. كما ورد الرابطة (ثم) بعده مباشرة؛ ليدل على الانتقال الزمني من شيء إلى آخر في إدراك العبد لما حوله من المتع، وما يتبع ذلك من توطين نفسه على الصبر واليقين والجد والنشاط وما يلزم ذلك من جلدٍ لمجاهدة الشيطان؛ لكونها لا تتحقق إلا لمن أوتى سبل الرشاد والفلاح، وقد تبين ذلك من خلال الربط بالفاء وما لها من معنى الترتيب والتعقيب^(١).

(٣) خطبته (ص) في حجة الوداع إذ يقول: «فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها... أيها الناس: إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله»^(٢)، وقولته: «واعملوا لما بعد اليوم فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس»^(٣).

فقد توفرت في النص عدة أشكال من الروابط النصية السببية منها:

أ- (الفاء) في الجمع بين الشرط وجوابه فيما وجهه (ص) من الأمر بضرورة التزام الأمانة ووجوب أدائها إلى من ائتمنه.

ب- (لام التعليل) في جمعها بين السبب والغاية في بيان موقف أهل الجاهلية في عملهم بـ(النسيء) حيث كانوا يبادلون بين الأشهر وذلك تحايل منهم على استمرار القتال خلال الأشهر الحرم؛ ولذلك بين لهم المصطفى أن النسيء زيادة في الكفر وأن الزمن قد استدار فعليهم اتباع الترتيب الزمني

(١) ينظر معاني (الفاء) ابن هشام: معنى اللبيب، ١/١٦١، ١٦٢.

(٢) إعجاز القرآن، ص ٩٧، تاريخ الطبري، ٣/١٥١، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

(٣) تاريخ الطبري، ٢/٣٩٥، جمهرة خطب العرب، ١/١٤٩.

الطبيعى، وقد ظهر ذلك من خلال الربط بالواو بين الجمل المتعاطفة.
وكذلك اللام فى (ليواطئوا عدة ما حرم الله).

ج- ففضلاً عن توفر الروابط الإضافية والتعاقبية من (الواو والفاء) فى النص الثانى، نلاحظ وجود الرابط (بعد)؛ وما له من دلالة الزمن المتمثلة فى كون الإنسان يعمل لما بعد الموت. وإن كانت العربية لا تعد هذه من الروابط، وإنما تجعلها من الظروف إلا أنها قد أفادت الجمع بين الجملتين المتقدمة والتالية لها وتوضيح ما بينهما من ترتيب زمنى.

(٤) خطبته (ص) فى حجة الوداع إذ يقول: «وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ... أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم»^(١).

فقد توافر فى النص السابق أمثلة للربط التعاكسى وذلك من خلال الأداة (غير)؛ إذ بينت أن جميع مآثر الجاهلية موضوعة إلا خدمة البيت وسقاية الحجيج، فهما من الخصال المحمودة التى حرص عليها الإسلام ودعا إليها، والتعاكسى هنا بمعنى أن الجملتين متخالفتان، فالأولى تحقر وتستبعد كل مآثر الجاهلية، أما الثانية فتمجد وتعظم منها السدانة والسقاية.

أما الأداة (لكن) فى النص الثانى فقد بينت أن الشيطان بالرغم من يأسه أن يعبد فى مكة إلا أنه قد ارتضى منهم (أهل مكة) اقترافهم الآثام ولو فى محقرات الذنوب؛ ويكون المراد تنبيههم على ضرورة الابتعاد عن الصغائر والمحقرات من الذنوب؛ لأن ذلك مدخل من مداخل الشيطان.

ونستنتج من خلال التحليل للنصوص السابقة أن أدوات الربط فى العربية تختلف

(١) تاريخ الطبرى، ٢/١٥٠، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

شيئاً ما عنها عند النصيين، فلاشك في أهميتها في سبك النص شكلياً، وقد تحقق ذلك من خلال الأدوات المتنوعة بين (الواو والفاء وثم وأو)، أو من خلال الربط المنطقي بين السبب والنتيجة والممثل له بلام التعليل والفاء الواقعة في جواب الشرط أو الرابطة بين المبتدأ والخبر إذا كان المبتدأ بمعنى الاسم الموصول. وهذا لا يمنع من وجود أمثلة كثيرة تُربط ربطاً منطقياً (بدون الأداة)، حيث يقوم المتلقى بتفسير النص تبعاً لمتطلبات السياق. كما وجد الرابط الاستدراكي وما يؤديه من جمع بين المتخالفين.

وقد حاول بعض الباحثين النصيين حصر الدلالات التي تفيدها عناصر الربط في السبك، فحضور الروابط مقيد بالخلاف بين الجملتين أو المقطعين المتصلين أو المتباعدين - ومصطلح الخلاف يجمع عدداً من الوجوه:

☆ تعاقب في الذكر (و / أو).

☆ تعاقب على أساس السببية: النتيجة تعقب السبب.

☆ تعاقب على أساس إضافة عنصر إخباري جديد.

☆ تعاقب على أساس التردد أو التذكير.

☆ تعاقب يجمع نظرياً هذه الوجوه كلها أو بعضها، أو بعضها مع غيرها.

☆ تعاقب على أساس البيان وهو أمر يكثر في الجمل الاعترافية المفسرة^(١).

ويلخص البحث هذه الوجوه في قاعدة مضمونها أن كل جملتين متتاليتين

في النص، ثانيهما تخالف الأولى، ترتبطان بأداة ربط.

(١) الأزهر الزناد: نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ص٥٦،

٥٧، د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/٢٦٣.

ثانياً: الربط المعنوي:

(أ) النعت:

يعد القدماء النعت من الروابط المعنوية، فبالرغم من أنه لا يعتمد على رابط ملفوظ يجمع بين النعت والمنعوت، إلا أن الربط بينهما متحقق في علاقة الإسناد الذهنية الجامعة بينهما، والتي تجعل الاسم بمنزلة الجزء من الأول؛ ولذلك يوجد بين العنصرين من شدة السبك والاتحام ما يوجد بين المسند والمسند إليه، والتوكيد والمؤكد، والمضاف والمضاف إليه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآلِي مُسْتَكْبِرًا كَانَتْ لَمْ يَسْمَعُهَا كَانَتْ فِي أُذُنِهِ وَقَرَأَ﴾ (لقمان ٧). فالجملتان (كان لم يسمعها، كان في أذنيه وقراً) نعت لما قبلهما وبينهما من شدة السبك ما لم يحتاج إلى رابط لفظي، وهذا ما عرف عند القدماء (بكمال الاتصال)^(١).

وقد زعم أحد الباحثين المحدثين أن النصيين لم يجعلوا النعت من عناصر الإحالة^(٢)، على حين اقتصروا على الاستبدال والعطف. وهذا زعم غير متحقق؛ لكون النصيين قد ذكروا (الإحالة بالتبعية) ضمن عناصر الإحالة. والتبعية تشمل (العطف والنعت والتوكيد والبدل). ومن هؤلاء زتسيسلاف واورزيناك^(٣).

أما القدماء فقد جعلوه من عناصر الربط؛ وملخص أقوالهم: «إن النعت مثل المنعوت لأهما كالاسم الواحد» على حد تعبير سيبويه^(٤)، فهو - أى التابع - دال على معنى في المتبوع أو متعلق به، بل متمم له، ومكمل له. والنعت كما ذكر

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/٢٦٦.

(٣) د. سعيد بحيرى: مدخل إلى علم النص، ص ٦٩ - ٧٠.

(٤) سيبويه: الكتاب، ١/٤٢١ - ٤٢٢.

ابن الناظم «إنما يجيء لتكميل المنعوت»^(١). والأمر يزداد ارتباطاً في نعت الجملة؛ وذلك لكونه لا يكتفى فيه بالرابط المعنوي، وإنما يتطلب رابطاً لفظياً هو الضمير في جملة النعت، ووجوب مرجعيته إلى المنعوت؛ ومن ثمَّ عدّه (ابن هشام) من روابط الجملة^(٢). وسوف نتبين أهميته من خلال تحليل بعض الخطب، وإليك الأمثلة:

من خطبته (ص) في الاستسقاء قوله: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، مريئاً هنيئاً مريئاً، سحاً سجالاً، غدقاً طبقاً، ديماً درراً، تجي به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع، واجعله سقياً نافعة، عاجلاً غير راث»^(٣).

فتأمل هذا النص يتبين اشتماله على نوعين من النعت:

أولهما: النعت المفرد وقد بين صفات المنعوت، فالرسول (ص) يطلب غيثاً مغيثاً نافعاً مشبعاً ذلاً كثيراً كافياً للناس والأنعام، وهذه نعوت ارتبطت مع منعوتها برابط الإسناد، فصار (النعت والمنعوت كالكلمة الواحدة)؛ ومن ثمَّ لم يحتاج إلى الروابط اللفظية؛ وهكذا تبين شدة التماسك بينهما.

ثانيهما: نعت الجملة في (تجي به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع) ووجود الرابط (الضمير) فيها ومرجعته إلى (الغيث). ونلاحظ التكامل بين الجملتين الأوليتين والترتيب المتحقق على إحياء الأرض وإنبات الزرع، وما يترتب على ذلك من إشباع للأنعام فيدر به الضرع؛ وهكذا تحقق السبك من خلال توافر عناصر الربط اللفظي والمعنوي.

(١) ابن الناظم: شرح الألفية، تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجليل،

بيروت، د.ت، ص ٤٩٠-٤٩١.

(٢) مغنى اللبيب، ٥٠٣/٢.

(٣) جمهرة خطب العرب، ١٥٥/١.

وهكذا تكون (التبعية) بوجه عام من أنواع الإحالات النصية، ويمكن أن تبحث الإحالة فيها من خلال جانبيين على الأقل. فمن جانب يتعلق الأمر بالترابط المعنوي بين النعت والمنعوت في الدلالة. ومن جانب آخر لزوم المطابقة بينهما في النوع والعدد والإعراب، ولاسيما في النعت المفرد؛ وهكذا تتحقق الإحالة بالتبعية معنًى ولفظاً.

(ب) الإسناد:

لما كان السبك بين العناصر النصية يعنى التحامها بحيث لا يستغنى أول العناصر عن ثانيها والعكس صحيح؛ عُدَّ الإسناد من أوثق أنواع السبك؛ وذلك للرباط المعنوي الجامع بين العنصرين المسندين. وإن كان هذا الإسناد يقع في الجملة إلا أنه يقع أيضاً بين الجمل في المتاليات النصية. وقد أشار علماء اللغة النصيون إلى هذا النوع من الترابط الدلالي التحوي، حيث قسموا الجملة إلى (مسند إليه ومسند)، فأطلقوا على أولهما الموضوع (المسند إليه) Topic، وهو المعلومة المذكورة سلفاً في النص. أما المحمول (المسند) أو الخبر Predicate، فهو المعلومة الجديدة في النص^(١).

ومثله قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن ١-٤)، فالمسند إليه هو الرحمن سبحانه وتعالى، والمسندات تتمثل في (علم، خلق، علمه). وهكذا نلاحظ شدة السبك بين هذين العنصرين مع استمرارهما عبر التتابعات النصية؛ وبذلك عد النصيون^(٢) الإسناد خاصية دلالية تعتمد على فهم

(١) د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٧٢/١.

(٢) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢٥٢، ٢٦٣، د. سعيد بحري: مدخل إلى علم النص، ص ١٢٠ - ١٢١، د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، =

كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى، ومن ذلك قوله (ص) في خطبة يوم أحد: «فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم له على رشده»^(١).

فالمسند في النص السابق جاء جملة؛ فارتبط برابطين رابط الإسناد الذهني ورابط الضمير (الهاء) في جملة المسند والمطابق للمسند إليه في النوع والعدد، وهذه كلها روابط توثق العلاقة بين ركني الإسناد مما أفاد السبك والانسجام.

٥- التحديد Definiteness:

عد بعض النصيين التعريف والتنكير من عناصر السبك النحوي، حيث يعتمد المخاطب إلى استعمال مورفيمات معينة في حالة التعريف تفيد أن هذا الاسم قد سبق ذكره، على حين يعد استعمال أداة التنكير ملائمًا لمعلومات لاحقة لم يرد ذكرها بعد^(٢). وقد مثلوا لذلك بقولهم: (كان هناك في قديم الزمان فتاة، الفتاة كانت جميلة) فـ(فتاة) النكرة تشير إلى معلومة لاحقة، يتوقع خلالها المتلقى أن يخبر أكثر عن تلك الفتاة. أما (الفتاة) المعرفة فهي تشير إلى أن هذا الاسم قد ذكر سابقاً^(٣)؛ ومن ثمَّ فهذه الظاهرة ترجع في أذهان المستمعين إلى ما هو مركز فيها من المعلوم والمجهول؛ ولذلك كان هذا العنصر النحوي يكاد يكون واحدًا في جميع اللغات، وإن كانت أدواته تختلف من لغة إلى أخرى^(٤).

= ٧٣/١.

(١) جمهرة خطب العرب، ١/١٤٩، ١٥٠.

(٢) النص والخطاب والإجراء، ص ٣٠٧.

(٣) د. فالخ بن شبيب، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص ٢٩.

(٤) د. محمود نخلة: التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، ط دار التوثيق للطباعة والنشر، =

فهناك أدوات تستعمل لتعيين المعرف من النكرة في أكثر اللغات، فمن المعرف ما هو من الأعلام كـ(آدم وماريا). وأسماء عامة متبوعة بـ(الصفة أو البديل والمشتقات وجمل الصلة). وأسماء عامة مع تحديدات (الأدوات، وضمائر الإشارة، وضمائر الملكية، والأعداد، والكلمات الدالة على الكميات). أما غير المحددات فهي النكرات كـ(المرء، شخص ما، شيء)^(١). ومن خلال ما سبق يتبين أن أسماء المعرفة لا تتطلب تنشيطاً كبيراً لذهن المتلقي؛ لكونها غالباً ما تكون معلومة لديه. على حين تثير النكرات قدرًا أكبر من تنشيط الذهن لدى المتلقي؛ لكونها غير معلومة له قبلاً.

فإذا تأملنا الخطب النبوية وجدنا أن فيها ألفاظاً معرفة في بنيتها غير محددة في دلالتها نحو (العبد، المرء، الناس، المسلم ... إلخ). كما وجدنا أن الأسلوب النبوي قد جمع بين النكرة والمعرفة في لفظ واحد؛ اعتماداً على السياق. ومن ذلك خطبته (ص) في مرض موته إذ يقول: «فمن كنت جلدت له ظهرًا، فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضًا، فهذا عرضي فليستقد منه، ومن كنت أخذت له مالاً، فهذا مالي فليأخذ منه»^(٢).

فقد جاء لفظ (ظهر) نكرة حيث لم يرد به ظهر شخص معين، بل أراد أى شخص قد ضربت له ظهرًا فله أن يقتصر منى بضرب ظهري، فجاءت (ظهري) معرفة بالإضافة حيث أسندها النبي (ص) إلى نفسه. والحال ذاته في الجمع بين (عرض - عرضي، مال - مالي). هذا فضلاً عن مجيء رابط (الواو) الذي جمع

= ١٩٩٧م، ص ١١.

(١) د. سعيد بحيري: مدخل إلى علم النص، ص ٦٩ - ٧٠، ١٢٤، ١٢٥.

(٢) الطبري، ٣/١٨٩، ١٩٠، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

بين الجمل المتتابعة داخل النص؛ فمنحه الانسجام والسبك.

ثانياً: عناصر السبك المعجمي Lexical Cohesion:

تتضافر عناصر السبك النحوي والتي سبق ذكرها مع عناصر السبك المعجمي في تماسك النص والتحامه، ويُعنى بالسبك المعجمي "العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتابعات النصية". وهي علاقة معجمية خالصة حيث لا تفتقر إلى عنصر نحوي يظهرها؛ ومن ثمَّ فهي تخضع لعلاقات أخرى غير التي تخضع لها عناصر السبك النحوي؛ ولذلك خصها النصيون بدراسات مستقلة^(١).

وقد اتخذت دراسة السبك المعجمي لدى اللغويين النصيين محورين أساسيين تدور حولهما: أولهما: التكرار Repetition، وثانيهما: المصاحبة اللغوية Collocation، حيث أفرد لهما اللغويون مجالاً واسعاً للدراسة والتصنيف^(٢).

١- التكرار Repetition:

يُعنى به عند النصيين «إعادة عنصر معجمي ما أو مرادفه أو شبيهه أو عنصر مطلق أو اسم عام»^(٣).

والحق أن العرب القدماء قد التفتوا إلى هذا المظهر من المظاهر البيانية مدركين أهميته في تماسك النص وتقوية المعنى، إذ يقول الرضى: «التكرير ضم الشيء إلى مثله من اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير»^(٤)؛ وذلك لكون التكرير يعتمد على ترداد اللفظ أو إعادة ذكره بنفسه أو بمعناه سواء أكان هذا المعنى مصاغاً في كلمة

(١) لسانيات النص، ص ٢٤.

(٢) الخصائص اللغوية، ص ٧٤.

(٣) لسانيات النص، ص ٢٤.

(٤) الرضى: شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ١٥/١.

مفردة أم في جملة، والسبب هنا تأتي من تعلق الألفاظ بعضها ببعض^(١). وهذا ما دعا النصيين إلى جعل التكرار من عناصر السبب المعجمي؛ ولكونه تعبيراً يكرر في الكل والجزء^(٢). كما عرفه د. سعيد بحري بقوله: «الإحالة التكرارية هي الإحالة بالعودة وتتمثل في Epanaphora تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد ... والإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دوراً في الكلام»^(٣).

ويرى علماء اللغة النصيون أنها أوثق أنواع التكرار حيث يقول دريسلر: «إن هذا النوع من إعادة اللفظ يعطى منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر»^(٤).

صور التكرار:

تعددت أشكال التكرار داخل النص ومنها:

(أ) إعادة تكرار اللفظ نفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾

(الحاقة ١ - ٢)، وعد البلاغيون منه رد العجز على الصدر، كما في قول الأقيشر:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع

حيث كرر لفظ (سريع) في صدر البيت وعجزه، وهكذا يقوم العنصر المعجمي

(١) ينظر علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١٩/٢.

(٢) Crystal, David: The Cambridge Encyclopedia of Language, p.119.

(٣) د. سعيد بحري: من أشكال الربط في القرآن الكريم، مقال من مجموعة مقالات مهدهاه للعالم الألماني فيشر، إشراف د. محمود فهمي حجازي، ط مركز اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٥١.

(٤) النص والخطاب والإجراء، ص ٣٠٦.

المعاد بوظيفة الربط بين شطرى البيت^(١). ويشترط لهذا التكرار وحدة المحيل إليه في اللفظين المتكررين حسب مبدأى الثبات والاقتصاد^(٢).

ومنه خطبته (ص): «أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب، وكأن الذى نشيع من الأموات سفر، عما قليل إلينا راجعون، نبئهم أحداثهم، ونأكل من تراثهم، كأنا مخلصون بعدهم، ونسينا كل واعظة، وأما كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل النذل والمسكنة، طوبى لمن زكت وحسنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره...»^(٣).

فلاحظ اعتماد الأسلوب على تكرار عناصر بعينها مثل (كأن) التى أفادت التشبيه مع تكرار التركيب بين الجملتين الأوليتين ففيهما (كأن + اسم + جار ومجرور + قد + فعل). كما كرر العنصر (طوبى)، الذى بين جزاء وثواب من جاء بهذه الخصال المحمودة من الخير. وقد جاء العنصر المكرر فى بداية كل جملة فعمل على الربط بين سابقتها ولاحقتها؛ فكان لذلك أثره فى السبك والتماسك المعجمى.

(ب) التكرار بإعادة المعنى واختلاف اللفظ (الترادف) وقد عرف المحدثون المترادفات بأنها «ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل بينها فى أى سياق»^(٤). وكما

(١) القزويني: الإيضاح فى علوم البلاغة، ١٠٢/٦.

(٢) النور والخطاب والإجراء، ص ٣٠٣.

(٣) جمهرة خطب العرب، ١٥٣/١.

(٤) ستيفن أولمان: دور الكلمة فى اللغة، ترجمة د. كمال بشر، الطباعة القومية، القاهرة،

١٩٦٢م، ص ٥٨.

عرفه النصيون بقولهم هي تعبيرات استبدال سبقت صياغتها في النظام «قابلية للتوسيع أحياناً أيضاً»^(١). وهذا النوع من التكرار يلي ما سبق في الأهمية، ويمكن عده من أوجه الصياغة الاسمية المتكافئة نصياً، وهي تشبه المترادفات النصية وتكمن أهميته في كون المترادفات متحققة في النص فعلاً، وهي التي أعيد تعيينها من خلال المتكررات المعنوية، وهذا يعتمد إليه مؤلف النص لتأكيد فكرة ما أو إثباتها أو الحث عليها^(٢).

وهو إما ترادف تام Synonymy أو شبه ترادف Near Synonymy. أما الترادف التام فمختلف فيه بين القدماء والمحدثين^(٣).

أما شبه الترادف ويقصد به تكرار المعنى مع وجود فروق بين المعنيين في دلالة اللفظ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف ٨٦) فقيل البث هو تفرق الحزن وعدم كتمانته، من قولهم: (بثتك ما في قلبي) أي أعلمتك إياه. أما (الحزن) فهو غلظ الهم وكتمانته^(٤).

فأما الترادف فمنه خطبته (ص) في الاستسقاء: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، مريئاً هنيئاً مريئاً، سحاً سحالاً، غدقاً طبقاً، ديماً درراً، تحي به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع، واجعله سةياً نافعة، عاجلاً غير راثث»^(٥).

(١) د. سعيد بحيرى: مدخل إلى علم النص، ص ١٣١ بتصرف.

(٢) د. سعيد بحيرى: مدخل إلى علم النص، ص ١٣٨ بتصرف.

(٣) ينظر للباحثة مبحث الظواهر المعجمية والدلالية عند د. بنت الشاطي، مجلة علوم اللغة، ٦م، ٢١ع، ٢٠٠٣م، ص ١٨٢ وما بعدها.

(٤) أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط دار العلم والثقافة، ١٩٩٧م، ص ٢٦٧.

(٥) جمهرة خطب العرب، ١/١٥٥.

فلاحظ من خلال النص السابق ميل الأسلوب النبوي إلى تكرار المعاني للفظـة (مغيث) وذلك من خلال تعدد صفاته، وجاء ذلك في ألفاظ مفردة فهو غيـث (يغيث الناس من الموت، هنيئاً مريئاً لهم، مشبعباً مغطبياً عاماً موزعاً على الجهات كلها)، كما ختم بجمل مقاربة المعنى نحو (تحببى الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع)، وهذا من باب إعادة الصياغة الموسعة للفظـة^(١) (مغيث).

أما شبه الترادف فمنه خطبته (ص) في أول جمعة بالمدينة إذ يقول: «... من يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله يوقى مقتته، ويوقى عقوبته، ويوقى سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة»^(٢). فقد ورد تكرار باللفظ نفسه متمثلاً في (تقوى الله)، كما جاء تكرار بالمعنى في (مقتته، عقوبته، سخطه). فضلاً عن إحالة الضمير ومرجعيتها إلى لفظ الجلالة. كما جاء شبه الترادف في (يبيض الوجه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة)؛ وذلك بغض النظر عن الفروق بين تلك المعاني، إلا أنه يجمع بينها تساوى الحمل ووحدة تركيبها وقرب معانيها.

(ج) هذا وقد يرد التكرار بواسطة كلمة شاملة تدرج تحتها كلمة أخرى، وهو ما يطلق عليه الاسم الشامل Super Ordinate.

ومنه خطبته (ص) في يوم أحد: «أيها الناس إنه قذف في قلبي أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفر له ذنبه، ومن صلى على محمد وملائكته عشراً، ومن أحسن وقع أجره على الله في عاجل دنياه، أو في آجل

(١) ينظر أوجه إعادة الصياغة الاسمية التعبيرية: د. سعيد بحري: مدخل إلى علم السنن، ص ١٣٧.

(٢) تاريخ الطبرى، ٣٩٥/٢، جمهرة خطب العرب، ١٤٩/١.

آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فعليه الجمعة يوم الجمعة، إلا صبيًا أو امرأة أو مريضًا أو عبدًا مملوكًا»^(١).

فقد ورد في النص ألفاظ عامة مثل (الناس) فهي تشمل تارك الحرام رغبة في رضا الله، والمصلى على النبي وملائكته، والمحسن في عمله، والمؤمن بالله واليوم الآخر. كما جاء العنصر (مَنْ) اسمًا موصولاً عامًّا يجمع كل من آمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة، واستثنى من ذلك الصبية والنساء والمرضى والعبيد فهي غير واجبة عليهم. هذا فضلًا عن عناصر السبك النحوي التي اتحدت مع قسيميتهما في جعل النص وحدة واحدة يعلق بعضه بعجز بعض.

(٥) وقد يرد التكرار في النص من خلال اسم عام غير محدد الدلالة مثل كلمة (شيء أو أمر أو مسألة) إذ يعنى كل منها عدة دلالات تختلف باختلاف السياق الواقع فيه^(٢). ومنه قوله: تفوق زيد في المسابقة وهذا شيء جميل.

ومنه خطبته (ص) بالخيف إذ يقول: «نصّر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(٣).

فلفظة (عبد) جاءت نكرة غير محددة، إلا أن الأسلوب الخطابي قد بين المراد منه، وهو من سمع مقالة النبي (ص) فوعاها وفهمها وبلغها لغيره فربُّ مُبلِّغٍ أوعى من سامع؛ ولذلك يدعو له بنصرة الوجه يوم القيامة، وقد بدا النص كله كجملة واحدة لشدة سبكه.

(١) جمهرة خطب العرب، ١/١٥٠.

(٢) الخصائص اللغوية في الخطابة الدينية، ص ٧٥.

(٣) إعجاز القرآن، ص ٩٨، جمهرة خطب العرب، ١/١٥١.

(هـ) ومن صور التكرار التفصيل بعد الإجمال ويُعنى به شرح ما أجمل سابقاً؛ ولذلك يحمل التفصيل مرجعية خلفية لما سبق إجماله^(١)، ومنه خطبته (ص) بالخيف إذ يقول: «ثلاث لا يغفل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولى الأمر، ولزوم الجماعة»^(٢). وخطبة له (ص) إذ يقول: «... إن العبد بين محافتين، أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه، وأجل باق لا يدري ما الله قاضٍ فيه...»^(٣).

فقد فصل ما أجمل في قوله: (ثلاث لا يغفل عليهن قلب المؤمن) بما جاء بعدها من (إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولى الأمر، ولزوم الجماعة). كذلك جاء لفظ (محافتين) مجملاً وقد تم تفصيله فيما بعدها من خوف العبد مما مضى من أجله أكان له أم عليه؟ وكذلك مما بقى، وكأنه شرح وتوضيح لما جاء أولاً.

(ز) من صور التكرار (التكرار التركيبي) وفيه يعتمد المخاطب إلى توجيه خطابه في شكل جمل منسقة تركيبياً من حيث مكوناته، ومنه قول الجاحظ: «الكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يغريك والرفيق الذي لا يملك... إلخ»^(٤). فقد اعتمد الكاتب على أشكال متكررة مكونة من (اسم + الذي + لا + فعل مضارع + ك)، وهي أيضاً تعبيرات مرتبطة في المعنى تدل على تكريم الكتاب بصفته صديقاً مخلصاً للقارئ^(٥). ومنه خطبته (ص) في مرض

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١٤١/٢.

(٢) إعجاز القرآن، ص ٩٨، جمهرة خطب العرب، ١٥١/١.

(٣) تاريخ الطبری، ٣٩٥/٢، جمهرة خطب العرب، ١٤٩/١.

(٤) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، منشورات محمد الداية، ٥٠/١.

(٥) إمام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص ٨٧.

موته إذ يقول: «فمن كنت جلدت له ظهراً، فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضاً، فهذا عرضي فليستقد منه، ومن أخذت له مالاً، فهذا مالي فليأخذ منه»^(١).

فلاحظ تكرار النمط التركيبي المتمثل في أسلوب الشرط وأجزائه (اسم الشرط + جملة فعل الشرط + جملة جواب الشرط) ويمثله (من + الفعل الناسخ بركنيه + الفاء + جملة جواب الشرط). وهذا يدل على مدى حرص النبي (ص) على التخلص من أية حقوق للعباد عليه سواء أكانت بالضرب أو السب أو أخذ المال، وهو أبعد ما يكون عن ذلك إلا أنه أراد أن يجعل من نفسه مثلاً يُحتذى به.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن التكرار إذا جاء في سياق غير محتاج له أدى إلى إضعاف الإعلامية، وذلك بسبب الإسراف فيه، كأن يقال: ذهبنا إلى البيت وذهبنا إلى البيت.

ويمكن التغلب على ذلك باستعمال بعض الأساليب التي تتكرر فيها الأشكال مع بعض الاختلاف في المحتوى، أو يتكرر فيها المحتوى مع اختلاف الأشكال، ومنه ما يعرف بـ(الموازاة)، والمقصود بها تكرار أشكال الإخراج ذاتها في ظاهر النص، مع شغلها بتعبيرات مختلفة^(٢).

٢ - المصاحبة اللغوية Collocation:

تعد المصاحبة اللغوية ثاني عناصر السبك المعجمي بعد التكرار وآخر العناصر المعجمية في تناولنا، ويعني بها العلاقات التي تربط بين بعض الوححدات

(١) الطبري، ١٩١/٣، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٩.

(٢) إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص ٨٢، ٨٧.

المعجمية المنفردة، وهو ارتباط يعتاد أبناء اللغة وقوعه في الكلام بحيث يمكن توقع ورود كلمة محددة في النص من خلال ذكر كلمة أخرى فيه، وتميز تلك الظاهرة بعدم افتقارها إلى مرجعية سابقة أو لاحقة كما كان الحال معروفاً بالنسبة للعناصر السابق ذكرها^(١). ويصنف النصيون هذه العلاقات المعجمية الخاصة بالمصاحبة تصنيفاً علمياً بالرغم من صعوبة ذلك؛ لشدة التداخل بين هذه الأصناف ويمكن رصدها على النحو التالي:

أ - علاقة التضاد بين الأسماء المتعارضة مثل (رجل - امرأة) و (ولد - بنت)، كما تقع بين الأفعال مثل (يصمت - يتكلم - يأتي - يذهب)^(٢)، وقد عُرف عند القدماء^(٣) بـ(الطباق) في المفردات، ومنه قوله تعالى: ﴿تَوَاتَى الْمُلْكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكُ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ (آل عمران ٢٦). وبـ(المقابلة) في الجمل ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾^(٤) (الليل ٥-١٠).

ب - علاقة التدرج التسلسلي المرتب بين زوجين من الألفاظ مثل: (أيام الأسبوع أو الشهور).

ج - علاقة الجزء بالكل، مثل: (السقف - الجدران - الحجر) وعلاقتها بالمنزل.

(١) David Crystal: A Dictionary of Linguistics and Phonetics, p. 62; Monir Baalbaki: Dictionary of Linguistics Terms, p. 98.

(٢) د. سعيد بحيرى: مدخل إلى علم النص، ص ١٣٣، لسانيات النص، ص ١٣٠-١٣٢.

(٣) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ٨/٦.

(٤) السابق نفسه، ١٨/٦.

د - علاقة الجزء بالجزء، مثل: (الأنف - الذقن - العين).

هـ - علاقة الصنف العام، مثل: (الطواف - الكعبة - السعى) وعلاقتها بالحيج فهو الصنف الذى يجمعها.

و - علاقة التلازم الذكرى، مثل: (المرض - الطبيب، السفر - الطائرة، الطالب - الامتحان)^(١).

ولاشك أن تداخل هذه الأزواج من الألفاظ يسهم بدور فعال مع باقى العناصر الأخرى فى السبك المعجمى، وسنتبين ذلك من خلال تحليل بعض الخطب النبوية فيما يلى:

(١) خطبته (ص) حين دعا قومه بمكة: « والله الذى لا إله إلا هو إلى لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإلها لجنة أبدأ أو نار أبدأ»^(٢).

فتأمل النص السابق نلاحظ ورود أزواج من الألفاظ يعارض بعضها بعضاً، كـ(خاصة - كافة، إحساناً - سوءاً، جنة - نار). هذا فضلاً عن ورود عناصر نصية ومعجمية متمثلة فى: (الإحالة المرجعية فى (هو) المحيل إحالة داخلية سابقة إلى لفظ الجلالة) والحذف فى (وإلى الناس كافة) والعنصر المحذوف (إني لرسول الله)، ودليل حذفه سبق ذكره أولاً والإحالة فيه داخلية سابقة. والربط بـ(الواو) الجامعة بين المتشابهات لإفادتها المشاركة. هذا بالإضافة إلى التكرار باللفظ نفسه فى (والله). كما نلاحظ الجمع بين (الإحسان إحساناً، والسوء سوءاً) بالرغم من اختلاف

(١) لسانيات النص، ص ٢٥، الخصائص اللغوية فى الخطابة الدينية، ص ٨١، ٨٢.

(٢) جمهرة خطب العرب، ١/١٤٧.

المعنى، فالإحسان والسوء المعرفين يراد بهما العمل، على حين يراد بالنكرتين الجزاء، وهكذا تضافرت العناصر النحوية والمعجمية في سبك النص وتماسكه.

(٢) ولا يقتصر التعارض على المفردات بل يتعداها إلى الجمل المتعلقة عبر فقرات من النص، ومن ذلك خطبته (ص) بالخيف إذ يقول: «ومن كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كان همه الدنيا فرق الله أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له»^(١).

فالمقابلة جاءت رابطة بين الجمل المتتابعة عبر النص؛ وذلك من خلال الجمع بين حال من كان همه الآخرة فعمل لها؛ فكان جزاءه جمع شمله وغنى قلبه وأتته الدنيا مُنقادة له، وحال من كان همه الدنيا فعمل لها ونسى آخرته؛ فكان جزاءه تفريق أمره وفقره ولم يصب من الدنيا إلا ما قدر له. وقد جاء الخطاب مرتباً ترتيباً يتناسب مع الواقع، مقدماً الأولى للأهمية (حال الصالح وشأنه)، مرغباً أولاً ثم مرهباً؛ فكان لذلك أثره في انسجام النص^(٢).

كما نلاحظ سوق هذا الجمل من خلال (أسلوب الشرط) الذي يتعلق فيه جملة الجواب بجملة الشرط وتعالقهما باسم الشرط، وهذا من عناصر الحبكة، كما يمكن عدده من التكرار التركيبي لتمامثل التركييين. وفيه ربط بـ(الواو) بين الجمل المعطوفة على جواب الشرط مما يفيد تلاحمهما. فضلاً عن الإحالة المرجعية في الضمير (الهاء) في (همه - شمله - غناه - قلبه - أتته - أمره - فقره - عينيه - يأتته)، وجميعها محيلة إحالة داخلية سابقة راجعة إلى (من). كما جاء الضمير (هي) محيل إحالة

(١) إعجاز القرآن، ص ٩٩، جمهرة خطب العرب، ١/١٥١.

(٢) ينظر أثر ترتيب الخطاب لسانيات النص، ص ٤٠.

داخلية سابقة أيضاً ومرجعيتها (الدنيا)، وهو الحال نفسه في (راغمة)؛ وهكذا تعالقت الجمل المتتابعة داخل النص فصارت كأنها جملة واحدة.

(٣) ومن علاقات المصاحبة التدرج التسلسلي الواضح في خطبته (ص) إذ يقول: «وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله، يسوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حُرُم، ثلاث متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!»^(١).

فقد ذكر النبي (ص) عدة الشهور عند الله ردّاً على فعل الجاهليين في العمل بـ(النساء) وهي مرجعية داخلية سابقة مبيّناً الحرم منها وهي ثلاثة متواليات (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم)، وواحد منها منفرد هو (رجب)، وهذا ترتيب تسلسلي يعتمد على علم المخاطب والمتلقى بشهور العام وهي مرجعية خارجية ترتبط بالسياق الذي ورد فيه النص. كما يمكن عد هذا النص من باب التفصيل بعد الإجمال. هذا بالإضافة إلى أن هناك حذفاً عبارياً متمثلاً في (اللهم اشهد) والتقدير (اللهم اشهد أني قد بلغت)؛ اعتماداً على ما سبق ذكره أولاً؛ ومن ثمّ فهو محيل إحالة داخلية سابقة. هذا كما جاء الربط بـ(الواو) بين الأشباه من أسماء الشهور في (ذو الحجة، والمحرم ورجب) وعطفها على (ذو القعدة). كما جاءت الإحالة بالاسم الموصول ومرجعيتها داخلية سابقة راجعة إلى (رجب). هذا بالإضافة إلى التبعية المتمثلة في النعت المخصص لـ(أربعة حرم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد، رجب الذي بين جمادى وشعبان) ونلاحظ تنوعها بين المفرد والجملة؛ وهكذا أسهمت هذه العناصر جميعها (نحوية ومعجمية) في سبك النص.

(١) إعجاز القرآن، ص ٩٧، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٧.

(٤) أما علاقة الجزء بالكل فوجد منها النصوص التالية:

الأول: قوله (ص): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فعليه الجمعة يوم الجمعة، إلا صبياً أو امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً»^(١).

الثاني: قوله (ص): «فلا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢).

الثالث: قوله (ص): «فمن كنت جلدت له ظهرًا، فهذا ظهري فليستقد منه»^(٣).

فنلاحظ في النص الأول أن الأسلوب قد شمل جميع المسلمين بلفظة (من) في افتراض الجمعة، إلا أنه استثنى أصنافاً محددة هي، (الصبية والنساء، والمرضى، والعبيد)؛ فهم غير مكلفين بأدائها في المساجد ومن أداها لا يعدم ثوابه من الله، ويمكن عد (من) في أول النص اسماً عاماً شاملاً يجمع الأصناف المذكورة وغيرها. كما أن الرابط (أو) جاء بمعنى (الواو) في الجمع بين المعطوفات في (امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً). بالإضافة إلى تبعية النعت في (عبداً مملوكاً) لإفادة عدم أهليته.

أما النص الثاني فجاء فيه لفظ (الرقاب) يمثل جزءاً من كل، وخصه بالذكر لأنه موضع القتل. وقد جاء الأسلوب إنشائياً نوعه النهي؛ لإفادة النصح والتوجيه من النبي (ص) إلى العباد من بعده. وهنا تلازم ذكرى بين لفظي (يضرب ورقاب) فلا يذكر الرقاب في سياق القتل إلا وذكر معه الضرب، ودليله قوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ الرَّقَابَ﴾ (محمد ٤).

أما في النص الثالث فقد جاء فيه لفظة (ظهر) وهي جزء من الجسم؛ وخصه بالذكر لأنه موضع الجلد. وقد أكدت الإحالة باسم الإشارة في هذا

(١) جمهرة خطب العرب، ١/١٥٠.

(٢) إعجاز القرآن، ص ٩٧، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٧.

(٣) تاريخ الطبري، ٣/١٨٩ - ١٩٠، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

(ظهري) ومرجعيته داخلية لاحقة. أما الضمير في (منه) فمرجعيته داخلية سابقة راجعة إلى (من). هذا فضلاً عن علاقة الشرطية المتمثلة في الشرط وجوابه، وهي من علاقات (الحبك).

(٥) أما آخر هذه العلاقات فهي علاقة الصنف العام الذي ينسدرج فيه أكثر من لفظ ومنه قوله (ص) فيمن ترك الجمعة دون عذر مبيناً عقابه فيقول: «فلا جمع الله له شمله، ولا بارك في أمره، ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقة له، ألا ولا بر له، ألا ولا يوم أعرابي مهاجرًا، ألا ولا يوم فاجر مؤمنًا»^(١).

فألفاظ (الحج - صوم - الصدقة - الإمامة في الصلاة) كلها من العبادات. على حين يكون البر من (الأخلاق). كما نلاحظ شبه الترادف الجملي بين (فلا جمع الله له شمله، ولا بارك في أمره) إضافة إلى إحالة الضمير (الماء) في (له - شمله - أمره)، ومرجعيته داخلية سابقة راجعة إلى من ترك الجمعة. كما وجد من عناصر السبك المعجمي التكرار في العنصر (ألا ولا)، وما أفاده من تأكيد. والربط بالسواو بين المعطوفات وما أفاده من الجمع والمشاركة. والتضاد بين (الفاجر والمؤمن) و(أعرابي ومهاجر). وقد جاء هذا كله في أسوب إنشائي دعائي.

وهكذا جاءت نصوص الخطابة النبوية متمثلة بجميع معايير النصية، فهي تعتمد أولاً على الهدف المرجو منها أي الفكرة التي أراد النبي (ص) التركيز عليها، وجاء ذلك من خلال نصوص متلاحمة الأجزاء مستوفية لشروط السبك النحوي والمعجمي، مناسبة للموقف الذي جاءت فيه، موجزة قصيرة الحمل؛ فأدى ذلك إلى نجاح عملية الاتصال من جانب المتلقى؛ فتحقق الفهم والإدراك؛ ومن ثم تحقق مقصد الخطبة.

(١) إعجاز القرآن، ص ٩٦، جمهرة خطب العرب، ١٥٣/١.

ويمكن تحديد خطوات بناء الخطبة في (الموضوع العام، الأفكار الأساسية والفرعية التي يعرض من خلالها)، مع مراعاة ترتيب تلك الأفكار ترتيباً منطقيًا، وتغليف ذلك بقواعد لغوية مناسبة، عرفت بفصاحتها وجزالتها ووضوحها.

النتائج

- ١- عنى البحث بدراسة معايير علم اللغة النصي المختلفة، وذلك في الإطار النظرى. على حين ركز على عناصر السبك بنوعيهما (النحوى والمعجمى)، من خلال القسم التطبيقي على الخطب النبوية؛ رغبة في الإيجاز، إلا أننا قد ألمحنا إلى بعض العناصر التى لم يتناولها البحث كـ(عناصر الحبكة) عند تحليلنا للنصوص كلما كان ذلك لازماً.
- ٢- أثبت البحث أن مهمة علم اللغة النصي تتمثل في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة؛ ومن ثم أصبحت النصوص بأبنيتها وشروطها الوظيفية موضع بحث مركزى في الدراسة اللغوية.
- ٣- يمثل علم اللغة النصي علماً متداخلاً، حيث يعتمد إلى منهجيات العلوم الإنسانية الأخرى والاستعانة بها في تحليل النصوص، ومن ذلك (علم الاتصال خاصة مشاكل الاتصال الجماهيرى، علم الاجتماع والنفس. ولاسيما علم النفس الإدراكى. وكذلك علم التربية وعلم القانون ... إلخ)؛ ومن ثم يوصف بأنه علم متداخل؛ فهو مجموعة علوم متشابهة.
- ٤- التفت البحث إلى إسهامات القدماء في دراسة عناصر وأصول تتصل بعلم اللغة النصي عند المحدثين، وإن كانت لم تأخذ شكل النظرية أو تتشكل في

قوالب علمية متكاملة.

٥- يمتاز التحليل النصي بكونه لا يقتصر على دراسة المستويات (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) فحسب، بل يسعى إلى جمع هذه المستويات في إطار كلي يتدرج فيه من دراسة الجملة إلى دراسة النص كوحدة واحدة، لا يعدم فيها أثر المتلقى ومقصد المخاطب والسياق الذي دار فيه النص والموقف، كل هذا في إطار عناصر السبك النحوي والمعجمي.

٦- استهدفت الخطابة النبوية مقصداً عاماً يتمثل في توجيه النصيح والوعظ والإرشاد إلى جمهور المستمعين؛ وذلك لكون النبي - صلى الله عليه وسلم - هو المعلم لشئون الدين والدنيا.

٧- يمثل المتلقى ركيزة في التحليل النصي؛ لكونه هو المستقبل للنص، والذي يقوم بفهمه وفك شفرته؛ استحابة لغرض المخاطب في إنجاح توصيل الرسالة المقصودة.

٨- يهتم التحليل النصي أيضاً بالسياق الذي ورد فيه النص؛ لكونه يمثل الموقف بما فيه من أحداث وشخصيات ومكان وزمان وظروف وملابسات ... إلى غير ذلك من المؤثرات.

٩- أثبت البحث من خلال عرض العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص أنهما متكاملان؛ لكون الجملة هي بنية النص؛ ومن ثمَّ يجب اعتماد قواعد نحو الجملة ودلالاتها داخل تحليل بنية النص؛ وهذا يكون هناك نظام دلالي ونحوي واحد يجمع بينهما.

١٠- أثبت التحليل النصي أهمية استعمال اللغة بطريقة عملية؛ وذلك من خلال دورها في التواصل الإنساني؛ ومن ثمَّ يجب على النصيين الاهتمام بدراسة

النصوص وتحليلها واستنباط قواعدها أكثر من اهتمامهم بوضع أشكال نحوية تفرض على دراسة النصوص.

١١- أثبت البحث بعض الاختلاف بين قواعد التنظير عند النصيين من جهة والنصوص العربية من خلال التحليل من جهة أخرى، ومن ذلك عناصر الربط اللفظي والمعنوي؛ وهذا يؤكد أنه بالرغم من ثبات القواعد في أكثر اللغات، إلا أنه يظل لكل لغة خصوصيتها في تداول هذه القواعد وممارستها بالفعل.

١٢- حرص البحث على الجمع بين قواعد النصيين وأقوال القدماء في دراسة بعضها، فأضاف إلى تناول المحدثين ما ورد ذكره عند القدماء؛ ومن ذلك عنصر التفصيل بعد الإجمال في إطار التكرار. والربط المعنوي دون الأداة في النعت والإسناد في إطار عنصر الربط ضمن عناصر السبك النحوي.

١٣- أضاف البحث إلى عناصر السبك النحوي عنصر (التحديد) التعريف والتكثير؛ وذلك بالرغم من أن أكثر النصيين لم ينصوا عليه. كما لفت البحث إلى نمط آخر من أنماط التكرار اختصت به العربية هو (التكرار التركيبي)، حيث يميل المخاطب إلى توجيه خطابه في شكل جمل متناسقة تركيبياً، وقد أثبت ذلك من خلال نصوص الخطابة النبوية.

١٤- بين البحث أن وصف وتحليل نصوص الخطابة النبوية وسَّع في إضافة قواعد جديدة في الأصول النظرية، ومن ذلك الحذف حيث حصره النصيون في (حذف الاسم والفعل والعبارة). على حين أثبت التطبيق حذف الحرف والحركة وأكثر من جملة من خلال السياق.

١٥- اتفق القدماء من علماء العربية والمحدثون من النصيين على جعل الإحالة

بالتبعية من عناصر السبك النحوى سواء أكانت في المفردات أم الجممل.
وقد أثبت البحث توافرها أيضاً في النص بأكمله.

١٦- أثبت البحث أن الإسناد خاصية دلالية تعتمد على كل جملة مكونة للنص
في علاقتها بما يفهم من الجممل الأخرى.

١٧- اتفق القدماء والمحدثون في جعل التكرار من عناصر السبك المعجمى،
حيث يؤدي إلى تكرار اللفظ ذاته أو بمعناه أو بلفظ شامل أو عام له أو
بالتفصيل أو بالتكرار التركيبى؛ ومن ثم يعد سلسلة من أوجه إعادة
الصياغة المتكافئة نصياً، أى المتساوية بالنسبة لسياقاتها الواردة فيها، فهى
ذات طبيعة مشابهة في التحديد إذ يمكن أن تعد محددات لمحدد واحد هو
موضوع النص.

١٨- تناول البحث عنصر المصاحبة اللغوية، والمتمثلة في الجمع بين أزواج من
الألفاظ يحتم وجود أحدها وجود الآخر، فعرض لعلاقة التضاد في
المفردات والتراكيب، وعلاقة التدرج التسلسلى المرتب، وعلاقة الجزء
بالكل والجزء بالجزء، هذا بالإضافة إلى علاقة الصنف العام، وهو اللفظ
الذى يجمع عدة ألفاظ، وعلاقة التلازم الذكرى، وهذه كلها عناصر
معجمية تضافرت مع غيرها من العناصر النحوية؛ فعملت على سبك
النص وتلاحمه.

المصادر والمراجع العربية

- ١- د. الأزهر الزناد: نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٣م.
- ٢- د. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط ٥، بيروت، دار الثقافة ١٩٨٦م.
- ٣- د. أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ط المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- ٤- د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دييو جراند وولفجانج دريسلر، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
- ٥- د. إيناس حسين محمد: الخصائص اللغوية في الخطابة الدينية في العقدين الأخيرين، بحث دكتوراه، الإسكندرية ٢٠٠٣م.
- ٦- أبو بكر الباقلائي: إعجاز القرآن، تحقيق الأستاذ أبو بكر عبد الرازق، ط مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ٧- الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، منشورات محمد الداية، د.ت.
- ٨- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، ١٩٩٠م.
- ٩- د. حسنى عبد الجليل يوسف: إعراب النص، ط ١ دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٧م.

- ١٠- الرضى: شرح الكافية فى النحو، دار الكتب العلمفة، بفرط، د.ت.
- ١٦- روبرت دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ط عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨م.
- ١٢- زتسىسلاف واورزفناك: مدخل إلى علم النص- مشكلات بناء النص؛ ترجمه وعلق عليه د. سعفد بجرى، ط مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠٣م.
- ١٣- سرفن أولمان: دور الكلمة فى اللغة، ترجمة د. كمال بشر، الطباعة القومية، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ١٤- د. سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعرفى، دراسة فى قصفدة جاهلفة، مجلة فصول، ط ١، م ١٠، عدد ١، ٢، ففلفو ١٩٩١م، أغسطس ١٩٩١م.
- ١٥- د. سعفد بجرى:
- ١- مقال/ من أشكال الربط فى القرآن الكرفم ضمن مجموعة مقالات مهدهاء للعالم الألماني ففشر، إشراف د. محمود فهفمى حجازى، ط مركز اللغة العربفة، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ٢- علم لغة النص المفاهفم والاتجاهات، الشركة المصرفة العالمفة للنشر - لوفنجمان، القاهرة ١٩٩٧م.
- ١٦- سففوفه: الكتاب، تفففق الشفخ عبء السلام محمد هارون، ط الهفئة المصرفة العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
- ١٧- السففوطى؛ الإفقان فى علوم القرآن، تفففق محمد أبو الفضل إبراهفم، ط بفرط ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ١٨- د. صبفى إبراهفم الفقى: علم اللغة النصفى بفن النظرفة والتطفق - دراسة تطفقفة على السور المكفة، ط دار قباء، القاهرة، ج ١، ٢، ٢٠٠٠م.

- ١٩- د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢م.
- ٢٠- د. طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ت.
- ٢١- د. عبد الجليل شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، ط ٢، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٩٢م.
- ٢٢- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، ط الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٠م.
- ٢٣- د. عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٠م.
- ٢٤- فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمه د. فالخ بن شبيب العجمي، ط جامعة الملك سعود، ١٩٩٦م.
- ٢٥- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق د. محمد عبد المنعم نحفاجي، ط مكتبة الأزهر للتراث، ١٩٩٣م.
- ٢٦- د. حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، ط دار الشروق، مصر، ط ١، ١٩٩٦م.
- ٢٧- مازن الوعر: نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مقال من شبكة المعلومات.
- ٢٨- د. محمد خطاي: لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب، ط المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩١م.
- ٢٩- د. محمود أحمد نحلة: التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، ط دار التوني

للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.

٣- د. نادية رمضان النجار: مبحث الظواهر المعجمية والدلالية عند د. بنت

الشاطي، مجلة علوم اللغة، عدد ٢١، مجلد ٦، ٢٠٠٣م.

٣١- ابن الناظم: شرح الألفية، تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار

الجيل، بيروت، د.ت.

٣٢- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق الشيخ محمد محي الدين

عبد الحميد، ط المدين، د.ت.

٣٣- أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط دار

العلم والثقافة، ١٩٩٧م.

المراجع الأجنبية

34- Baalbaki, Ramzy Mounir: Dictionary of Linguistics Terms Beirut, 1990.

35- David Crystal:

1- An Encyclopedic Dictionary of Language and Languages, Benguin Books, 1992.

2- A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Bacil Blackwell Publishers, 1993.

3- The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge University, press 1987.

36- Halliday and R. Hassan: Cohesion in English, Longman, London, 1976.